رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

إعلام البحاثة

بمقاصد الأصول الثلاثة

بقلم
أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

دار التوحيد المغرب
دار الإستقامة

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

إعلام البحاثة
بمقاصد
الأصول الثلاثة

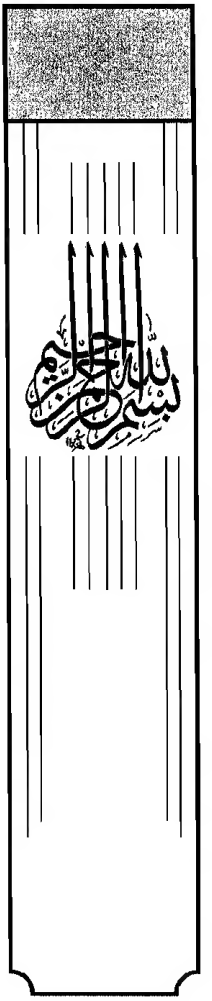

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ/٢٠١٠م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:
٢٠٠٩/٢٢٩٤٢

حقوق الطبع محفوظة ٢٠١٠م لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو جزء منه أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو جزء منه .
ولا يسمح بترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر .

المملكة المغربية
فاس - شارع المنفلوري 1
هاتف المكتبة: 00212664137043 - 00212656287858
www.dartawhid.com
Email: dar_tawhid@yahoo.com

جمهورية مصر العربية - القاهرة
ش الهدي المحمدي - أحمد عرابي - مساكن عين شمس
ت: 0020127483263-0020185183442 - تليفون وفاكس: 0020229876377
dar.alestkama@yahoo.com - dar.alestkama@hotmail.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

إعلام البحاثة

بمقاصد الأصول الثلاثة

بقلم
أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

دار التوحيد
المغرب

دار الاستقامة

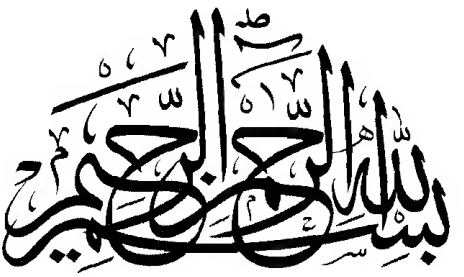
بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فإن رسالة «**الأصول الثلاثة**» اشتملت علىٰ الأركان التي يجب علىٰ الإنسان معرفتها، والأسس التي يجب اعتقادها، وهي: معرفة الله ﷻ، ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة النبي محمد ﷺ.

وهذه الرسالة في أصل عظيم من أصولِ الدين، ولذلك كان المحققون من أهل العلم يحرصون علىٰ هذه الرسالة، ويحثُّون عامَّة المسلمين علىٰ تعلُّمها وحفظها، وذلك رغبة في الخير؛ إذ أعظم ما يُسدىٰ للمؤمنين أن تُعلِّمَهم ما ينجيهم حين سؤال الملكين في القبر؛ لأن العبد إذا كان جوابه حسنًا، وموقفه في البرزخ ثابتًا؛ عاش سعيدًا، وبُعِث سعيدًا، ودخل الجنة مسرورًا، وإن كان جوابه غير مستقيم، فإن له معيشةً ضنكًا، ويحشره مولاه يوم القيامة أعمىٰ.

ولذلك؛ أحببت أن يكون لي حظٌّ وافر في خدمة هذه الرسالة المباركة؛ فكان نصيبي -ولله الحمد والمنة- تعريفَ المسلمين بمقاصدها الشريفة، وشرحَ غاياتها المنيفة.

ودافعي في ذلك أمور، منها:

أولًا: أن البدء بهذه المتون المختصرة هو الأساس في طلب العلم؛ فالعلم لا ينال إلا بالتدرج، وهذه المختصرات سلَّم المطولات.

ولقد كان الربانيون من هذه الأمة المرحومة يبدءون بصغار العلم قبل كباره؛ يربون أنفسهم بذلك وطلابهم وأمتهم علىٰ ذلك، وهذه سنة كونية في جميع الأشياء أن تبدأ من أصولها وأسسها ثم تكبر شيئًا؛ فشيئًا.

ولذلك قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وعسىٰ أن تكون هذه الرسالة للمبتدئين مرقاةً لما بين يديها من الكتب العقدية التي فوقها في المستوىٰ والأسلوب؛ فإن من أراد فهم مقاصد عقيدة السلف الصالح، ومعرفة منهجهم؛ فلا يخرج عن سنن الله الكونية والشرعية في طلب العلم؛ فإن أصلها الذي تنبعث منه، وتدرج في مدرجه؛ هو: التدرج.

ثانيًا: إن معرفة مقاصدها، والوقوف علىٰ غايتها؛ يسهل علىٰ المسلمين فهمها، وتدبرها، وحفظها، ويعين أولياء الأمور من الرجال والنساء علىٰ تعليمها للأولاد في البيوت، وبخاصة أن الأسرة المسلمة بحاجة ماسة إلىٰ رسائل في العقيدة السلفية الصحيحة الميسرة بلغة سهلة مفهومة.

ثالثًا: أن مدار هذه الرسالة العظيمة علىٰ أسئلة الملكين للعبد في قبره.

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما؛ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلىٰ القبر ولمَّا يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله؛ كأنما علىٰ رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكث به في الأرض، فرفع رأسه، فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» -مرتين أو ثلاثًا-، قال: «**وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولّوا مدبرين، حين يقال له: يا هذا! من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟**».

قال: «ويأتيه ملكان، فيجلسانه؛ فيقولان له: من ربُّك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان: وما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ قال: فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله؛ فآمنت به، وصدَّقت.

قال: فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة» قال: «فيأتيه من رَوحها وطيبها».

وقال: «ويفسح له فيه مدَّ بصره».

قال: «وإن الكافر» -فذكر موته-، قال: «تُعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه! لا أدري، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه! لا أدري، فيقولان: ما هذا الرسول الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هاه هاه! لا أدري، قال: فينادي منادٍ: أن كذب عبدي، فافرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلىٰ النار».

قال: «فيأتيه من حرِّها وسَمومها»، قال: «ويُضيَّق عليه قبره؛ حتىٰ تختلف فيه أضلاعه».

زاد في حديث جرير: قال: «ثم يقيض له أعمىٰ أبكم معه مرزبَّة من حديد، لو ضُرِبَ بها جبل؛ لصار ترابًا».

قال: «فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب؛ إلا الثقلين، فيصير ترابًا، ثم تعاد فيه الروح»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧ و٢٨٨ و٢٩٥ و٢٩٦)، وابنه عبد الله في «السنة» (١٤٣٨-١٤٤٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢١٧٥ و١٢١٧٦)، والطيالسي (٧٥٣)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وغيرهم، وهو حديث صحيح، وصححه شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٥٨)، و«مشكاة المصابيح» (١٢٧ - هداية).

ولما كان ورود القبر مصيرَ كلِّ عبدٍ منَّا، فلابدَّ من إعداد العدة؛ ليعرف العبد كيف يراجع الملائكة الكرام ويكون اللقاء كريمًا بين العبد المؤمن ورسل ربه؛ فيشمله قول الله تعالىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

وسميته:

«إعلام البحاثة بمقاصد الأصول الثلاثة»

فإن أصبت ووفقت؛ فهذا من فضل ربي ﷻ، وإن أخطأت وقصرت؛ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان من ذلك.

فلك أيها القارئ غُنْمُه، وعلىٰ كاتبه غُرْمُه، فمن وجد خيرًا؛ فليحمد الله، ولا ينساني من دعوة صالحة في ظهر الغيب، تستر عيبي، وتجبر ضعفي، ومن وجد غير ذلك؛ فلينصح لي، وليصلح خطئي، وإني متقلد منته آخر عمري.

وأسأل الله أن يدخر لي ثواب جهد المقل إلىٰ يوم لقائه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

والله الموعد.

وكتبه

أبو أسامة

سليم بن عيد الهلالي

ضحىٰ الإثنين لثلاث ليال بقيت من شوال سنة ١٤٢٩هـ

في عمان البلقاء عاصمة جند الأردن من بلاد الشام المحروسة

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بين يدي الشرح

١ - لماذا خصَّت هذه الأصول الثلاثة؟

قال فضيلة الشيخ صالح الفوزان -وفقه المولىٰ-: «لأنها هي الأساسات لدين الإسلام، ولأنها هي المسائل التي يسأل عنها العبد حين يوضع في قبره؛ لأن العبد إذا وضع في قبره، وسوي عليه التراب، وانصرف عنه الناس راجعين إلىٰ أهلهم جاءه ملكان في القبر، فتعاد روحه في جسده، ويحيا حياة برزخية ليست حياة مثل حياة الدنيا، حياة الله أعلم بها، فيجلسانه في قبره؛ فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

فالمؤمن يقول: ربي الله، وديني الإسلام، ومحمدﷺ نبيي، فيقال له: كيف عرفت؟ يقول: قرأت كتاب الله فدريت وعرفت، فينادي منادٍ: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابًا من الجنة، ويوسع له في قبره مدَّ البصر، فيأتيه من ريح الجنة وروحها، فينظر إلىٰ مسكنه في الجنة، فيقول: يا ربِّ أقم الساعة؛ حتىٰ أرجع إلىٰ أهلي ومالي!

وأما المرتاب الذي عاش في الريبة والشك، وعدم اليقين، وإن كان يدَّعي الإسلام، إذا كان عنده شكوك وعنده ريب في دين الله، كالمنافق؛ فإنه يتلجلج، فإذا قالوا له: من ربُّك؟ يقول: لا أدري، وإذا قالوا: ما دينك؟ يقول: لا أدري، وإذا قيل: مَنْ نبيك؟ يقول: لا أدري، هاه هاه لا أدري؛ سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

يعني: أنه في الدنيا يقول ما يقوله الناس من غير إيمان -والعياذ بالله- هذا المنافق الذي أظهر الإسلام، وهو لا يعتقده في قلبه، وإنما أظهره من أجل مصالحه الدنيوية، فيقول في الدنيا: ربي الله، وهو غير مؤمن بها، قلبه منكر والعياذ بالله!

يقول: ديني الإسلام، وهو لا يؤمن بالإسلام، قلبه منكر!!

يقول: نبيي محمدﷺ، وهو لا يؤمن برسالة محمد في قلبه!!

إنما يقول بلسانه فقط، هذا هو المنافق، فَيُقال له: لا دريت ولا تَلَيْتَ، فيضرب بمرزبة من حديد يصيح منها صيحة لو سمعه الثقلان؛ لصعقوا، يسمعها كل شيء إلا الإنسان لو سمعه؛ لصعق؛ أي: لمات من الهول، ويُضَيَّقُ عليه في قبره حتىٰ تختلف أضلاعه، ويُفْتَحُ له باب إلىٰ النار فيأتيه من سَمُومها وحرِّها، فيقول: يا رب لا تقم الساعة، هذه عيشته وحالته في القبر -والعياذ بالله-؛ لأنه ما أجاب بالجواب السديد.

ولذلك ينادي مناد: أن كذب عبدي، فافرشوه من النار، وافتحوا له بابًا من النار، والعياذ بالله.

فإذا كانت هذه المسائل بهذه الأهمية؛ وجب علينا أن نتعلَّمها وأن نعتقدها، ولا يكفي التعلُّم فقط؛ بل نتعلمها ونعتقدها، ونؤمن بها، ونعمل بها ما دمنا علىٰ قيد الحياة؛ لعل الله أن يثبتنا عند السؤال في القبر.

يقول الله -تعالىٰ-: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فهذه الأصول الثلاثة لها أهمية عظيمة، ولهذا ركَّز عليها الشيخ في هذه الرسالة ووضحها من أجل أن ندرسها، ونَتَمعَّن فيها، ونعتقدها ونعمل بها، لعل الله أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة»[1].

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص٧٢-٧٤).

٢- «ومن هنا يتعين علىٰ الإنسان أن يتعلم هذه الأصول تعلمًا يكون مثمرًا بالعمل متيقنًا به غير مقلد لمن يراهم ويعمل معهم»[(١)].

٣- هذه الأصول الثلاثة مستنبطة من الكتاب والسنة ومن التقسيم العقلي الموافق لها المؤيد بها:

أ- «أما الكتاب؛ فقوله -تعالىٰ-: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٣-٨٦].

ففي هذه الآيات ذكر الأصول الثلاثة: من أمر بالتوحيد، والعمل بدين الإسلام، واتباع الرسل.

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، فقوله: ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، يدل علىٰ التوحيد، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ يدل علىٰ الإسلام.

وقوله: ﴿كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، يدل علىٰ الرسل؛ من حيث إنهم هم الذين بلغوهم هذا الوعد.

---

(١) «المحصول من شرح ثلاثة أصول» لغنيمان (ص٧١).

ب- **ومن السنة**: حديث القبر المشهور وسؤال الميت عن ربه ودينه ونبيه ﷺ[(١)]، والدعاء المأثور في الحديث الصحيح: «**رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا**»[(٢)].

ت- **أما التقسيم العقلي المنطقي**: فكل عبد سائر إلىٰ الله قاصد مرضاته، وكل سائر لابدَّ له من تحقيق ثلاثة مقاصد: الأول: الوجهة والقصد، الثاني: الطريقة والوسيلة، الثالث: الدليل والمرشد.

فإذا سافر الإنسان؛ فلابدَّ أن يتحقق من ثلاثة أمور: البلد الذي يتجه إليه وهو القصد، والوسيلة والطريقة التي سوف يسير بها، والدليل والمرشد الذي يدله إلىٰ كيفية الوصول إلىٰ البلد المقصود.

وفي العبادة: قصدنا الله، ودليلنا الرسل، ووسيلتنا التي لا نصل إلىٰ طاعة الله إلا بها؛ هي: الإسلام؛ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[آل عمران: ٨٥][(٣)].

(١) سبق تخريجه (ص ٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٦) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٣) «المحصول شرح ثلاثة أصول» لبدر العتيبي (ص٢٦-٢٧).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة الأصول الثلاثة

بسم الله الرحمن الرحيم

* بدأ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ رسالته بالبسملة.

وفيه مسائل:

الأولىٰ: يستحب بداية الخطب والمقالات والرسائل بذكر الله، وهو أنواع:

١- **البسملة**؛ كما في كتاب الله، فإنها أول ما يقع نظرك عليه في المصحف، وبها بدأ سليمان - عليه الصلاة والسلام- كتابه إلىٰ ملكة سبأ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل:٣٠]، وبدأ الرسول ﷺ كتابه إلىٰ هرقل بالبسملة[١].

فهي مطلع عظيم للكلام والكتب والرسائل؛ إذ الإنسان يستعين بسم الله الرحمن الرحيم، ويبتدئ أمره بسم الله الرحمن الرحيم تبركًا واستعانة.

٢- **أن يبدأ بالحمد**، وأتمه خطبة الحاجة، فقد كان الرسول ﷺ إذا خطب حمد الله، وأثنىٰ عليه[٢].

ومن العلماء من يجمع بين البسملة والحمد لله.

---

(١) أخرجه البخاري (٧و٦٢٦٠) من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٨) من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

* قول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوَاجِبُ»:

فيه مسائل:

الأولىٰ: أفاد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ حكم تعلم هذه الأمور الثلاثة، وأنه واجب.

والثانية: والمصنف لا يريد الواجب الاصطلاحي، بل هذه أركان وأسس العلم؛ فمعرفة الرب عَزَّوَجَلَّ والنبي ﷺ والدين هي أصل الأصول وأعظم الواجبات.

* قوله: «عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ»:

فيه مسائل:

الأولىٰ: المقصود جميع الخلق، وإن كان المسلمون أحقَّ بمعرفتها من غيرهم؛ وأما الكفار؛ فيستحقون العذاب علىٰ ترك معرفة هذه الأصول والإيمان بها، لكن تخصيص المسلم والمسلمة هنا؛ لأن الخطاب إليهم.

الثانية: قال: كل مسلم ومسلمة، وهذا يشمل الرجال والنساء، وأنه لا يعذر أحد بجهلها وعدم معرفتها.

* قول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنْ يَتَعَلَّمَ ثَلاثَةَ أُصولٍ، وهي: مَعْرِفَةُ رَبِّهِ، ودِينِهِ، وَنَبِيِّهِ»:

فيه مسائل:

الأولىٰ: الأصل: ما يبنىٰ عليه غيره، والفرع: ما يبنىٰ علىٰ غيره، فلهذا سميت: بالأصول؛ لأن غيرها من أمر الدين يبنىٰ عليها، ويضاف إليها، وكل الدين يدور علىٰ هذه الأصول الثلاثة.

الثانية: معرفة الفرق بين العلم والمعرفة.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: «والفرق بينها من وجوه ثلاثة:

أحدها: أن المعرفة لُبُّ العلم، ونسبة العلم إليها كنسبة الإيمان إلىٰ الإحسان،

وهي علم خاص متعلقها أخفىٰ من متعلق العلم وأدق.

الثاني: أن المعرفة هي العلم الذي يراعيه صاحبه بموجبه ومقتضاه، فهي علم تتصل به الرعاية.

الثالث: أن المعرفة شاهد لنفسها، وهي بمنزلة الأمور الوجدانية التي لا يمكن لصاحبها أن يشك فيها، ولا ينتقل عنها، وكشف المعرفة أتم من كشف العلم، والله ﷻ أعلم»[١].

وعليه؛ فالمعرفة أخص من العلم، وأدق وأعمق في الفهم[٢].

الثالثة: قول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنْ يَتَعَلَّمَ» لا يقصد جميع العلم؛ لأن المصنف عَرَّفه؛ فقال: «مَعْرِفَةُ رَبِّهِ، ودينِهِ، ونَبِيِّه».

فإذن؛ المراد: العلم الشرعي.

الرابعة: أنَّ هذه المعرفة مقرونة بالأدلة، وهذا ما بينه في «ثلاثة أصول» فقال: «**وهو: معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة**».

الخامسة: أنَّ هذه المعرفة هي التي يسأل عنها العبد في قبره، كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الذي تقدم ذكره[٣].

أنها استحقت أن تكون كذلك -أي: أسئلة القبر-؛ لأنها تدور علىٰ المرسِل، وهو: الله، والرسالة، وهي: الإسلام، والرسول، وهو: محمد ﷺ.

السادسة: حكم العلم؛ فيه تفصيل:

العلم الواجب: كالتوحيد، والعقائد، ومعرفة الشروط، والأركان، والواجبات،

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٧٢).

(٢) وانظر «الفروق» للعسكري (ص٧٢).

(٣) تقدم تخريجه (ص٧).

والعبادات الواجبة، والمعاملات اللازمة، ومعرفة المحرَّمات.

العلم المستحب: كتعلم المستحبات؛ وهذا باعتبار الأفراد، وأما الأمة؛ فواجب عليها علىٰ الكفاية؛ لأنه من باب حفظ الدين.

فرض الكفاية: كتعلم الطب، والصناعات، والعلوم النافعة للمسلمين.

العلم المحرم: كتعلم السحر، وعلم الكلام، وعلم الموسيقىٰ، والاقتصاد الربوي، ودراسة القوانين الوضعية للعمل بها والتحاكم إليها.

الأصل الأول: معرفة الرب:

* **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِذا قيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّك؟ فَقُلْ: رَبِّي اللهُ: **الذي** رَبّاني بِنَعْمتِه، وَخَلَقني مِن عَدَمٍ إلىٰ وُجُودٍ؛ وَالدَّليلُ: قَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١]».

فيه مسائل:

الأولىٰ: لما بيَّن المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الأصول الثلاثة مجملة: أراد بيانها وبسطها بالأدلة النقلية وآيات الله الكونية.

وعلىٰ هذا تنبني العقيدة الصحيحة: علىٰ أدلة الكتاب والسنة، والنظر في ملكوت الله حتىٰ ترسخ في العقول، وتطمئن إليها القلوب، ولا تزول بالشبهات والأوهام، ولذلك أكثر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من ذكر الأدلة النقلية والعقلية علىٰ هذه الأصول الثلاثة، حتىٰ تستقر في الأذهان، وترسخ في القلوب والنفوس، ولا تستفزها الشبهات والاعتراضات.

الثانية: اعتمد في تعليم هذه الأصول الثلاثة علىٰ طريقة السؤال والجواب:

والسؤال طريقة مثلىٰ للتعلم والتعليم؛ شرعه الله في كتابه؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وبيَّنَ رسول الله ﷺ أنه

دواء الجهل فقال: «**إنما شفاء العي السؤال**»[١].

وقد طبق رسول الله ﷺ هذه الطريقة العلمية مع أصحابه الكرام في مجالات متعددة ونواحٍ كثيرة: استوعبت الدين كله تظهر للعيان في حديث جبريل -عليه الصلاة والسلام- حيث كان يسأل والنبي ﷺ يجيب، ثم أخبرهم رسول الله ﷺ قائلًا: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[٢].

الثالثة: قول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**مَنْ ربُّك؟**» هذا السؤال سيسأل عنه العبد في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا حتىٰ يعصم دمه وماله وعرضه؛ كما في قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله...**»[٣]. وفي الآخرة حتىٰ ينجو من عذاب جهنم، فلابدَّ أن يعرف ربه عَزَّ وَجَلَّ، وأن يجيب جوابًا صحيحًا مبنيًّا علىٰ اليقين، ومعتمدًا علىٰ البرهان.

الرابعة: البدء بالأهم فالمهم.

بدأ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بالأصل الأول؛ لأنه الأهم، وتتلوه الأصول الأخرىٰ؛ فإن معرفة الرب -تبارك وتعالىٰ- بأسمائه وصفاته، وتوحيده بألوهيته وربوبيته أصل الأصول.

الخامسة: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**مَعْرِفَةُ رَبِّهِ**».

معرفة الله بالقلب: تستلزم قبول ما شرعه الله في الكتاب والسنة، والإذعان والانتصار له، وتحكيم ما جاء به محمد ﷺ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٧١)، وابن ماجه (١٥٧٢)، وأحمد (١/ ٣٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذا موضع إجماع من السلف الصالح -رحمهم الله-، فكلهم يقول: إن الإيمان: قول، وعمل، واعتقاد.

قال الشافعي: «كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم: أن الإيمان: قول، وعمل، ونية، ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر»[١].

وقال البغوي: «اتفق الصحابة والتابعون من بعدهم من علماء السنة علىٰ أن الأعمال من الإيمان.. وقالوا: إن الإيمان قول، وعمل، وعقيدة»[٢].

وقال ابن عبد البر: «أجمع أهل الفقه والحديث علىٰ أن الإيمان: قول، وعمل، ولا عمل إلا بنية»[٣].

وقال أبو عمر الطلمنكي: «أجمع أهل السنة: علىٰ أن الإيمان: قول، وعمل، ونية، وإصابة السنة»[٤].

وقال شيخ الإسلام: «وقد حكىٰ غير واحد إجماع أهل السنة والحديث علىٰ أن الإيمان: قول وعمل»[٥].

السادسة: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فَإِنْ قيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ**».

أي: إذا سئلت: من هو ربك: الذي خلقك وأعدك ورزقك وأمدك؛ لأن الرب المراد به: الخالق الرازق المدبر، وهو: الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا هو المعنىٰ المراد إذا أطلق لفظ الرب، وهو خاص بالله، أما إذا قيد؛ فبحسب التقييد والإضافة.

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» اللالكائي (٥/ ٩٥٧).

(٢) «شرح السنة» (١/ ٣٨-٣٩).

(٣) «التمهيد» (٩/ ٢٣٨).

(٤) «الإيمان» لابن تيمية (ص ٢٦٠).

(٥) «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٢٣٠).

السابعة: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الذي رَبَّانِي، وَرَبَّىٰ جَميعَ العَالَمِين بِنِعْمَتِه**».

التربية هي رعاية يقوم بها المربي، وكلام المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ يشعر بأن الرب مأخوذ من التربية؛ لأنه قال: «**الذي رباني وربىٰ جميع العالمين بنعمته**»؛ فكل العالمين قد رباهم الله بنعمته وأعدهم لما خلقوا له، وأمدهم برزقه، قال الله - تعالىٰ - في محاورة موسىٰ وفرعون: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه: ٤٩ و٥٠]، فكل أحد في العالمين قد رباه تعالىٰ بنعمته.

ونعَم الله كثيرة لا تُعَدُّ ولا تُحْصَىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

واستدل المصنف في «ثلاثة أصول» لكون الله تعالىٰ مربيًا لجميع الخلق بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: الوصف بالكمال والجلال والعظمة والإكرام لله وحده ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: مربيهم وخالقهم ومالكهم والمدبر لهم كما شاء ﷻ.

والعبد واحد من هذه العوالم.

الثامنة: قوله: «**وَخَلَقَني مِن عَدَمٍ إلىٰ وُجودٍ**».

فإن العبد قبل خلق الله له لم يكن شيئًا مذكورًا؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

التاسعة: والرب في اللغة[1] يطلق علىٰ الحفظ والرعاية، وعلىٰ الخالق المربي، والرب يطلق علىٰ المالك، والسيد، والمدبر، والقيم، والمنعم.

والمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ فسر الرب هنا بكلمتين: الخالق والمعبود، وهذا تعريف الرب عند الإطلاق؛ فإنه يدخل فيه معنىٰ الألوهية بإجماع السلف.

---

(١) كما في «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ١٧٩).

الثامنة: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «والدَّليلُ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١]».

وقال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦٤].

هذا إخبار من الله عن المسيح عليه السلام في الموضعين من سورتي آل عمران والزخرف.

وقد افترىٰ بعض النصارىٰ الحيارىٰ[1]. فقال -بعد ذكر آية الزخرف-: «ونرىٰ -هنا- أن المسيح لم يضع نفسه في مصاف الناس؛ فإنه يختلف كليًّا عن الناس؛ فإنه في الأصل هو خالقهم وسيدهم، فلم يقل: (اعبدوا الله ربنا)، وكأنه واحد منهم، بل قال ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[الزخرف: ٦٣-٦٤]».

وهذه شبهة تدل علىٰ جهل قائلها بربه وبنفسه وبلسان العرب؛ فإن المسيح عليه السلام لم يكن الوحيد من بين المرسلين الذين قال: ﴿رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾.

وإنما قالها أيضًا هود -عليه الصلاة والسلام-: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

وقالها موسىٰ -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾[غافر: ٢٧].

وقال: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾[الدخان: ٢٠].

وقالها محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[مريم:٣٦].

---

(١) وهو الدكتور يحيىٰ جورج رشيد خوري في كتابه: «الكمال لله وحده من وحي الكتب الروحية قراءات جديدة في التوراة والإنجيل والقرآن».

والحقيقة: أن هذه الآيات فيها تقرير عبودية الرسل لله رب العالمين فحتىٰ لا يظن أحد أن الرسل غير الناس؛ قرر الرسل -عليهم الصلاة والسلام- أن الله ربهم ورب الناس، وعبادته واجبة علىٰ الجميع.

فأين الأمر بعبادة المسيح -عليه الصلاة والسلام- بل إن أناجيلهم تدحض عبادتهم له؛ ففي «إنجيل مرقص» (٧:٧) و«إنجيل متّىٰ» (٩:١٥): «وباطلًا يعبدونني، وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس».

* **قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا قيلَ لَكَ: بِأَيِّ شَيْءٍ عَرَفْتَ رَبَّك؟ فَقُل: عَرَفْتُه بِآياتِهِ وَمَخْلوقاتِه».**

فيه مسائل:

الأولىٰ: طرح المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا سؤالًا: «**وَإذا قِيلَ لَك: بِأَيِّ شيءٍ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟**».

والجواب: حتىٰ تعرف ربك بالأدلة، ويكون إيمانك مبنيًا علىٰ الاستدلال؛ لأنه أقوىٰ وأفضل، ومعناه: ما هي الوسائل التي عرفت بها الله؟ وما هي الأدلة علىٰ ذلك؟

الثانية: معرفة الله لا تنحصر علىٰ دليل السمع من الكتاب والسنة فحسب، بل دلائل معرفة الحق عامة بالسمع والعقل والفطرة مما يرىٰ في النفس والآفاق وهي لا تعد ولا تحصىٰ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١].

ولهذا ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الثالثة: أرشد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بأن من أوضح الأدلة علىٰ معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأصرحها علىٰ وجوب الإيمان به: الآيات والمخلوقات، ولذلك خصها بالذكر.

الرابعة: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فَقُلْ: عَرَفْتُه بآياتِه وَمَخْلوقاتِه**».

لأن الأدلة في معرفة الرب -تبارك وتعالىٰ- وأنه الخالق ثلاثة:

الأول: دليل فطري.

الثاني: دليل عقلي.

الثالث: دليل نقلي.

واختار المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الدليل العقلي الذي دلَّ علىٰ معرفة الرب -تبارك وتعالىٰ-؛ فقال: «**بآياته ومخلوقاته**»، وليس هو دليلًا عقليًّا صرفًا بل عضده بآيات في القرآن.

الدليل العقلي: معرفة الرب -تبارك وتعالىٰ- من الجهة العقلية بآياته ومخلوقاته؛ يسمىٰ: دليل الأثر، ودليل حدوث العالم؛ وخلاصته: أنه لابد لكل حادث من محدث، ولابدَّ لهذا الوجود من موجد سابق عليه، فهذه الآيات والمخلوقات حادثة، ولا يمكن أن تكون جاءت من نفسها، أو صدفة، بل لابدَّ من محدث، وهو: الله.

وهذا يعضده دليل قرآني نبه عليه وأرشد إليه، وهو قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

والمعنىٰ: لا يمكن أن يوجد مخلوق بلا خالق، أو أن يوجد اتفاقًا؛ هذا محال، ولا يصح في الأذهان شيء إذا احتاج هذا الدليل إلىٰ دليل؛ فلذلك لابد

للمخلوق من خالق، فذكر ثلاثة أمور:

أحدها: ﴿خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ وهذا محال، لأن العدم لا يلد الوجود.

والأمر الثاني: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾؛ أي: خلقوا أنفسهم بأنفسهم -أو كما يقول بعض الملاحدة المعاصرين: أوجدتهم الطبيعة- وهذا محال أيضًا.

والأخير: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فإذا لم يوجدوا هم من أنفسهم من العدم، ولم يوجدوا هم أنفسهم بأنفسهم، فمحال أن يوجدوا غيرهم، لأن فاقد الشيء لا يعطيه!!

وليس المقصود فقط إثبات وجود الله، وأنه الخالق، فهذه ربوبيته يؤمن بها حتىٰ الكفار، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١-٦٣]، لكن المراد: الربوبية والألوهية، ثم عِظَمُ هذه الآيات يَدلُّ علىٰ عِظَمِ خالقها، وَحُسْنُ هذه الآيات وإتقانها يدل علىٰ علم وحكمة خالقها.

هذا الدليل العقلي، وقد يسَّره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ ووضحه وضوحًا جليًّا، وهو دليل محكم؛ ولذا قال أعرابي -كان في إبله، لم يقرأ، ولم يكتب، ولم يتعلم الفلسفة، ولا المنطق، ولا علم الكلام، ولكنه ذو عقل وفكر وفهم في إثباته للصانع-: «الأثر يدل علىٰ المسير، والبعرة تدل علىٰ البعير، فكيف إلىٰ ليلٍ داجٍ، وسماء ذات أبراج، وسراج وهاج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا تدل علىٰ الصانع الخبير؟!».

الدليل الفطري: هو ما يجده كل مخلوق في نفسه من الاعتراف بالله، وبأنه

الخالق المعبود، وهو مركوز في كل الفطر: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة؛ فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترىٰ فيها جدعاء؟**»(١).

ولهذا احتج الله -جل وعلا- علىٰ الكفار والمشركين بهذه الفطرة، فقال ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهذا من باب الإلزام: إلزام بتوحيد الألوهية بعد إقرارهم بالربوبية لله، وهذه طريقة القرآن الكريم حيث يلزم بتوحيد الربوبية لتحقيق توحيد الألوهية.

الدليل النقلي: وهذا أدلته كثيرة في الكتاب والسنة تدل علىٰ أن الله هو الخالق المعبود بحق.

وهذه الأدلة العقلية والنقلية والفطرية تدل علىٰ أن الله خالق معبود وحده لا شريك له.

وأما أهل البدع: فعندهم أدلة فلسفية لإثبات وجود الله فقط، مثل: دليل الأعراض والأجسام، وهي لا تَدُلُّ علىٰ أنه المعبود بحق.

وهذا من أهم الفروق في التوحيد بين السلف الصالح والمتكلمين؛ فإن وجود الله عند السلف الصالح لا يحتاج إلىٰ دليل؛ فأدلته ظاهرة، ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠].

ولذلك يقر به الكفار، وإنما إثبات الصانع دليل على ألوهيته، وأنه معبود وحده بحق، وأما المتكلمون؛ فيقفون عند إثبات الصانع، ولا يتجاوزونه.

الخامسة: ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أدلة من الوحي وشواهد من العقل؛ لأن من ادَّعىٰ شيئًا فلابدَّ أن يقيم الدليل علىٰ دعواه:

والدعاوىٰ إن لم يقيموا ... عليها بيِّنات أهلها أدعياءُ

فمن أقام البرهان الواضح وأتىٰ بالدليل اللائح علىٰ دعواه كان صادقًا: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

* قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأمَّا الدَّليلُ علىٰ آياتِه؛ فقولُه تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَدليلُ مَخلوقاتِهِ قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]».

فيه مسائل:

الأولىٰ: لا يقال: فَرَّقَ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بين الآيات والمخلوقات، فعطف المخلوقات علىٰ الآيات، والأصل أن العطف يقتضي المغايرة؛ فالآيات غير المخلوقات.

بل هذا من باب عطف العام علىٰ الخاص؛ إذ الآيات من المخلوقات، ولكنها امتازت بأنها آيات ظاهرة، وإن كان في كل مخلوق آية دالة علىٰ وجوده

وعظمته ووحدانيته.

قال شاعر الزهد أبو العتاهية:

فيا عجبًا كيف يعصي الإلـ ـه أم كيف يجحده الجاحدُ
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحدُ
ولله في كل تحريكة وتسكينة في الورى شاهدُ

والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلك سبيل النصوص في التسمية؛ ففي الآية سميت السماوات وما عطف عليها مخلوقات، فتقيد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بألفاظ القرآن، وإلا؛ فالمخلوقات التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي آيات؛ ولذا جمعها الله عَزَّ وَجَلَّ: في قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران: ١٩٠].

والآيات التي ذكرها المصنف أربع: الليل، والنهار، والشمس، والقمر.

والمخلوقات التي ذكرها هي: السموات، والأرض، وما فيهن، وما بينهما.

الثانية: جعل قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] دليلًا علىٰ آيات الله التي يعرف بها.

ووجه الدلالة:

١ - أن الله عرَّف نفسه لعباده بها؛ فجعلها آيات دالة عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعلىٰ كمال صفاته؛ فكلها من الآيات الدالة علىٰ كمال القدرة، وكمال الحكمة، وكمال الرحمة.

فالشمس آية من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ لكونها تسير سيرًا منتظمًا بديعًا منذ خلقها الله عَزَّ وَجَلَّ وإلىٰ أن يأذن الله تعالىٰ بانتهاء العالم؛ فهي تسير لمستقرٍّ لها؛ كما في قوله

تعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨].

وهي من آيات الله بحجمها وآثارها:

وأما حجمها؛ فهو أكبر من حجم الأرض آلاف المرات.

وأما آثارها، فما يحصل منها من المنافع للأجسام، والأشجار، والأنهار، والبحار.

وكذلك القمر من آيات الله حيث قدَّره منازل لكل ليلة منزلة: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩]؛ فهو يظهر صغيرًا، ثم يكبر، ثم يعود إلىٰ النقص، وهذا يشبه الإنسان حيث يولد ضعيفًا، ثم يترقىٰ من قوة إلىٰ قوة، حتىٰ يعود إلىٰ الضعف مرة أخرىٰ؛ فتبارك الله أحسن الخالقين.

وكذلك الليل والنهار؛ فهما علامات ظاهرة في ذاتهما واختلافهما، وما أودع الله فيهما من مصالح العباد، ومنافعهم، وتقلبات أحوالهم.

٢- استدل الله ﷻ بهذه الآيات علىٰ أنه سبحانه هو المستحق للعبادة: ﴿ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

وفي هذا: بيان أنَّ الذي يستحق العبادة -وحده- هو الله؛ لأنه هو الخالق، وهذا من موجبات العبودية؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

وفيه إبطال للشرك؛ لا تسجدوا للمخلوقات، ومن أعظم المخلوقات: الشمس والقمر، ومع ذلك؛ فهي لا تستحق العبادة لأمرين:

الأول: أنها مخلوقة مربوبة؛ فالمخلوق المربوب لا يصير خالقًا وربًّا، بل هو عبد لله ﷻ.

الآخر: أنها آيات دالة علىٰ غيرها، وهو: الله الذي خلقها، والدال علىٰ غيره لا يدل علىٰ نفسه، وإنما الذي يدل عليه هو خالقه؛ ولذلك نعرف الله بآياته.

ولما كان السجود أعظمَ أنواع العبادة؛ لأن وجهك الذي هو أعزُّ شيء عندك تضعُه لله علىٰ الأرض تعبُّدًا لله وحبًّا له وتذلُّلًا بين يديه، هذا السجود الحقيقي لا يليق إلا لله.

وأما غيره من المخلوقات كالشمس والقمر؛ فهي عاجزة فقيرة، وإنما الذي يستحق السجود الخالق الغني الذي لا يعجزه شيء.

الثالثة: جعل قوله - تعالىٰ -: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] دليلًا علىٰ مخلوقاته التي يعرف بها.

ووجه الدلالة:

١ - أن فيها من آيات الله الدالة علىٰ الله:

أ- أن الله خلق هذه المخلوقات العظيمة في ستة أيام، ولو شاء لخلقها للحظة واحدة، ولكنه ربط المسببات بأسبابها؛ كما تقتضيه حكمته.

ب- أنه استوىٰ علىٰ العرش؛ أي: علا عليه علوًّا خاصًّا به؛ كما يليق بجلاله وعظمته، وهذا كمال الملك والسلطان.

ت- أنه يغشي الليل النهار؛ فكأنَّ الليل ثوب يسدل علىٰ ضوء النهار؛ فيغطيه.

ث- أنه جعل الشمس والقمر والنجوم مذللات بأمره -جَلَّ سلطانه-، يأمرهن بما يشاء من مصالح العباد.

ج- عموم ملكه وتمام سلطانه؛ حيث كان الخلق والأمر له لا لغيره.

ح- عموم ربوبيته للعالمين كلهم.

٢- استدل الله ﷻ بهذه الآيات علىٰ أنه مستحق العبادة؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ فالخلق يجب أن يعبدوه وفق أمره في التشريع، والتحليل، والتحريم.

والرب هو المعبود بحق، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

ولذلك نقل المصنف في (ثلاثة أصول) قول الإمام ابن كثير: «الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة».

قال مقيده أبو أسامة الهلالي - كان الله له -: جمع الله تعالىٰ في هذا النداء الكريم إلىٰ الناس كلهم موجبات العبودية؛ فهو ربهم الذي خلقهم والذين من قبلهم، وهو ربهم الذي يرزقهم، ربهم الذي تفرد بالخلق والرزق؛ فوجب أن يتفرد بالعبودية، ودونك التفصيل والتأصيل:

١ - الله ﷻ خالقنا؛ فهو وحده الذي يستحق العبادة.

لقد خلق الله تعالىٰ بني آدم في أحسن تقويم، وكرمهم وفضلهم علىٰ كثير مما خلق تفضيلًا، وأراد لهم أن يكونوا في أفضل صورة مختارة من صور البشرية.. صورة العابدين لله.. المتقين له.. الذين أدوا مقتضىٰ الربوبية الخالقة، فعبدوا الخالق وحده.

ولقد خاطب الربُّ الكريمُ الناسَ بهذا الموجب في غير موضع فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وبه احتج الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- كما قال تعالىٰ مخبرًا عنهم: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤].

ب- الله هو رازقنا؛ فهو وحده الذي يستحق العبادة.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[الذاريات: ٥٦-٥٨].

فالله وحده هو الذي يغذو العبد بالنعم؛ فينبغي علىٰ العبد أن يكون شاكرًا لأنعمه، مُقِرًّا بحكمته.

ولقد احتج الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- بهذا الموجب علىٰ أقوامهم؛ كما قال الله تعالىٰ عن إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام-: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعبد لابد له من رزق، وهو محتاج إلىٰ ذلك؛ فإذا طلب رزقه من الله صار عبدًا لله، فقيرًا إليه، وإذا طلبه من مخلوق صار عبدًا لذلك المخلوق، فقيرًا إليه، ولهذا كانت مسألة المخلوق محرمة في الأصل، وإنما أبيحت الضرورة.

وفي النهي عنها أحاديث كثيرة في «الصحاح» و«السنن» و«المسانيد»: كقوله ﷺ: «**لا تزال المسألة بأحدكم، حتىٰ يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة**[1] **من لحم**»[2].

---

(١) أي: قطعة.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وقال -أيضًا-: «**لأن يأخذ أحدكم أحَبلَهُ فيذهب فيحتطب، خير له من أن يسأل الناس؛ أعطوه أو منعوه**»(١).

وقال: «**ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل، ولا مستشرف، فخذه، وما لا؛ فلا تتبعه نفسك**»(٢).

فَكَرِهَ أخذه مع سؤال اللسان، واستشراف القلب.

وقال في الحديث الصحيح: «**من يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يعفَّه الله، ومن يتصبَّر يصبره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**»(٣).

وأوصىٰ خواصَّ أصحابه ألَّا يسألوا الناس شيئًا:

عن عوف بن مالك أن النبي ﷺ بايعه في طائفة، وأسرَّ إليهم كلمة خفيفة: «**ألَّا تسألوا الناس شيئًا**»(٤).

فكان بعض أولئك النفر يسقط السوط من يد أحدهم، ولا يقول لأحد: ناولني إياه.

وقد دلت النصوص علىٰ الأمر بمسألة الخالق، والنهي عن مسألة الخلوق في غير موضع؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الانشراح:٧ و٨].

وقول النبي ﷺ لابن عباس: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧١) من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٣)، ومسلم (١٠٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٠٤٣).

(٥) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، وانظر تخريجه مطولًا في كتابي: «نيل الأوطار بتخريج أحاديث كتاب الأذكار» (٢/ ٨٧٥ / ١٢٦٨).

ومنه قول الخليل: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [العنكبوت:١٧]، ولم يقل: فابتغوا الرزق عند الله؛ لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر، كأنه قال: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

والإنسان لابد له من حصول ما يحتاج إليه من الرزق ونحوه، ودفع ما يضره.

وكلا الأمرين شرع له أن يكون دعاؤه لله، فلا يسأل رزقه إلَّا من الله، ولا يشتكي إلَّا إليه؛ كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]»[1].

ولقد ذكر الله سبحانه موجبات العبودية في فواتح سورة النحل بعد أن قرر أن العبودية سببُ إنزال الكتب وإرسال الرسل فقال تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

---

(١) «العبودية» (ص٨٨-٩٣) باختصار وتصرف يسيرين.

﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

وتأمل كيف ختم الله هذه الآيات البينات بعد ذكره لأفواج مخلوقاته ونعمه: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل:١-٢١].

وهو تعقيب يأتي في أوانه: فيوقظ نفس العبد؛ ليتعاهد إيمانه، فإنها مهيِّئة للإقرار بمضمونه.. فليس هناك شيء أحق بالعبودية من الله؛ لأن العاقل يستحيل أن يسوي بين من يَخْلُق ومن لا يَخْلُق بل يُخْلَق.. فما يحتاج الأمر أكثر من تذكير، فيتضح الأمر، ويتجلىٰ اليقين.

وكذلك ذكر رسول الله ﷺ موجبات العبودية؛ فقال: «**إن الله ﷻ أمر يحيىٰ بن زكريا -عليه الصلاة والسلام- بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وأنه كاد أن يبطئ بها.**

فقال له عيسىٰ عليه السلام: إنك قد أُمِرت بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فأما أن تبلغهن أو أن أبلغهن.

فقال: يا أخي! إني أخشىٰ إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي.

قال: فجمع يحيىٰ بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس حتىٰ امتلأ

المسجد، فقعد علىٰ الشرف، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات: أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن:

أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، فإن مثل ذلك كمثل رجل اشترىٰ عبدًا من خالص ماله بورق أو ذهب؛ فجعل يعمل ويؤدي غلته إلىٰ غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك، وأن الله خلقكم ورزقكم؛ فاعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا.

وأمركم بالصلاة؛ فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم؛ فلا تلتفتوا.

وأمركم بالصيام؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرَّة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وآمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فشدوا يديه إلىٰ عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، وقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم، فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتىٰ فك نفسه.

وأمركم بذكر الله كثيرًا، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره، فأتىٰ حصنا حصينًا، فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله».

قال: وقال رسول الله ﷺ: «وأنا آمركم بخمسٍ اللهُ أمرني بهن:الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإنه من خرج عن الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه؛ إلَّا أن يراجع، ومن دعا بدعوىٰ الجاهلية؛ فهو من جُثا جهنم».

قالوا: يا رسول الله! وإن صام وصلىٰ.

فقال: «وإن صام وصلىٰ وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم علىٰ

ما سمَّاهم الله ﷻ المسلمين المؤمنين عباد الله»[(١)].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ساقه تفسيرًا لمعنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]: (هذا حديث حسن، والشاهد منه في هذه الآية قوله: «وإن الله خلقكم ورزقكم، فاعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا»)[(٢)].

قال أبو أسامة الهلالي -كان الله له-: فجعل الخلق والرزق موجبات العبودية، فتدبَّرْ!

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذَا قِيلَ لَكَ: لأيِّ شيءٍ خَلَقَك الله؟ فَقُلْ: لِعبادَتِه وطاعَتِه، واتِّباعِ أمرِه، واجتِناب نَهيِه.

وَدَليلُ العبادَةِ: قولُه تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وَدَلِيلُ الطَّاعَةِ: قولُه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]؛ يعني: كتابَ اللهِ وسنَّةَ نَبيِّه ﷺ».

فيه مسائل:

الأولىٰ: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِذَا قِيلَ لَكَ لأيِّ شَيْءٍ خَلَقَكَ الله؟»؛ فيه بيان أن الله ﷻ لم يخلق السموات والأرض وما بينهما وما فيهما إلَّا بالحق؛ قال تعالىٰ:

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٨٦٤) وغيره من حديث الحارث الأشعري ﷺ، انظر تخريجه مفصلًا في كتابي: «صحيح الأنباء المسند من أحاديث الأنبياء» (٢/ ٦٨٥/ ٢٣٩).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٦٢).

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢] ولم يخلقهما باطلًا.

ومن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد أدرك هذا الأمر بأدنىٰ تفكر، فلذلك يقول أهل العلم والإيمان كما يخبر الله عنهم: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]؛ إن جميع ما في الكون ليدل أن وراء هذه الحياة الدنيا آخرة، ويخبر بوجود إله واحد حكيم عليم يدبره، فهو يحمل دلائل الإيمان وآياته.

وإنما يدرك هذه الدلائل، ويقرأ هذه الآيات، ويرىٰ هذه الحكمة أولو الألباب الذين لا يمرون بها دون تذكُّر أو تأثُّر أو تفكُّر أو تدبُّر، ولذلك؛ فهم يدركون -أيضًا- أن الإنسان لم يخلق عبثًا ولن يترك هملًا أو يذهب سدىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

الثانية: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَقُلْ: لِعِبَادَتِهِ»؛ فيه بيان أن العبودية سر الخلق، فالله ﷻ إنما خلق الخلق لعبادته، فالعبودية هي الغاية التي خُلِق لها الجنُّ، والإنس، والخلائق أجمعون، ولذلك استدل المصنف بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وبهذا يتبين أن هناك غاية لوجود الجن والإنس؛ من قام بها وأداها كما أُمر، فقد حقق غاية وجوده، ومن قصَّر فيها، أو نكل عنها؛ فقد أهدر غاية وجوده.

هذه الغاية التي تربط الجن والإنس هي العبودية لله: أن يكون هناك رب وعبد: رب يُعْبَدُ، وعبدٌ يَعْبُدُ.

الثالثة: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وطاعته» فيه بيان أن تحقيق العبودية لا يتم إلَّا بطاعة الله على منهج رسول الله ﷺ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى»: «والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد، ولها أصلان:

أحدهما: ألَّا يُعْبَدَ إلاّ الله.

الثاني: ألَّا يَعْبُدَهُ إلاّ بما أمر وشَرع، ولا يعبده بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع.

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله.

ففي **الأول**: ألَّا نعبد إلا إياه.

وفي الثانية: أن محمدًا هو الرسول المبلِّغ عنه، فعلينا أن نصدق خبره، ونطيع أمره.

وقد بيَّن لنا ما نعبد الله به، ونهانا عن محدثات الأمور، وأخبر أنها

ضلالة[1].

وكما أننا مأمورون ألَّا نخاف إلَّا الله، ولا نتوكل إلَّا علىٰ الله، ولا نرغب إلاّ إلىٰ الله، ولا نستعين إلاّ بالله، وألَّا تكون عبادتنا إلَّا لله، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ﷺ ونطيعه، ونتأسَّىٰ به، فالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩]؛ فجعل الإيتاء لله وللرسول؛ كما قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وجعل التوكل علىٰ الله وحده بقوله: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾، ولم يقل: (ورسوله)؛ كما قال في وصف الصحابة -رضوان الله عنهم- في الآية الأخرىٰ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ومثله قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]؛ أي: حسبك وحسب المؤمنين، كما قال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

ثم قال: ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾، فجعل الإيتاء لله وللرسول، وقدم ذكر الفضل لله؛ لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وله الفضل علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾، فجعل الرغبة إلىٰ الله وحده، كما في قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الانشراح ٧-٨].

---

(١) انظر -تفضلًا- كتابي: «البدعة وأثرها السَّيئ في الأمة»، فإنه نسيج وحده فرد في بابه، ولله الحمد والمنة علىٰ الإسلام والسنة.

وقال النبي ﷺ لابن عباس: «**إذا سألت؛ فاسأل الله، وإذا استعنت؛ فاستعن بالله**»(١).

والقرآن يدل علىٰ مثل هذا في غير موضع.

فجعل العبادة والخشية والتقوىٰ لله، وجعل الطاعة والمحبة لله ورسوله، كما في قول نوح عليه السلام: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: ٣]، وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

فالرسل أُمروا بعبادة الله وحده، والرغبة إليه، والتوكل عليه، وطاعته، والطاعة لهم، فأضلَّ الشيطان النصارىٰ وأشباههم، فأشركوا بالله، وعصوا؛ فجعلوا يرغبون إليهم، ويتوكلون عليهم، ويسألونهم؛ معصيتهم لأمرهم، ومخالفتهم لسنتهم، وهدىٰ الله المؤمنين المخلصين لله: أهل الصراط المستقيم، الذين عرفوا الحق واتبعوه، فلم يكونوا من المغضوب عليهم، ولا الضالين، فأخلصوا دينهم لله، وأسلموا وجوههم لله، وأنابوا إلىٰ ربهم، وأحبوه، ورجوه، وخافوه، وسألوه، ورغبوا إليه، وفوضوا أمرهم إليه، وتوكلوا عليه، وأطاعوا رسله، وعزروهم، ووقَّروهم، وأحبوهم، ووالَوهم، واتبعوهم، واقتفَوا آثارهم، واهتدَوا بِمَنارِهم.

فالعمل الصالح: هو الإحسان، وهو فعل الحسنات، والحسنات هي: ما أحبه الله ورسوله، وهو ما أمر الله به أمر إيجاب أو استحباب.

فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ولا في صحيح السنة؛ فإنها -وإن قالها من قالها، وعمل بها من عمل- ليست مشروعة؛ فإن الله لا يحبها ولا رسوله، فلا تكون من الحسنات، ولا من العمل الصالح؛ كما أن مَن يعمل ما لا يجوز؛ كالفواحش، والظلم، ليس من الحسنات، ولا من العمل الصالح.

---

(١) مضىٰ تخريجه (ص ٣١).

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢]، فهو إخلاص الدين لله وحده.

وكان عمر بن الخطاب يقول: «اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا».

وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]: «أخلصه وأصوبه.

قالوا: يا أبا علي! ما أخلصه وأصوبه؟

قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا؛ لم يقبل حتىٰ يكون خالصًا صوابًا.

والخالص: أن يكون لله.

والصواب: أن يكون علىٰ السنة».

وذلك هو دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد إلاّ إياه، وهو حقيقة العبادة لرب العالمين.

فنسأل الله العظيم أن يثبتنا عليه، ويكمله لنا ويميتنا عليه، وسائر إخواننا المسلمين.

والحمد لله وحده، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم»[1].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا عرف هذا: فلا يكون العبد متحققًا بالعبودية إلَّا بأصلين عظيمين:

أحدها: متابعة الرسول ﷺ.

والثاني: الإخلاص للمعبود.

---

(١) «العبودية» (ص٦٧-٧٠ و١٨٥-١٩٠) باختصار وتصرف.

والناس منقسمون بحسب هذين الأصلين -أيضًا- إلىٰ أربعة أقسام:

أحدهما: أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة، وهم أهل العبودية حقيقة.

فأعمالهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله، ومنعهم لله، وحبهم لله، وبغضهم لله، فمعاملتهم ظاهرًا وباطنًا لوجه الله وحده، لا يريدون بذلك من الناس جزاءً ولا شكورًا، ولا ابتغاء الجاه عندهم، ولا طلب المحمدة، والمنزلة في قلوبهم، ولا هربًا من ذمِّهم، بل قد عدوا الناس بمنزلة أصحاب القبور، لا يملكون لهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فالعمل لأجل الناس، وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم، ورجائهم للضر والنفع منهم: لا يكون من عارفٍ بهم ألبتة، بل من جاهل بشأنهم، وجاهل بربه، فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم، ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله، وعطاءه ومنعه، وحبه وبغضه.

ولا يعامل أحدٌ الخلق دون الله إلَّا لجهله بالله وجهله بالخلق، وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله علىٰ معاملتهم.

وكذلك أعمالهم كلها وعبادتهم موافقة لأمر الله، ولما يحبه ويرضاه.

وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه، وهو الذي بَلَا عباده بالموت لأجله، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

وجعل ما علىٰ الأرض زينة لها؛ ليختبرهم أيهم أحسن عملًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

وهذا هو المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، علىٰ متابعة أمره، وما عدا ذلك؛ فهو مردود علىٰ عامله، يُردُّ عليه -أحوج ما هو إليه- هباءً منثورًا.

وفي حديث عائشة عن النبي ﷺ: «**كل عمل ليس عليه أمرنا؛ فهو رد**»[1].

وكل عمل بلا اقتداء؛ فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعدًا، فإن الله تعالىٰ إنما يُعبَدُ بأمره، لا بالآراء والأهواء.

الضرب الثاني: مَن لا إخلاص له ولا متابعة، فليس عمله موافقًا للشرع، وليس هو خالصًا للمعبود؛ كأعمال المتزينين للناس المرائين لهم بما لم يشرعه الله ورسوله، وهؤلاء شرار الخلق وأمقتهم إلىٰ الله ﷻ، ولهم أوفر نصيب من قوله: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك، ويحبون أن يحمدوا باتباع السنة والإخلاص.

وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف -من المنتسبين إلىٰ العلم والفقر والعبادة- عن الصراط المستقيم، فإنهم يرتكبون البدع والضلالات والرياء والسمعة، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الاتباع والإخلاص والعلم، فهم أهل الغضب والضلال.

الضرب الثالث: مَن هو مخلص في أعماله، لكنها علىٰ غير متابعة الأمر؛ كجهال العباد، والمنتسبين إلىٰ طريق الزهد والفقر، وكل من عبد الله بغير أمره، واعتقد عبادته هذه قربة إلىٰ الله فهذا حاله: كمن يظن أن سماع المكاء والتصدية قربة، وأن الخلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قربة، وأن مواصلة صوم النهار

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨).

بالليل قربة، وأن صيام يوم فطر الناس قربة، وأمثال ذلك.

الضرب الرابع: مَن أعماله علىٰ متابعة الأمر، لكنها لغير الله، كطاعة المرائين، وكالرجل يقاتل رياء وحمية وشجاعة، ويحج ليقال، ويقرأ القرآن ليقال، فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها، لكنها غير صالحة؛ فلا تقبل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

فكل أحد لم يؤمر إلا بعبادة الله بما أمر، والإخلاص له في العبادة»[1].

الرابعة: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واتِّباعِ أَمْرِهِ واجْتِنابِ نَهْيِهِ»؛ فيه بيان أن للعبودية ثمارًا تدل عليها وآثارًا تعرف بها، وأن ذلك هو تقوىٰ الله؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

لذلك فاعلم أخا الإيمان -أيدك الله بروح منه-: أن تزكية النفس لتفيض مكارم الأخلاق من عناصر بقاء الأمم عزيزة قوية.

إنَّما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لذلك؛ فأمر التزكية ذو بال؛ لأنه يؤثر علىٰ قيام المجتمع سلبًا وإيجابًا؛ لأن تزكية النفوس أصل تقوم عليه أوامر الله في النفس البشرية، فإذا طوعت هذه النفس علىٰ الخلق الكريم والسلوك القويم؛ فإنها راغبة في تعظيم شعائر الله، والتزام منهجه.

ومن أصدق من الله حديثًا، فهو القائل: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

والأخلاق الكريمة صلب الشريعة السمحة، وجماع الدين الذي بعث الله به

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٨٣-٨٥) بتصرف.

محمدًا ﷺ؛ فلابدَّ من تطبيع النفس عليها، حتىٰ تفلح، وتقوم علىٰ أمر الله.

ولما كانت هذه الحقيقة سنة كونية شرعية، فإن جميع المرسلين دعوا أقوامهم إلىٰ تحقيقها، والسير علىٰ هداها.

فهذا نوح -عليه الصلاة والسلام- أول رسول إلىٰ أهل الأرض يخاطب قومه قائلًا: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٥-١١٠].

وهذا هود -عليه الصلاة والسلام- ينذر قومه بالأحقاف قائلًا -كما أخبر الله عنه-: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء ١٢٣-١٣٥].

وكذلك صالح -عليه الصلاة والسلام-: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١-١٥١].

ولوط -عليه الصلاة والسلام- كذلك: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء ١٦٠-١٦٥].

وشعيب -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٨٤].

وموسىٰ -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠-١٧٢].

وقول موسىٰ -عليه الصلاة والسلام- لفرعون كما أخبر تعالىٰ عنه: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨-١٩].

وعيسىٰ - عليه الصلاة والسلام -: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الزخرف: ٦٣].

وقال تعالىٰ مخبرًا أيضًا عنه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وهذا ما سار عليه جميع المرسلين؛ كما في قوله - تعالىٰ -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥١-٥٢].

وفي الجملة؛ فالتقوىٰ هي وصية الله لجميع خلقه من الأولين والآخرين،

وبعث بها جميع رسله -عليهم الصلاة والسلام- كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

فإن قال قائل: هذه الآيات تحض علىٰ التقوىٰ؛ فما بال تزكية النفوس قد حشرت في معناها؟!

قلت: ألم تعلم يا عبد الله: أن تقوىٰ الله هي تزكية النفوس شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع؟!

إنَّ تقوىٰ الله نبع يمد النفوس بمادة تطهيرها وتزكيتها.

وإن شئت أن تسمع آيات الله التي تنتظم هذه المعاني: فقوله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠]، فهذه الآيات نص علىٰ أن العبد يزكي نفسه بتقوىٰ الله ﷻ.

وقوله ﷻ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وقوله ﷻ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٧-١٨]؛ فيهما تبيان أن تزكية النفوس تكون بتقوىٰ الله.

وانظر إلىٰ قول رسول الله ﷺ متدبرًا: «**اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها**»[1].

يتضح لك:

أنَّ تزكية النفس البشرية وتنقيتها من قبائحها، وتصفيتها من أدرانها، والسمو بها إلىٰ مكارم الأخلاق وصالحها إحدىٰ المهمات التي بعث الله من أجلها محمدًا ﷺ علىٰ فترة من الرسل، وقد نطق بذلك الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

قال تعالىٰ: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

وقال -جلَّ ثناؤه-: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال -تبارك اسمه-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

ومن ثمَّ؛ فلقد كانت هذه المهمة النبوية ركنًا في دعوة أبينا إبراهيم -عليه والصلاة والسلام-: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة ١٢٧-١٢٩].

هذه أيها المسلمون ملة أبيكم إبراهيم ﷺ ووصيته لبناء أمة مسلمة، ومن أصدق من الله قيلًا: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة ١٣٠-١٣٢].

وأما السنة المطهرة؛ ففيها الكثير الطيب؛ كقوله ﷺ: «**إنما بعثتُ لأتمم مكارم** -وفي رواية: **صالح- الأخلاق**»[1].

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص٤٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٨١) من حديث أبي هريرة ﷺ بإسناد حسن.

أفلا يدلُّ هذا كلُّه علىٰ أن تزكية النفوس لها دور هام في إنشاء مجتمع الخلافة الراشدة علىٰ منهاج النبوة، وأثر بارز في استئناف الحياة الإسلامية علىٰ منهاج الراشدين؟!

فإن قيل: هذا الحديث في ميدان الأخلاق فما بال تزكية النفوس؟!

قلت: أليست تزكية النفوس تكون بمكارم الأخلاق، والاستقامة علىٰ صالحها، والتمسك بمعاليها، والدعوة إلىٰ حسنها، وترك سفسافها؟!

وإن شئت مزيدَ بيان؛ فاعلم أنَّ رسول الله ﷺ كان قدوة حسنة، يتحرك بين الناس بمكارم الأخلاق، يرونه قائمًا علىٰ إتمامها، حتىٰ استحق أن يزكيه الله في كتابه، ويشهد له بذلك، وكفىٰ بالله شهيدًا، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقد تنوعت عبارات أهل التفسير في تأويل هذه الآية، غير أنَّ أعدل هذه الأقوال وأصحها وأجمعها ما ذكرته أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها عندما سئلت عن خلق زوجها رسول الله ﷺ فقالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»[1].

ومعنىٰ هذا: أنه ﷺ صار امتثال القرآن سجيةً له، وخلقًا تطبعه، فمهما أمره الله في القرآن: فعله، ومهما نهاه عنه: تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم والسلوك القويم، فلم يُذكَر خلقٌ جميلٌ ونعتٌ محمودٌ إلَّا وكان لرسول الله ﷺ الحظُّ الأوفىٰ والقِدْحُ المُعَلَّىٰ؛ لأنه ﷺ لم تكن له همة سوىٰ الله تعالىٰ؛ فاجتمعت فيه مكارم الأخلاق التي أرسل لإتمامها، وبعث لتثبيتها.

وبهذا؛ يتبين أنَّ الخلق العظيم الذي وصف به رسول الله ﷺ هو الدين

(١) أخرجه مسلم (٧٤٦).

الجامع لجميع ما أمر الله به ونهىٰ عنه مطلقًا، حتىٰ صارت أخلاقه المبادرة إلىٰ امتثال ما يحبه الله ويرضاه، والمسارعة إلىٰ اجتناب ما يبغضه ويكرهه، بطيب نفس، وانشراح صدر، وهذه حقيقة التقوىٰ، فقد كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وأتقاهم لله، وأعلمهم به.

فإذا كانت تزكية النفوس بتحقيق التقوىٰ من مهمات الرسل -عليهم الصلاة والسلام- التي بعثوا من أجلها، وقد شغلت حيِّزًا كبيرًا في دعوة رسول الله ﷺ وحياته، فما الذي يوصل إليها، ويدل عليها؟!

إن الذي شرع الغاية لم ينسَ الوسيلة، فقد شرع الله ﷻ وسائل تزكية النفوس، وبينها رسول الله ﷺ إلىٰ هذه الغاية.

وعند استقراء شعائر الإسلام وشرائعه كلها، وربطها بهذه الغاية: نتبين أنه ليس لتزكية النفوس أعمال خاصة من مجموع شرائع الإسلام، بل إنَّ الإسلام: عقائده، وأحكامه، وآدابه، نهايتها التقوىٰ وتزكية النفوس: لتستقيم علىٰ أمر الله أفرادًا وجماعات.

ودونك البيانَ:

التوحيد -وهو قطب رحىٰ الإيمان- تزكية للنفوس؛ لأن الاعتراف بالحق أسُّ الفضائل وأم الأخلاق، فرأس الحكمة: معرفة الله، وعبادته، ومحبته، ومخافته.

وليس هناك حق أكبر من الله، ولا أظهر منه عند كل ذي مسكة عقل: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩].

ولهذا؛ كان الشرك بالله ﷻ نجسًا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

والوضوء طهارة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

والغسل والتيمم طهارةٌ؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

واعتزال النساء في المحيض والنفاس طهرة وزكاة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ولذلك؛ جعلت أحكام الوضوء، والغسل، والتيمم، والحيض في أبواب الطهارة من كتب الفقه.

والطهارة في كلام الله ورسوله تنتظم طهارة القلب والجوارح.

أما طهارة القلوب؛ ففي قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وأما طهارة الجوارح؛ ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال: ١١].

وطهارة الجوارح مقترنة بطهارة القلوب؛ لذلك عطف علىٰ طهارة الجوارح عصمتهم من رجز الشيطان والربط علىٰ القلوب وتثبيت الأقدام: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ

رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال: ١١].

وبه نطق الكتاب العزيز: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤].

والصلاة تزكية للنفوس؛ لأنها تطهر النفس والجوارح من الفحشاء والمنكر؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والزكاة طهارة وتزكية؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٣].

والصوم تزكية؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والحج تزكية؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والنسك تزكية؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[الحج: ٣٦-٣٧].

ومكارم الأخلاق تزكية، والحكم بما أنزل الله تزكية، وجميع شعائر الله تزكية.

وعلىٰ الجملة؛ فتقوىٰ الله بتزكية النفوس هي ثمرة العبودية؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

الخامسة: قول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَدَلِيلُ العِبَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]؛ أي: يوحدون».

هذا يدل علىٰ أن رأس العبودية هو التوحيد، وبه أُرسل المرسلون وبُعث النبيون، وأُنزلت الكتب وجاهد الرسولُ الكفارَ والمشركين.

إنّ جميع الرسل -عليهم الصلاة والسلام- إنما دعوا لعبودية الله من أولهم إلىٰ خاتمهم؛ كما أخبر الله عن نوح -عليه الصلاة والسلام-: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: ١-٣].

وكذلك قال إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- فيما أخبر الله عنه: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٦-١٧].

وكذلك قال هود -عليه الصلاة والسلام- فيما أخبر الله عنه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [الأعراف: ٦٥، هود ٥٠].

وكذلك قال صالح -عليه الصلاة والسلام- فيما أخبر الله عنه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [الأعراف: ٧٣، هود ٦١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النمل: ٤٥].

وكذلك قال شعيب -عليه الصلاة والسلام- فيما أخبر الله عنه: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤].

وكذلك قال المسيح عيسىٰ ابن مريم -عليه الصلاة والسلام- فيما أخبر الله

عنه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧].

وقال خاتم النبيين محمد ﷺ فيما أخبر الله عنه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣].

وبالعبودية أرسل الله جميع الرسل -عليهم الصلاة والسلام-؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وخاطب الله المرسلين قائلًا: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥١-٥٢].

السادسة: قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَدَلِيلُ الطَّاعَةِ قَولُهُ تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ٢٠]».

فيه فوائد زوائد تدل علىٰ مراد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١- أنَّ الله ورسوله يطاعان استقلالًا؛ ولذلك أفرد الله له طاعة، ولرسوله طاعة.

٢- أنَّ طاعة الله لا تكون إلَّا بطاعة رسول الله ﷺ؛ لذلك قرن بين طاعته وطاعة رسوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

٣- أنَّ أولي الأمر طاعتهم تبعًا، وليس استقلالًا؛ ولذلك لم يفرد لهم طاعة كما أفرد لنفسه تعالىٰ ولرسوله ﷺ.

٤- هذه الآية تقضي علىٰ نظرية الإمام المعصوم عند الروافض، وما يتبع ذلك من كون الإمامة ركنًا من أركان الدين، وذلك من وجوه كثيرة نذكر منها أربعة:

أولًا: أنَّ الله ﷻ أعاد الفعل ﴿أَطِيعُواْ﴾ في قوله ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، ولم يعده في قوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾؛ لأنَّ الرسول ﷺ معصوم، ولا يأمر إلا بطاعة الله؛ ولذلك أعاد الفعل في حقه؛ فقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾؛ فإن طاعة الرسول ﷺ هي طاعة الله؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾.

وأما ولي الأمر؛ فليس بمعصوم؛ فقد يأمر بمعصية الله، فلا يطاع إلا في طاعة الله، ولو كان ولي الأمر معصومًا، أو عصمته من عصمة الرسول ﷺ؛ لأفرد له طاعة كما أفرد للرسول ﷺ طاعة.

ثانيًا: قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾؛ هذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ:١٠]؛ لأن الكتاب والسنة فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما بصريحهما، أو عمومهما، أو إيماء، أو تنبيه، أو مفهومٍ، أو عموم معنىً يقاس عليه ما أشبهه؛ ولأن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

عليهما بناء الدين.

ولذلك؛ لم يقل الله ﷻ -والله أعلم-: (وردوه إلىٰ أولي الأمر منكم)، وفي ذلك يروىٰ أثر عن مسلمة بن عبد الملك، فقد قال لأبي حازم -أحد علماء السلف الصالح-: «ألستم قد أُمرتم بطاعتنا بقوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

فقال له أبو حازم: «أليس قد نزعت الطاعة عنكم إذا خالفتم الحق؛ بقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: القرآن، ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: في حياته، وإلىٰ أحاديثه بعد وفاته».

فعلم بذلك: أن ولي الأمر يمكن أن يخالف الحقَّ؛ فلذلك نزعت الطاعة عنه عندما يقع في مخالفة الحقِّ، وهذا يعني: أنه لا عصمة لولي الأمر.

ثالثًا: الإطلاق في طاعة أولي الأمر مقيدة بعشرات الأحاديث كقوله ﷺ: «**ما لم يأمر بمعصية**»[(١)].

وقوله ﷺ: «**إنما الطاعة في المعروف**»[(٢)].

وقوله ﷺ: «**لا طاعة في معصية الله**»[(٣)].

وسبب نزول هذه الآية: أنها نزلت في عبد الله بن حذافة ﷺ وأصحابه في القصة المعروفة[(٤)]، وهذا دليل آخر علىٰ أنها مقيدة في المعروف وليس علىٰ إطلاقها، كما هو مقرر عند الأصوليين أن السياق والسباق من المقيدات، وهذا يدل علىٰ أن ولي الأمر ليس بمعصوم.

---

(١) البخاري (١٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٣٩) من حديث عبد الله بن عمر ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٦)، والطيالسي (٨٥٠)، والبزار في «مسنده» (٣٥٩٩) وهو صحيح له شواهد عن جماعة من الصحابة ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٨٤)، ومسلم (١٨٣٤) من حديث عبد الله بن عباس ﷺ.

رابعًا: ومربط الفرس وقطب الرحىٰ -كما يقولون- هو قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، وهذا صريح أو كالصريح في أن ولي الأمر ليس بمعصوم، ولا يجوز الرد إليه في مسائل الخلاف والنزاع، وذلك من وجهين مهمين:

أ أن الله أمر بالرد إليه -أي: إلىٰ كتابه- وإلىٰ رسوله -أي: إلىٰ سنته-، فالعصمة من الخلاف والاختلاف في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ كما قال ﷺ في حجة الوداع من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «**تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنتي**»[1]، ولم يأمر الله بالرد إلىٰ أولي الأمر؛ لأنهم ليسوا بمعصومين، هذا أولًا؛ ولأن النزاع قد يكون معهم ثانيًا.

ب- أنَّ (الحَكَمَ) لا يجوز أن ينازعه أحد؛ أو يخالفه شخص، وإلا لما كان حكمًا؛ ولذلك أمر بالرد إلىٰ الكتاب والسنة، فهما (الحَكَمُ الفصْلُ) ولو كان وَلِيُّ الأَمرِ (حَكمًا) لرُدَّ إليه في مواطن النزاع، فلمَّا لم يقل ذلك: تبين أن أولي الأمر ليسوا (حَكمًا) في مواطن الخلاف، فنُزعت عنهم العصمة.

وإذا بطل القول بعصمة أولي الأمر -وهم: الاثنا عشر عند الشيعة الروافض-؛ فإنه يسقط القول بالإمامة المزعومة لآل البيت الأطهار جملة وتفصيلًا، ويظهر بذلك صحة خلافة الخلفاء الراشدين الذين سبقوا عليًّا رضي الله عنه في الخلافة، ويكون تأخر علي رضي الله عنه عن مطالبته في ذلك ليس جبنًا ولا خوفًا، وإنما لاعتقاده بصحة خلافة من تقدمه، وأنه لا يقدَّم عليهم، فقد خطب علىٰ منبر

---

(١) صحيح لغيره: أخرجه الحاكم (١/ ٩٣)، وابن نصر في «السنة» (ص ٢١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ١١٤)، و«دلائل النبوة» (٥/ ٤٤٩)، وابن حزم في «الإحكام» (٦/ ٨٢).

الكوفة، فقال: «لا يفضلني أحد علىٰ أبي بكر وعمر؛ إلا جلدته حدَّ المفتري»[1].

وهذا واضح بَيِّنٌ لا لبس فيه، ولا خفاء يعتريه، ولا غموض يأتيه، لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

* قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِذَا قِيلَ لَكَ: أيُّ شَيءٍ أَمَرَك اللهُ بِهِ وَنهاكَ عَنه؟ فَقُلْ: أَمَرَنِي بالتَّوحِيدِ، وَنهانِي عن الشِّرك، ودَلِيلُ الأَمْرِ قَوْلُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وَدَلِيلُ النَّهْيِ عن الشِّرْكِ قَوْلُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فيه مسائل:

الأولىٰ: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإِذَا قِيلَ لَكَ: أَيُّ شَيءٍ أَمَرَك اللهُ بِهِ، وَنهاكَ عَنه» يفيد أنَّ حكمة العلي العظيم أن يكون الإنسان مكلفًا مختارًا: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ولما كان التكليف يستلزم طريقين؛ ليتم الاختيار: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]؛ فقد أمر الله العبدَ ونهاه، فأمَرَهُ بـ (افعل)، ونهاه بـ (لا تفعل).

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٢١٩)، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الفضائل» (٤٩) وغيرهم، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية.

وهذا واضح جلي في قصة الأبوين: آدم وحواء -عليهما الصلاة السلام-؛ فقد أمرهما الله بالسكنىٰ في الجنة، وتناوُل ما شاءا منها رغدًا، ونهاهما عن الاقتراب من شجرة الابتلاء: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وكان ذلك سنة الله ﷻ في ذرية آدم -عليه الصلاة والسلام-؛ فابتلاهم بالأوامر والنواهي.

الثانية: تنبيهه علىٰ أهمية العلم بالمقاصد الشرعية.

إن المسلم يتلقىٰ التكاليف الشرعية بقناعة بأهميتها، وبيقين بأحقيتها، ويطبقها وهو مملوء الثقة بخيريتها، وإنَّ الذي شرعها هو العالم بالإنسان، الخبير بما يصلحه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

إلا أنَّ ذلك لا يمنع من التماس الحكمة من تشريعها، ومعرفة العلة التي يدور عليها الحكم؛ لأن ذلك يستلزم سلامة التطبيق العملي للتكاليف الشرعية.

والأعمال الشرعية ليست مقصودة لذاتها، وإنما قصد بها أمور أخرىٰ هي معانيها، والمصالح التي شرعت لأجلها: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج:٣٦-٣٧].

ومن هنا نجد أنَّ كثيرًا من الأحكام الشرعية جاءت معلَّلة، ووردت مقرونة بذكر الحكمة من تشريعها، وفي سائر المجالات؛ في الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والقصاص، وغير ذلك كثير.

فالشريعة إذن ليست تعبدية تحكمية: تحلِّل وتحرِّم دون مقاصد من وراء أمرها ونهيها وحظرها وإباحتها.

إن أحكام الشريعة الإسلامية في جملتها معللة عند جماهير العلماء، ولها مقاصد في كل ما شرعته.

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذن ثبت أنَّ الشارع قد قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية والدنيوية، وذلك علىٰ وجه لا يختل لها به نظام، لا بحسب الكل ولا بحسب الجزء، وسواء في ذلك ما كان قبيل الضروريات أو الحاجيات أو التحسينات...

فلابدَّ أن يكون وصفها علىٰ ذلك الوجه أبديًّا وكليًّا وعامًّا في جميع أنواع التكاليف والمكلفين وجميع الأحوال، وكذلك وجدنا الأمر فيها والحمد لله»[1].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ الشريعة مبناها وأساسها علىٰ الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها؛ ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلىٰ الجور، وعن الرحمة إلىٰ ضدها، وعن المصلحة إلىٰ المفسدة، وعن الحكمة إلىٰ العبث، فليست من الشريعة، وإن دخلت فيها بالتأويل»[2].

الثالثة: إنَّ قضية الحكم والشريعة والتقاضي ينبغي أن تكون لله وحده، لا للأهواء المتقلبة، أو المصالح المضطربة، أو للعرف الذي يصطلح عليه جيل أو أجيال، ولا يرجع إلىٰ أصل ثابت في شرع الله، وهذا من المعلوم ضرورة في مسائل الإيمان؛ لأنه يقوم علىٰ جملة اعتبارات منها:

---

(١) «الموافقات» (٢/ ٣٧- ط دراز).

(٢) «إعلام الموقعين» (٣/ ١٤ -ط المكتبة العصرية).

١- أنها تنبني على الإقرار بربوبية الله:

فهو الخالق الذي خلق كل شيء، وله ملك السموات والأرض وما بينهما: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهو الرازق؛ فهل يملك أحد أن يرزق نفسه أو غيره: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٧-٥٨].

وهذا يقتضي الحكم أن يكون له وحده لا شريك له؛ لأن موجبات العبودية -أعني: الخلق والرزق- تستلزم أن يعبد الله وحده، ومن ذلك أن يكون الحكم لله وحده: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠].

٢- الأفضلية المقطوع بها لدين الله على قوانين البشر:

هذه الأفضلية التي يشير إليها قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

٣- من المعلوم بداهة لذوي العقول السليمة وأولي الفطر المستقيمة: أنَّ الصنعة لا تجعل لنفسها بنفسها قانونًا تسير عليه، وتتحرك إليه، وإنما الذي يضع لها ما لها هو صانعها الذي ابتدعها وأبدعها؛ ولذلك؛ فمن الجهل: أن يتصور الإنسان أنه بمقدوره أن يجعل لنفسه سننًا يسير عليها لا تحيد، ولا يأتيها النقص من أطرافها، أو يتولد الخلل من أنصافها، أو لا يكون العجز من أكبر أوصافها، ومن ذلك؛ فلابدَّ من الرجوع إلى شرع الله الذي خلق الإنسان، ويعلم ما يصلح الإنسان، وما يصلح عليه حاله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

٤- من قدَّرَ الشريعة حقَّ قَدْرِها عَلِمَ أنَّ مبناها على الحكم ومصالح العباد في الدنيا والآخرة؛ فهي عدل الله بين عباده، ورحمته في خلقه؛ فمن استقام عليها نال حياة القلوب، وظفر بِقُرَّةِ العيون، واعتصم بالعروة الوثقى؛ لأنها العصمة من

كلِّ شر، والسبب في كلِّ خير، وكلِّ نقص في العالم؛ فسببه من إضاعتها.

وعجبي لا ينقضي من قوم هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، لا يرون تمام الترقي إلا في العيش علىٰ فتات موائد الكفار وعبدة الأصنام؛ لظنهم أنهم بلغوا الغاية القصوىٰ في التمدن والترقِّي، وتناسىٰ هؤلاء أنَّ هؤلاء الكفار قصروا نظرهم علىٰ الدنيا؛ فهي أكبر همهم، ومبلغ علمهم: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٦-٧].

هؤلاء يؤذون أنفسهم وأمتهم؛ لأنهم بدَّلوا نعمة الله نكرًا، وأحلوا قومهم أخس المنازل؛ فينبغي الأخذ علىٰ أيديهم بالتي هي أحسن للتي هي أقوم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

إنَّ الله ﷻ لم يحوجنا إلىٰ شيء من الكتب الإلهية السابقة، بل نَحَلَنا كتابًا مفصلًا لكل شيء علىٰ علم من الله -تبارك وتعالىٰ- فكيف يحوجنا إلىٰ شيء من قوانين البشر وأوضاعهم وأحوالهم وسياساتهم؟! حاشىٰ لله ومعاذ الله!

وهذا من كمال أمة الإسلام وفضلها علىٰ مَن قبلها مِن الأمم؛ فإنها لكمال نبيها وكمال شريعتها لا تحتاج إلىٰ أمر خارج عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهما عصمة الناس، وقوام العالم، وقطب السعادة في الدنيا والآخرة... فهل من مُدَّكر؟!

٥- التبست مسألة الحكم علىٰ كثير من الحزبيين والحركيين؛ فجعلوها أصل الإيمان وتفسير كلمة التوحيد؛ فمن تركها نقض إيمانه، وتلاشىٰ إسلامه.

وهؤلاء القوم انقلبت لديهم الوسائل غايات، وصارت الغايات من الأمور الخلافيات؛ فإن مسألة الحكم وسيلة؛ لإقامة العبودية لله وحده لا شريك له في دنيا

الناس، وهم جعلوها غاية، وقلبوها هدفًا، بل كثير من غلاة دعاتهم جعلها قسيمًا رابعًا لأقسام التوحيد، وسماه: (توحيد الحاكمية) وهو تقسيم محدث مبتدع؛ لأنه تقسيم سياسي لا اصطلاحي.

ومسألة الحكم لله من لُباب العقيدة السلفية، لكنها متجاذبة بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، فإن نظرنا إليها من جهة تعلُّقها بأفعال الرب -تبارك وتعالىٰ-: فهي من توحيد الربوبية، وإن نظرنا إليها من جهة تعلقها بأفعال العبد واستجابته لله؛ فهي من توحيد الإلهية، والله أعلىٰ وأعلم.

الرابعة: ولذلك قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فَقُلْ: أَمَرَني بالتَّوحيدِ وَنَهاني عن الشِّرْكِ**»؛ ليعلم المكلفين أنّ أعظم الأوامر وأعلاها: (التوحيد)، وأشد المناهي وأغلظها: (الشرك)، وأن كل معروف تبع للتوحيد وفرع عليه، وكل منكر تبع للشرك وفرع من فروعه كل بحسبه.

الخامسة: ثم استدل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ الأمر بالتوحيد بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

ووجه دلالة الآية علىٰ التوحيد:

أنَّ العدل هو التوحيد، والإحسان، هو: أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك.

وهذا أسمىٰ مقامات الدين، وأرقىٰ منازل اليقين.

والعبودية لرب العالمين غاية كمال المتقين، ونهاية شرف المخلصين، فقد جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العبودية وصف أكمل خلقه، وأقربهم إليه، فقال تعالىٰ عن المسيح عيسىٰ بن مريم -عليه الصلاة والسلام- الذي ادعت النصارىٰ الحيارىٰ فيه

الإلهية والنبوة:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا﴾ [النساء: ١٧١-١٧٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف:٥٧-٥٩].

وبها افتتح المسيح -عليه الصلاة والسلام- كلامه وهو في المهد، فقال تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ [مريم: ٣٠].

فانظر -رحمك الله- كيف جعل غايته العبودية لا الإلهية؛ كما يقول أعداء الله النصارىٰ.

ووصف الله أكرم خلقه عليه، وأقربهم منزلة وأعلاهم، وأقربهم نزلًا إليه محمدًا ﷺ بوصف العبودية في أشرف مقاماته، وأكمل حالاته:

فقال في حال الإسراء: ﴿سُبۡحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وقال في حالة النصر: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقال في حال العصمة والكفاية والرعاية: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقال في حال الصلاة والسجود والقرب إلىٰ الله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ إلىٰ قوله: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق: ٩-١٩].

وقال في مقام الإيحاء: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

وقال في مقام إنزال الكتاب عليه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١].

وقال أيضًا: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقال أيضًا: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩].

وقال في مقام الدعوة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

وقال في مقام التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

وبالعبودية وصف الرسول ﷺ نفسه في جميع أحواله وأفعاله:

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «**آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، فإنما أنا عبد**»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها: «أنَّ نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتىٰ تتفطر قدماه».

---

(١) أخرجه البغوي في «شرح السنة» (٢٨٣٩)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (ص٦٠)، وصححه بشواهده شيخنا الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٥٤٤).

فقالت عائشة: لم تصنع ذلك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

قال: «**أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا**».

فلمَّا كثر لحمه صلىٰ جالسًا، فإذا أراد أن يركع قام، فقرأ، ثم ركع[1].

وأمرنا رسول الله ﷺ أن نصفه بالعبودية، ولا نتجاوز هذا المقام؛ لئلا تزل أقدام، وتضل أفهام.

عن ابن عباس رضي الله عنهما سمع عمر رضي الله عنه يقول علىٰ المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تطروني؛ كما أطرت النّصارىٰ ابن مريم؛ فإنما أنا عبد؛ فقولوا: عبد الله ورسوله**»[2].

وفي هذا المقام حلَّت رحال النَّبيين -عليهم الصلاة والسلام- وأناخت ركائب المرسلين من أولهم إلىٰ خاتمهم.

قال تعالىٰ عن نوح -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ [ص: ٤١].

وقال: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥].

وبها أيضًا وصف الله داود وسليمان ويوسف وهارون وإسماعيل وإلياس وكل والمرسلين: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١].

وبذلك وصف ملائكته فقال سبحانه: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِنْدَهُ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠) ومسلم (٢٨٢٠)، وفي الباب عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عند البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[1] [الأنبياء: ١٩-٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

ونعت صفوة خلقه بالعبودية له؛ فقال تعالىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقال أيضًا: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦].

وحسبك أنَّ الرسول ﷺ جعل إحسان العبودية أعلىٰ مراتب الدين، فقال في حديث جبريل الطويل وقد سأله عن الإحسان:

«أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[2].

السادسة: ثم استدل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ النهي عن الشرك بقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ وبقوله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾.

---

(١) قال ابن قيم الجوزية في «مدارج السالكين» (١/ ١٠٢): «وهذا يُبيِّن أنّ الوَقفَ التام في سورة الأنبياء ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ هَاهُنا، ثم يبتدئ ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ فهما جملتان مستقلتان؛ أي: أن له من في السموات ومن في الأرض عبيدًا أو ملكًا، ثمَّ استأنف جملة أخرىٰ، فقال: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾؛ يعني: الملائكة الذين عنده لا يستكبرون عن عبادته يعني لا يأنفون عنها، ولا يتعاظمون، ولا يستحسرون، فيعيون وينقطعون -يقال: حسر واستحسر، إذا تعب وأعيا-، بل عبادتهم وتسبيحهم كالنَّفسِ لبني آدم.

فالأول: وصف لعبيد ربوبيته.

والثاني: وصف لعبيد إلهيته».

(٢) أخرجه مسلم (٨).

وقد حرم الله الشرك وغلظه، وبين أنه أكبر الكبائر.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»[(١)]، قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف**[(٢)]**، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**[(٣)]»[(٤)].

عن أبي بكرة ﷺ قال: قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر** (ثلاثًا)؟»، قالوا:

---

(١) الكبائر المهلكات، وهي أكثر من المذكورات، ومن تتبع القرآن والسنة وجدها كذلك، وانظر -تفضلًا- كتابي: «غيث النفع شرح حديث اجتنبوا الموبقات السبع» يسَّر الله نشره علىٰ خير وبركة.

(٢) الفرار من المعركة عند التقاء الجمعين، والتحام الجيشين: المسلم والكافر غير متحرف لقتال أو متحيز لفئة مؤمنة.

(٣) الحرائر العفيفات الغافلات عن الفواحش، ولا يختص بالمتزوجات بل حكم الأبكار كذلك، وقذف الرجال كذلك.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٦٦) ومسلم (٨٩).

بلىٰ يا رسول الله!. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» وجلس وكان متكئًا[١] فقال: «**ألا وقول الزور**». قال: فما زال يكررها حتىٰ قلنا: ليته سكت[٢].

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: أيُّ الذنب عند الله أكبر؟قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**». قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم**[٣] **معك**». قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني**[٤] **حليلة**[٥] **جارك**»[٦].

قال: ونزلت هذه الآية تصديقًا لقول رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا، وأدىٰ زكاة ماله طيبًا بها نفسه محتسبًا، وسمع وأطاع، فله الجنة** -أو: دخل الجنة-، **وخمسٌ ليس لهن كفارة: الشرك بالله** ﷻ، **وقتل النفس بغير حق، أو نهب مؤمن، أو الفرار يوم الزحف، أو يمين صابرة**[٧] **يقتطع بها مالًا بغير حق**»[٨].

عن أبي الدرداء ﷺ قال: أوصاني خليلي ﷺ أن: «**لا تشرك بالله شيئًا وإن قطعت وحرقت، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدًا؛ فمن تركها متعمدًا؛ فقد برئت**

---

(١) مضطجعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٨). وقول الصحابة ﷺ: «ليته سكت» شفقة علىٰ رسول الله ﷺ، وكراهية لما يزعجه.

(٣) يأكل.

(٤) تزني بها برضاها.

(٥) زوجته، وسميت بذلك، لأنها تَحِلُّ له، أو تَحُلُّ معه، ويَحُلُّ معها.

(٦) أخرجه البخاري (٤٧٦١)، ومسلم (٨٦).

(٧) هو أن يحبس نفسه علىٰ اليمين الكاذبة غير مبال بها.

(٨) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٣٦١-٣٦٢) بإسناد حسن.

منه الذِّمَّة، ولا تشرب الخمر؛ فإنها مفتاح كلِّ شرٍّ»[1].

وهذه الآيات والأحاديث تدل علىٰ تغليظ الشرك، وفيها أحكام متعلقة بذلك، منها:

١- من مات وهو كافر أو مشرك أو مرتد لا يصحُّ منه التقرب بالأفعال الجميلة؛ كالصدقة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، وغيرها؛ لأن من شرط التقرب أن يكون عارفًا لمن يتقرب، والكافر ليس كذلك؛ فعمله محبط.

قال ﷻ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال -جلَّ ثناؤه-: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧].

وقال -تبارك اسمه-: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٧].

وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [محمد: ٣٤].

ولقد بلغ الخطاب الإلهي ذروته في تقرير هذه الحقيقة الشرعية، وهو يخبر عن الرسل عليهم السلام علىٰ سبيل التغليظ علىٰ أممهم؛ فالرسل علىٰ شرف منزلتهم لو

(١) حسن لغيره: أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٤) بإسناد ضعيف، وله شواهد عن معاذ، وأميمة مولاة النبي ﷺ، وفي أسانيدها مقال، لكن الحديث بمجموع ذلك حسن، والله أعلم.

أشركوا لحبط عملهم، فكيف أنتم أيها الناس؟! لكنهم لا يشركون لعلوِّ مرتبتهم؛ ولأن الردة تستحيل منهم شرعًا؛ فهم المعصومون الذين عصمهم الله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال ﷺ: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه، نادىٰ مناد: من كان قد أشرك في عمل عمله لله أحدًا، فليطلب ثوابه عنده، فإن الله أغنىٰ الأغنياء عن الشرك**»[(١)].

٢- الذين ماتوا علىٰ كفرهم، لكنهم عملوا بعض الأمور الحميدة لا يضيِّع الله ذلك عليهم، بل يجازيهم عليها في الدنيا؛ قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[هود: ١٥-١٦].

عن أنس ﷺ قال: قال ﷺ: «**إنَّ الله لا يظلم مؤمنًا حسنته، يعطىٰ بها** -وفي رواية: **يثاب عليها**- **الرزق في الدنيا، ويجزىٰ بها في الآخرة، وأما الكافر؛ فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتىٰ إذا أفضىٰ إلىٰ الآخرة**[(٢)] **لم يكن له حسنة يجزىٰ بها**»[(٣)].

٣- الكافر إذا أسلم ومات علىٰ الإيمان كَفَّر الله عنه سيئاته، وكتبت له حسناته التي عملها في جاهليته، وبذلك جاءت النصوص الصريحة عن الصادق المصدوق ﷺ.

---

(١) صحيح لغيره: أخرجه الترمذي (٣١٥٤)، وابن ماجه (٤٢٠٣)، وأحمد (٤/ ٢١٥) من حديث أبي سعيد أبي فضالة الأنصاري بإسناد حسن.

(٢) صار إليها.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٠٨).

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال ﷺ: «**إذا أسلم العبد؛ فحسن إسلامه؛ كتب الله له كلَّ حسنة كان أزلفها، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها، ثم كان بعد ذلك القصاص الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها**»(١).

وعن حكيم بن حزام ﷺ قال لرسول الله ﷺ: أي رسول الله، أرأيت أمورًا كنت أتحنَّثُ بها في الجاهلية: من صدقة، أو عتاقة، أو صلة رحمٍ: أفيها أجرٌ؟ فقال ﷺ: «**أسلمت علىٰ ما أسلفت من خير**»(٢).

وعن عائشة ﷺ قالت: يا رسول الله! ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم؛ ويطعم المساكين: فهل ذاك نافعه؟ قال: «**لا إنه لم يقل يومًا:رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»(٣).

فهذا عبد الله بن جدعان: الذي كان كثير الإطعام، حتىٰ أنه اتخذ للضيفان جفنة يرقىٰ إليها بسلم، لم ينفعه ذلك في الآخرة؛ لكونه مات وهو كافر جاحد بيوم البعث والنشور.

هذا هو الحق الذي تقرره الأدلة الشرعية الصحيحة الكثيرة: أن الكافر إذا أسلم نفعه عمله الصالح في الجاهلية، بخلاف إذا مات علىٰ كفره، فإنه لا ينفعه بل يحبط بكفره، ولكن يجازىٰ علىٰ عمله الصالح شرعًا في الدنيا، فلا تنفعه حسناته شيئًا في الآخرة، ولا يخفف عنه العذاب بسببها فضلًا عن أن ينجو منه.

فإذا علمت أيها المسلم هذه الحقائق تبين لك خطأ بعض المسلمين الذين

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤١) معلقًا، ووصله النسائي (٨/ ١٠٥-١٠٦) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٣٦)، ومسلم (١٢٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٤).

يقولون -في لحظة غفلة أو جهل- إذا رأوا انحرافًا من المسلمين عن الأخلاق الحسنة والخصال الجميلة: النصارىٰ واليهود أفضل من هؤلاء -ويعنون الجفاة من المسلمين-.

وكذلك قول بعض المسلمين -الذين يتألون علىٰ ربهم-: والله لن يدخل مكتشف البنسلين أو مخترع الهاتف النار، يكفيه هذه الخدمة العظيمة التي قدمها للبشرية، وخفف عليها آلامها!!

ليس بأمانيكم؛ فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وهؤلاء الكفار لا يقبل منهم صرف ولا عدل؛ لأنهم أذهبوا طيباتهم في الحياة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام:

* قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الأَصْلُ الثَّاني: إذَا قيلَ لَكَ: ما دينُك؟ فَقُلْ: ديني الإسْلامُ، وَهُوَ: الإسلامُ والإذعانُ والانقِياد إلىٰ الله تعالىٰ، والدَّلِيلُ قَوْلُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾** [آل عمران:١٩]، **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾** [آل عمران: ٨٥].

وهو مبني علىٰ خمسة أركان:

أولها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا».

فيه مسائل:

الأولىٰ: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الأصل الثاني**»؛ أي: من الأصول الثلاثة الواجب معرفتها علىٰ المسلم، وجعل الدين الأصل الثاني؛ لأنه الرسالة، وهي: الواسطة بين المُرسِل، وهو الله، والمُرسَل، وهو: محمد رسول الله ﷺ.

الثانية: قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إذا قِيلَ لَكَ: ما دينُكَ؟ فَقُل: ديني الإسْلامُ**» يتضمن مراتب:

١- معرفة دين الإسلام بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٢- مراتب دين الإسلام وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

وقد تضمنها حديث جبريل -عليه الصلاة والسلام- .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل: شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرىٰ عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتىٰ جلس إلىٰ النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه، ووضع كفيه علىٰ فخذيه.

وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام؟

فقال رسول الله ﷺ: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**».

قال: صدقت.

قال: فعجبنا له: يسأله ويصدقه!

قال: فأخبرني عن الإيمان؟

قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر: خيره وشره**».

قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان؟

قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك**»[1].

فمراتب الدين هي: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

وهي دوائر متداخلة؛ أي: دائرة الإيمان وسط دائرة الإسلام، ودائرة الإحسان وسط دائرة الإيمان.

فمن خرج من الإحسان يخرج إلىٰ دائرة الإيمان، ومن خرج من دائرة الإيمان يخرج إلىٰ دائرة الإسلام.

سئل جعفر بن محمد عن حديث: «**لا يزني الزاني حين يزني**»[2]: فخط دائرة في الأرض وقال: «هذه دائرة الإيمان، ثم خط دائرة أخرىٰ خارجةً عنها وقال: هذه

---

(١) مضىٰ تخريجه (ص ٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

دائرة، فإذا زنىٰ العبد خرج من هذه ولا يخرج من هذه»[١].

الثالثة: معنىٰ الإسلام: والإسلام مأخوذ من أسلم الشيء؛ إذا انقاد وخضع، ولذلك؛ فهو إسلام الوجه والقصد والنية لله، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٢]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥].

وقد عرَّفه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «وهو الاستسلام والإذعان والانقياد إلىٰ الله تعالىٰ».

أي: الاستسلام لله بالتوحيد حيث يستسلم العبد لربه استسلامًا شرعيًّا، وذلك بتوحيد الله ﷻ، وإفراده بالعبودية، وهذا الإسلام هو الذي يحمد عليه العبد ويثاب عليه.

أما الاستسلام القدري، فلا ثواب فيه؛ لأنه لا حيلة للإنسان فيه؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وهذا خضوع لله بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

وأما الانقياد بالطاعة؛ وذلك: بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، والإذعان لحكمه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وهذا يقتضي البراءة من الشرك: أن يتبرأ العبد من الشرك والطاغوت، وهذا يستلزم البراءة من أهله: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

---

(١) انظر «روضة المحبين» للإمام ابن قيم الجوزية (ص٣٦).

ولا يكون العبد مسلمًا حتىٰ يحقق هذه الصفات:

١- الاستسلام لله بالتوحيد.

٢- الانقياد له بالطاعة.

٣- البراءة مما يضاد التوحيد والطاعة، وهو، الشرك.

٤- البراءة من أهل الشرك.

وهذه الصفات مأخوذة من قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وقوله ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

الرابعة: لكل مرتبة من هذه المراتب أركان؛ كما بينها حديث جبريل -عليه الصلاة والسلام-؛ فعن ابن عمر ﷺ: قال النبي ﷺ: «**بني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا**»[(١)].

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد من الحديث:

أنَّ الإسلام مبني علىٰ هذه الخمس؛ فهي كالأركان والدعائم لبنيانه، والمقصود: تمثيل الإسلام ببنيان، ودعائم البنيان هذه الخمس، فلا يثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمَّة البنيان وهو قائم، لا ينقص بنقص ذلك، بخلاف نقص هذه الدعائم الخمس، فإنَّ الإسلام يزول بفقدها جميعها بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ٧٨-٧٩ - المنتقىٰ).

الخامسة: استدل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ على أنَّ الدين هو الإسلام بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وبقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وفيه فوائد؛ منها:

١ - أنَّ دين الأنبياء واحد، وإن كانت شرائعهم مختلفة.

عن أبي هريرة: «**الأنبياء كلهم إخوة لعلاتٍ، أمهاتهم شتىٰ، ودينهم واحد، وأنا أولىٰ الناس بعيسىٰ بن مريم، إنه ليس بيني وبينه نبي، وإنه نازل فيكم، فإذا رأيتموه، فاعرفوه: رجل مربوع إلىٰ الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأنَّ رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس علىٰ** -وفي رواية: فيدعو الناس إلىٰ- **الإسلام.**

يدقُّ الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، وتقع الأمنة في الأرض حتىٰ ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصِّبيان بالحيَّات؛ فلا تضرُّهم، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثمَّ يتوفَّىٰ، فيصلِّي عليه المسلمون -صلوات الله عليه-»[1].

فهذا الحديث يدلُّ علىٰ أمور، منها:

١- أن الأنبياء شرائعهم مختلفة حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية؛ قال تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).

مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٦٧].

دينهم واحد، وهو التوحيد.

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]؛ يعني: الذي جاء به محمد ﷺ، وهو دين الأنبياء من أولهم إلىٰ آخرهم، ليس لله دين سواه، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد دل قوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ علىٰ أنه دين جميع أنبيائه ورسله وأتباعهم من أولهم إلىٰ آخرهم، وأنه لم يكن لله -قط- ولا يكون له دين سواه، قال أول الرسل نوح: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢].

وقال إبراهيم وإسماعيل: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وقال موسىٰ لقومه: ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقالت ملكة سبأ: ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل: ٤٤].

فالإسلام دين أهل السموات، ودين أهل التوحيد من أهل الأرض، لا يقبل الله من أحد دينًا سواه، فأديان أهل الأرض ستة: واحد للرحمن، وخمسة للشيطان

فدين الرحمن هو الإسلام والتي للشيطان: اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، والصابئة، ودين المشركين»[١].

ومن استقرأ كتاب الله، وجد أن الأمور كذلك:

هذا نوح عليه السلام يقول: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وهذا إبراهيم يقول الله تعالىٰ عنه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يدعوان الله فيقولان: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وفي سورة البقرة توضيح شاف لدين إبراهيم عليه السلام، ويعقوب عليه السلام وبنيه بني إسرائيل (الأسباط).

يقول تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢].

وهذا يوسف عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وهذا موسىٰ عليه السلام الذي ينتمي إليه -زورًا- اليهود يخاطب بني إسرائيل:

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٤٧٦).

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤].

وهذا سليمان عليه السلام وهو من أنبياء بني إسرائيل يخاطب ملكة اليمن باسم الإسلام، ويرسل كتابه: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣٠-٣١].

وأتباع الرسل قاطبة يعلنون انتماءهم للإسلام:

يقول السحرة لفرعون: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

ويقول الله عن الحواريين: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١].

بل إن القضية واضحة عند فرعون... قال تعالىٰ عنه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠].

والمؤمنون من أهل الكتاب في عهد النبي محمد ﷺ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٢-٥٣].

أما الكافرون من أهل الكتاب؛ فيريدون أن يلبِّسوا علينا ديننا، وأن نتبع أهواءهم، يقول الله تعالىٰ عنهم: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٥-١٣٧].

فالقسمة ثنائية: إما دين الإسلام، أو أديان الكفر؛ قال تعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

٢- أنَّ الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لهذه الأمة المرحومة.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

٣- الدين المعتبر عند الله تعالىٰ هو الإسلام المنزل، وليس الإسلام المبدل، أو الإسلام المؤول.

فإن الدين المنزل، هو: ما جاء في الكتاب والسنة بفهم الصحابة الكرام، ومن تبعهم بإحسان من سلف الأمة.

وأما الدين المؤوَّل؛ فهو: اجتهادات أهل العلم وفهومهم، وأقوال العلماء ليست دليلًا، وإنما هي وسائل لفهم النصوص الشرعية، ومن المجمع عليه عند أهل الإسلام: أن أقوال الرجال ليست معصومة وليست دليلًا، وإنما المعصوم والدليل هو الكتاب والسنة.

وأما العلماء فما أصابوا فيه فلهم أجران، وما أخطئوا فيه؛ فلهم أجر.

وأما الدين المبدل؛ فهو: المحرف والمبتدع، وهو المقصود بقوله تعالىٰ: ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولفظ الشرع في عرف الناس علىٰ ثلاثة معانٍ:

الشرع المنزل: وهو ما جاء به الرسول ﷺ: وهذا يجب اتباعه، ومن خالفه: وجبت عقوبته.

والثاني: الشرع المؤوَّل: وهو آراء العلماء المجتهدين فيها، كمذهب مالك

ونحوه، فهذا يسوغ اتباعه، ولا يجب، ولا يحرم، وليس لأحد أن يلزم عموم الناس به، ولا يمنع الناس منه.

والثالث: الشرع المبدل وهو الكذب على الله ورسوله، أو على الناس بشهادات الزور ونحوها والظلم البين، فمن قال: إن هذا من شرع الله؛ فقد كفر بلا نزاع؛ كمن قال: إنَّ الدم والميتة حلال، ولو قال: هذا مذهبي، ونحو ذلك»[1].

* **قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأمّا دَليلُ الشَّهادَةِ؛ فَقَوْلُه تعالىٰ:** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]».

فيه مسائل:

الأولىٰ: المراد من الشهادتين: الإيمان بالله ورسوله.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففي رواية لحديث ابن عمر ذكرها البخاري تعليقًا: «**بني الإسلام علىٰ خمس: الإيمان بالله ورسوله**»، وفي رواية لمسلم: «**علىٰ خمس: علىٰ أن تُوحِّد الله** عَزَّ وَجَلَّ »، وفي رواية له: «**علىٰ أن تعبد الله وتكفر بما دونه**».

وبهذا يعلم: أنَّ الإيمان بالله ورسوله داخل ضمن الإسلام»[2].

الثانية: دلالة الآية علىٰ توحيد الله؛ ففيها شهادة الله لنفسه بأنه لا إله إلا هو، وشهادة الملائكة وشهادة أهل العلم بذلك، وأنه تعالىٰ قائم بالعدل.

وهذه شهادة أعظم شهادة؛ لعظم الشاهد والمشهود به؛ فالشاهد، هو: الله، والملائكة وأولو العلم، والمشهود به توحيد الله في ألوهيته، وتقرير ذلك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٧٦).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص٧٩ - المنتقىٰ).

الثالثة: في هذه الآية منقبة عظيمة لأهل العلم، وذلك من وجوه:

أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

الثاني: اقتران شهادتهم بشهادته.

والثالث: اقترانها بشهادة الملائكة.

والرابع: أنَّ في ضمن هذا تزكيتَهم وتعديلَهم؛ فإنَّ الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول.

والخامس: أنه وصفهم بكونهم أولي العلم، وهذا يدل علىٰ اختصاصهم به، وأنهم أهله وأصحابه، ليس بمستعار لهم.

والسادس: أنه سبحانه استشهد بنفسه، وهو: أجلُّ شاهد، ثم بخيار خلقه، وهم: ملائكته والعلماء من عباده ويكفيهم بهذا فضلًا وشرفًا.

والسابع: أنَّه استشهد بهم علىٰ أجل مشهود وأعظمه أكبره، وهو: شهادة أن لا إله إلا هو، والعظيم القدر إنما يستشهد علىٰ الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم.

والثامن: أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة علىٰ المنكرين، فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة علىٰ توحيده.

والتاسع: أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه ومن ملائكته ومنهم، ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر علىٰ شهادته، وهذا يدل علىٰ شدة ارتباط شهادتهم بشهادته، فكأنه سبحانه شهد لنفسه بالتوحيد علىٰ ألسنتهم. وأنطقهم بهذه الشهادة؛ فكأنه الشاهد بها لنفسه إقامة وإنطاقًا وتعليمًا، وهم الشاهدون بها له إقرارًا واعترافًا وتصديقًا وإيمانًا.

والعاشر: أنه سبحانه جعلهم مؤدين لحقه عند عباده بهذه الشهادة، فإذا أدوها فقد أدوا الحق المشهود به، فثبت الحق المشهود به، فوجب علىٰ الخلق

الإقرار به، وكذلك غاية شهادتهم في معاشهم ومعادهم، وكل من ناله الهدىٰ بشهادتهم وأقر بهذا الحق بسبب شهادتهم، فلهم من الأجر مثل أجره، وهذا فضل عظيم لا يدري قدره إلا الله، وكذلك كل من شهد بها عن شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره أيضًا.

فهذه عشرة أوجه في هذه الآية»[1].

الرابعة: ومعناها: لا معبود بحق إلا الله؛ (لا إله) نافيًا جميع ما يعبد من دون الله، (إلا الله) مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه.

وتفسيرها الذي يوضحها: قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ثلاثة أصول: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف: ٢٦-٢٨].

وقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ٦٤].

قال أستاذنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الخامسة: وتحقيقها: «أن يعترف الإنسان بقلبه ولسانه؛ بأنه لا معبود بحق إلا الله عَزَّوَجَلَّ؛ لإنه (إله) بمعنىٰ: مألوه، والتأله: التعبد، وجملة «لا إله إلا الله» مشتملة علىٰ نفي وإثبات؛ أما النفي؛ فهو (لا إله)، وأما الإثبات؛ فهو (إلا الله).

(والله) لفظ الجلالة بدل من خبر (لا) المحذوف، والتقدير (لا إله حق إلا الله).

وبتقديرنا الخبر بهذه الكلمة (حق) يتبين الجواب عن الإشكال التالي:

وهو كيف يقال: (لا إله إلا الله) مع أنَّ هناك آلهة تعبد من دون الله، وقد

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١ / ٢١٩ - ٢٢١).

سماها الله تعالىٰ: آلهة، وسماها عابدوها: آلهة؛ قال تعالىٰ: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠١]، وكيف يمكن أن نثبت الألوهية لغير الله ﷻ.

والرسل يقولون لأقوامهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٩].

والجواب علىٰ هذا الإشكال يتبين بتقدير الخبر في (لا إله إلا الله) فنقول: هذه الآلهة التي تعبد من دون الله هي آلهة، لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقة، وليس لها من حق الألوهية شيء، ويدل لذلك قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٣].

وقوله تعالىٰ عن يوسف -عليه الصلاة والسلام-: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾ [يوسف: ٤٠].

إذن؛ فمعنىٰ (لا إله إلا الله): لا معبود حق إلا الله ﷻ، فأما المعبودات سواه فإنَّ ألوهيتها التي يزعمها عابدوها ليست حقيقية؛ أي: ألوهية باطلة»[1].

السادسة: ما تقدم هو تفسير أهل السنة والجماعة من السلفيين أهل الحديث لمعنىٰ «لا إله إلا الله»، وأما الأشاعرة والجهمية والرافضة والصوفية القبورية: فإنهم يفسرونها بـ(أنه لا خالق ولا متصرف إلا الله).

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص٥٧-٥٨).

وهذا انحراف خطير، وتفسير باطل من وجوه:

١- أنه يتضمن توحيد الربوبية فقط، والمشركون مقرون به، فعلىٰ كلامهم أن مشركي مكة أتوا بـ: (لا إله إلا الله)، وهذا باطل، لأن إقرارهم هذا لم يدخلهم في الإسلام.

٢- لو كان هذا المراد لَمَا امتنع المشركون من قولها، ولكنهم امتنعوا عن قولها والانقياد لها عندما عرفوا المراد منها، ولهذا قالوا متعجبين وتساءلوا مستغربين: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

٣- ولازم هذا التفسير: أن أبا جهل وصناديد الكفر الذين قتلهم رسول الله ﷺ كان قتلهم ظلمًا.

وأمَّا الفلاسفة؛ فيقولون: لا موجود إلا الله، فمن أثبت وجود الله، فإنه موحد.

وعلىٰ هذا الكلام: فإبليس من الموحدين؛ لأنه يثبت وجود الله، وهذا باطل من كل الوجوه السابعة: شروط (لا إله إلا الله) ثمانية لا تنفع إلا بها.

وقد نظمها بعض أهل العلم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدق مع ... محبة وانقياد والقبول بها

وزيد ثامنها الكفران بما ... مع الإله والأشياء قد ألها

١- **العلم ضده الجهل**، فالذي لا يعلم معناها، ويجهل دلالتها لا تنفعه.

٢- **اليقين؛ فلا يكون معه شك.**

٣- **الإخلاص ضده الشرك**، فمن الناس من يقول: (لا إله إلا الله)؛ لكنه لا يترك الشرك: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

٤- **الصدق، وضده الكذب**، فالمنافقون يقولون: (لا إله إلا الله)، لكنهم

كاذبون في قلوبهم، لا يعتقدون صدق معناها، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ١-٢].

٥- **المحبة** بأن تكون محبًّا لكلمة التوحيد وليًّا لأهلها.

٦- **الانقياد**: وضده الإعراض والترك، والمراد: الانقياد للأوامر، وترك النواهي.

٧- **القبول المنافي للرد**، فلا ترد حقًّا من حقوق لا إله إلا الله، وما تدل عليه، بل تقبله قبولًا صحيحًا، وتتلقاه تسليمًا ظاهرًا وباطنًا.

٨-**الكفر بما دونها**، وذلك بالبراءة من الشرك والطاغوت.

* **قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «**ودليلُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قولُه تعالىٰ**: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]».

فيه مسائل:

الأولىٰ: أنه في الثلاثة أصول استدل علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قلت: والأدلة في القرآن علىٰ أنه رسول الله كثيرة منها: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

الثانية: معناها: قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الثلاثة أصول: «**ومعنىٰ شهادة: أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع**».

قلت: هذه المسألة فيها فروع:

١- قوله: «**طاعته فيما أمر**»؛ أي: الطاعة والموافقة علىٰ وجه الاختيار.

وما يأمر به علىٰ وجهين:

أ- أنه يأمر به علىٰ وجه الإلزام، وهذا هو الواجب.

ب- أنه يأمر به لا علىٰ وجه الإلزام، إنما علىٰ وجه الخبر، وهذا هو المستحب.

٢- قوله: «**تصديقه فيما أخبر**»؛ وذلك في كل ما أخبر به، ونسبته إلىٰ الصدق في الأمور الحاضرة والمستقبلة وكل شيء.

٣- قوله: «**اجتناب ما نهىٰ عنه وزجر**»؛ وهذا يشمل الكبائر والصغائر.

٤- قوله: «**وألا يعبد الله إلا بما شرع**»؛ هذا توحيد الاتباع، فلا يعبد الله إلا بما جاء عن رسوله ﷺ.

الثالثة: قال أستاذنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومقتضىٰ هذه الشهادة: ألا تعتقد أنَّ لرسول الله ﷺ حقًّا في الربوبية، وتصريف الكون، أو حقًّا في العبادة، بل هو ﷺ عبد لا يُعبد، ورسول لا يُكذَّب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا في النفع أو الضر إلا ما شاء الله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

فهو عبد مأمور يتبع ما أمر به؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢١-٢٢].

وقال سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وبهذا تعلم أنه لا يستحق العبادة لا رسول الله ﷺ، ولا من دونه من المخلوقين، وأنّ العبادة ليست إلا لله وحده: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، وأن حقه ﷺ أن تنزله المنزلة التي أنزله الله تعالىٰ إياها، وهو: أنه عبد الله ورسوله -صلوات الله وسلامه عليه-»[1].

إن الذي يؤمن بالله حسب الأصول السالفة يجب عليه إفراد رسول الله بالاتباع، وذلك تحقيقًا لقوله: (أشهد أنَّ محمدًا رسول الله)، وهذه الشهادة لا تكون كاملة شاملة إلا بالأصول الآتية:

١- الإيمان بأن محمدًا ﷺ بشر كسائر البشر: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] و [فصلت: ٦].

٢- الإيمان بأنه بشر رسول يوحىٰ إليه: ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

وتفصيل ذلك:

أ- أنَّ محمدًا ﷺ مبلغ عن ربه، وليس له من الأمر شيء: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

ب- وأن محمدًا ﷺ جاء بوحيين:

الأول: وهو متلوٌّ، وهو: كتاب الله.

والثاني: وهو غير متلوٍّ، وهو: سنته ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤]؛ فإذا كانت هذه الآية مجملة، ففي القرآن ما يفسرها، ويثبت

(١) «شرح الثلاثة الأصول» (ص٦٠-٦١).

أنَّ السنة وحي من الله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٤٤]؛ فالذكر هنا هو تبيان ما نزل إلىٰ الناس، والذي أنزل إلىٰ الناس هو القرآن، والذكر الذي يبين القرآن يجب إذن أن يكون غير القرآن، وهي: السنة؛ كما قال ﷺ: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»(١).

هذا هو فهم السلف الصالح -رضوان الله عليهم- قال حسان بن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان جبريل ينزل علىٰ النبي ﷺ بالسنة، فيعلمه إياها، كما يعلمه القرآن»(٢).

ت- وإذا كان أمر السنة كذلك؛ فإنها تشمل جميع أنواع الأحكام الشرعية التكليفية: الواجب، والمندوب، والحرام، والمكروه، والمباح، وليس ما اشتهر عند المتأخرين وعامة المسلمين بأن السنة هي: «المندوب» فقط.

ث- ويكون من رد الثابت الصحيح منها كمن رد القرآن الكريم.

ج- وهي مفسرة للقرآن مبينة لمجمله، مخصصة لعامه، مقيده لمطلقه.

٣- الاعتقاد أن اتباع الرسول هو السبيل لتحقيق توحيد الله، ونيل رضاه ومحبته: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فلا يجوز أن نتلقىٰ أمرًا أو نهيًا من غيره؛ لأنه هو المبلغ -بأمر الله- لجميع شئون الحياة: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية.

٤- حب الرسول ﷺ؛ كما قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين**»(٣)، وحب الرسول ﷺ ليس في إلقاء

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٤) من حديث المقدام بن معديكرب رضي الله عنه، وهو صحيح، وقد استوفيت تخريجه في تعليقاتي علىٰ «الرسالة التبوكية» (ص ١١٣- ط مكتبة الخراز).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن نصر في «السنة» (٩١) وهو صحيح؛ كما بينته في تخريجي للكتاب المذكور (ص ٢٥٢-٢٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٤)، ومسلم (٤٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

القصائد العصماء ، أو الادعاء، بينما أقوالنا وأفعالنا تخالف نهجه وهديه، وإنما كمال حبه هو التزام هديه وطاعته؛ لأنها طاعة الله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

٥- وكمال طاعته ﷺ: أن تعبد الله بما شرع، لا بالأهواء والعوائد والبدع؛ لأن «**كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة**»[(١)].

وكما قال الإمام مالك: «من زعم أنَّ في الإسلام بدعة حسنة؛ فقد زعم أنَّ محمدًا خان الرسالة».

قال فضيلة الشيخ عبيد الجابري -وفقه الله لمراضيه-: «ويناسب هاهنا ذكر ست صور تجب موافقة العمل فيها للسنة، وإلا كان مردودًا علىٰ صاحبه، ونوضح ذلك بالأمثلة، وهي:

١- **الموافقة في الجنس**: شخصان: أحدهما ضحىٰ بغزال، والآخر ضحىٰ بشاة، أيهما المقبول؟ الشاة. والغزال قد يكون أغلىٰ، سبحان الله! ألا يكون الغزال أغلىٰ في بعض الأحيان؟! قد يكون أغلىٰ؛ لأن صاحب الشاة وافق الشرع في الجنس، وصاحب الغزال خالف الشرع في الجنس؛ فردت عليه أضحيته.

٢- **الموافقة في السبب**: أحد المسلمين صام يوم الإثنين؛ لأنه يوم تعرض فيه الأعمال علىٰ الله، فأحب أن يعرض عمله، وهو صائم، والآخر صامه، لأنه السابع والعشرين من رجب، كلهم صام الإثنين، ولعل الثاني تسحر قبل الأول بثلاث ساعات!! أيهما الذي صيامه مقبول؟ الأول؛ لأنه وافق الشرع في السبب، والثاني خالف الشرع في السبب.

---

(١) أخرجه البيهقي في «المدخل إلىٰ السنن» (١٩١)، وابن نصر في «السنة» (ص٢٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٢٦) بإسناد صحيح.

الثاني يعتقد أن رحلة الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من رجب؛ فصامه، هل هذا مشروع؟ أليس كلاهما صام الإثنين؟ كلاهما صام الإثنين من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس، لكن الأول قبل عمله، والثاني رُدَّ عمله؛ لأنه خالف الشرع في السبب.

٣- **الموافقة في الصفة**: أحد الناس سيصلي الظهر أربع ركعات، ويقرأ مائة آية مع الفاتحة، ويسبح مائة تسبيحة في كل من الركوع والسجود، سجد ثم قام من السجود، ثم ركع، ثم سجد، وهكذا حتىٰ انتهت الأربع الركعات، فهذا صلاته غير مقبولة؛ لأنه خالف الشرع في الصفة.

٤- **الموافقة في المقدار أو العدد**: قال: إنه سيصلي الظهر ست ركعات، ليس أربعًا فريضة وركعتان سنة، وإنما يصلي الفرض ست ركعات، ويقرأ سورة طويلة، ويركع ركوعًا طويلًا، ويقوم قيامًا طويلًا أكثر من غيره الذي يصلي أربعًا في ثمان دقائق، أو عشر ركعات إذا أطال، وأخونا صلّىٰ ست ركعات، فيها زيادة عمل أم لا؟

فيها زيادة عمل، فيها أولًا: أنه أطال في الركوع والسجود والقيام والتسبيح، وثانيًا: فيها ثلاث تشهدات: صلىٰ ركعتين، ثم قام ثم صلىٰ ركعتين فجلس، ثم قام فصلىٰ وهكذا.. عمل زيادة فما حكم صلاته؟ ولماذا؟

صلاته باطلة؛ لأنه خالف الشرع في المقدار الذي حدده رسول الله ﷺ، عَبَدَ الله بما لم يشرع رسول الله ﷺ.

٥- **الموافقة في الزمان**: موافقة الشرع في زمان العبادة، مثاله: رجل أحرم بالحج في رمضان، وبقي علىٰ إحرامه، وغيره أحرم بالحج يوم ثمانية من ذي الحجة، فالأول حجه باطل لمخالفته الشرع في الزمان، والثاني حجه صحيح؛ لموافقته الشرع في الزمان.

٦- **الموافقة في المكان**: أين يقف الحاج يوم التاسع؟ في عرفة، الوقوف يبدأ من الزوال حتىٰ غروب الشمس، هذا مجتهد يريد الخير، وقال حتىٰ يتلذذ بالعبادة، ويخلو ويبتعد عن الرياء يترك الناس يذهبون لعرفة، وهو يقف في مزدلفة الثامن والتاسع، ويوم العاشر بعد العصر ينصرف إلىٰ منىٰ، وغيره وهم الذين وقفوا بعرفة من بعد الزوال يوم التاسع من ذي الحجة إلىٰ غروب الشمس.

هذا ثلاثة أيام وقف في مزدلفة، ويذكر الله ويصلي ما تيسر له من التطوعات المطلقة وقيام الليل، ومع هذا؛ فحجه باطل؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «**الحج عرفة**»[(١)]؛ فهو خالف الشرع في مكان العبادة»[(٢)].

* **قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودَليلُ الصَّلاةِ قَوْلُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]»**.

وفيه مسائل:

الأولىٰ: بيان حكم تارك الصلاة: وردت أحاديث متعددة تدل علىٰ أنَّ ترك الصلاة كفر؛ منها:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ بين الرجل وبين الشرك والكفر تَرْكَ الصلاة**»[(٣)].

عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها؛ فقد كفر**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه النسائي (٣٠١٦)، وصححه شيخنا الألباني في «الإرواء» (١٠٦٤).

(٢) «إتحاف العقول بشرح الثلاثة الأصول» (ص١٠٦-١٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (٨٢).

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (١/ ٢٣١-٢٣٢)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٥/ ٣٤٦ و٣٥٥) بإسناد صحيح.

أقوال العلماء في تارك الصلاة:

قال البغوي: «اختلف أهل العلم في تكفير تارك الصلاة المفروضة عمدًا..»[(١)].

وقال الشوكاني: «الحديث يدل علىٰ أن ترك الصلاة من موجبات الكفر، ولا خلاف بين المسلمين في كفر تارك الصلاة منكرًا لوجوبها إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو لم يخالط المسلمين من يبلغه فيه وجوب الصلاة.

وإن كان تركه لها تكاسلًا مع اعتقاده لوجوبها كما هو حال كثير من الناس؛ فقد اختلف الناس في ذلك...» [(٢)].

مما سبق يظهر ما يأتي:

أ- علماء الأمة الإسلامية متفقون علىٰ تكفير تارك الصلاة جحودًا وإنكارًا واستهزاءً.

ب- اختلف أهل العلم فيمن تركها كسلًا من غير إنكار لفرضيتها، أو جحد لأهميتها، أو استحلالًا لتركها.

ت- جمهور أهل العلم علىٰ عدم تكفير من تركها تكاسلًا.

ث- حملوا لفظ الكفر الوارد في هذه الأحاديث علىٰ سبيل التغليظ والوعيد الشديد بدلالة حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا: «**خمس صلوات كتبهن الله علىٰ العباد، فمن جاء بهن ولم يضيع شيئًا استخفافًا بحقهن: كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن، فليس له عند الله عهد؛ إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة**»[(٣)].

---

(١) «شرح السنة» (٢/ ١٧٩-١٨٠).

(٢) «نيل الأوطار» (١/ ٣٦٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٢٥ و١٤٢٠)، والنسائي (١/ ٢٣٠)، وابن ماجه (١٤٠١)، =

قال السندي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحديث دالٌّ علىٰ أن تارك الصلاة مؤمن كما لا يخفىٰ»(١).

ونصوص الوعيد داخلة تحت مشيئة الله سبحانه، ومنها نصوص الوعيد علىٰ ترك الصلاة كما رأيت؛ فإن شاء عفا، وإن شاء عاقب كما في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**من وعده الله علىٰ عمل ثوابًا؛ فهو منجزه له، ومن وعده علىٰ عمل عقابًا، فهو فيه بالخيار**»(٢).

وهذا ما أكده إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ في وصيته لمسدد بن مسرهد: «ولا يخرج الرجل من الإسلام شيء إلا الشرك بالله العظيم، أو يرد فريضة من فرائض الله عَزَّوَجَلَّ جاحدًا بها، فإن تركها كسلًا أو تهاونًا؛ كان تحت مشيئة الله؛ إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه »(٣).

وقد سأله ابنه عبد الله عن ترك الصلاة متعمدًا؛ قال: «يروىٰ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة**».

قال أبي: والذي يتركها ولا يصليها، والذي يصليها في غير وقتها ادعوه ثلاثًا، فإن صلىٰ وإلا ضربت عنقه، وهو عندي بمنزلة المرتد؛ يستتاب ثلاثًا، فإن

=

وأحمد (٥/ ٣١٥-٣١٦ و٣١٧ و٣١٩) من طرق عنه.

قلت: وهو صحيح، صححه جمع من أهل العلم.

(١) «حاشيته علىٰ النسائي» (١/ ٢٣٠).

(٢) **صحيح لغيره**: أخرجه أبو يعلىٰ (٣٣١٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٦٠) بإسناد فيه ضعف.

لكن له شاهد من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٥/ ٣٢١) بإسناد حسن.

وبالجملة، فالحديث صحيح بمجموعهما.

(٣) «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٤٣).

تاب وإلا قتل علىٰ حديث عمر.

وسألت أبي عن رجل ترك صلاة العصر حتىٰ غربت الشمس تركها عمدًا، قال: ادعوه إلىٰ الصلاة ثلاثًا، فإن أبىٰ وإلا ضربت عنقه»[١].

وقال عبد الله: «سألت أبي عن رجل فرَّط في صلوات شهرين فقال: يصلي ما كان في وقت يحضره ذكر تلك الصلوات، فلا يزال يصلي حتىٰ يكون آخر الوقت الصلاة التي ذكر فيها هذه الصلوات التي فرط فيها؛ فإنه يصلي هذه التي يخاف فوتها، ولا يضيع مرتين.

ثم يعود فيصلي أيضًا حتىٰ يخاف فوت الصلاة التي بعدها، إلا إن كثر عليه؛ فيكون ممن يطلب المعاش، ولا يقوىٰ أن يأتي بها؛ فإنه يصلي حتىٰ يحتاج إلىٰ أن يطلب ما يقيمه من معاشه، ثم يعود إلىٰ الصلاة لا تجزئه صلاة وهو ذاكر الفرض المتقدم قبلها؛ فهو يعيدها أيضًا إذا ذكرها وهو في الصلاة»[٢].

فهذه نصوص موثقة عن الإمام أحمد: بأنه لا يرىٰ كفر تارك الصلاة بمجرد تركه، وإنما بامتناعه مع علمه بأنه يقتل إن لم يصل، وهذا يكون بعد دعائه إليها، والداعي إليه هو الإمام أو نائبه؛ كما قال المرداوي: «الداعي له هو الإمام أو نائبه، فلو ترك صلوات كثيرة قبل الدعاء لم يجب قتله، ولا يكفر علىٰ الصحيح من المذهب، وعليه جماهير الأصحاب، وقطع به كثير منهم»[٣].

وهذا ما أكده المجد بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن أخَّرَ صلاة تكاسلًا لا جحودًا:

---

(١) «مسائل عبد الله» (١٩١-١٩٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف علىٰ مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل» (١/ ٤٠٢).

أُمرَ بها، فإن أمر حتىٰ ضاق وقت الأخرىٰ: وجب قتله»[١].

فلم يكفر بالتأخير؛ وإنما بالإصرار المنبئ عن الجحود مع علمه بأنه يقتل إن لم يصلِّ؛ فالسبب هو إيثاره القتل علىٰ الصلاة؛ فلا يتصور وقتئذ أنه متكاسل أو متهاون بل جاحدٌ مَرَدَ علىٰ الكفر والنفاق؛ فاستحق القتل جزاء وفاقًا.

وعلىٰ هذا المحققون من علماء الحنابلة كابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فله بحث طويل ماتع قرر في نهايته: «ولأن ذلك إجماع المسلمين؛ فإننا لا نعلم في عصر من الأعصار أحدًا من تاركي الصلاة ترك تغسيله، والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين، ولا منع ميراثه، ولا منع هو ميراث مورثه، ولا فرَّق بين زوجين لترك الصلاة مع أحدهما؛ لكثرة تاركي الصلاة، ولو كان كافرًا؛ لثبتت هذه الأحكام كلها، ولا نعلم بين المسلمين خلافًا في أنَّ تارك الصلاة يجب عليه قضاؤها، ولو كان مرتدًّا لم يجب عليه قضاء صلاة ولا صيام.

وأمَّا الأحاديث المتقدمة؛ فهي علىٰ سبيل التغليظ التشبيه له بالكفار لا علىٰ الحقيقة:

كقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**».

وقوله: «**كفرٌ بالله تبرؤٌ من نسب وإن دقَّ**».

وقوله: «**من قال لأخيه يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما**».

وقوله: «**من أتىٰ حائضًا أو امرأة في دبرها؛ فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد**».

وقوله: «**ومن قال: مطرنا بنوء الكواكب؛ فهو كافر بالله مؤمن بالكواكب**».

وقوله: «**من حلف بغير الله؛ فقد أشرك**».

وقوله: «**شارب الخمر؛ كعابد وثن**».

---

(١) «المحرر في الفقه الحنبلي» (٦٢).

وأشباه هذا مما أريد به التشديد في الوعيد، وهو أصوب القولين، والله أعلم»[١].

وأما الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ فقال مجيبًا من سأله عما يكفر به الرجل، وعما يقاتل عليه: «أركان الإسلام الخمسة: أولها الشهادتان ثم الأركان الأربعة، فإن أقر بها وتركها تهاونًا؛ فنحن وإن قاتلناه علىٰ فعلها؛ فلا نكفره بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك كسلًا من غير جحود، ولا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان»[٢].

٤- مع أنَّ البلوىٰ عمت بهذه الفاقرة -أعني: ترك الصلاة تكاسلًا وتهاونًا-؛ وذلك لغياب من يردع أمثالهم: فإن المسلمين لم يختلفوا في أنَّ ترك الصلاة المفروضة تكاسلًا أو تهاونًا من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وأنَّ إثم ذلك أعظم من قتل النفس، وأخذ الأموال بغير حقٍّ وغيرها من الموبقات المهلكات، وأن فاعل ذلك معرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدارين، وأنه قد يؤدي إلىٰ الرِّدَّة عن الدين، ومفارقة المسلمين إلىٰ المشركين -نسأل الله السلامة، ونعوذ به من الخزي والندامة يوم القيامة-؛ فعلىٰ ولاة الأمر: أن يأخذوا علىٰ أيدي تاركي الصلاة؛ فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

وهذا ما قرره شيخنا الإمام أبو عبد الرحمن الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: «بَيْدَ أنَّ هنا دقيقةً قلَّ من رأيته تنبَّه لها أو نبَّه عليها؛ فوجب الكشف عنها وبيانها، فأقول:

إنَّ التارك للصلاة كسلًا إنما يصح الحكم بإسلامه، ما دام لا يوجد هناك ما يكشف عن مكنون قلبه، أو يدل عليه، ومات علىٰ ذلك قبل أن يستتاب؛ كما هو

---

(١) «المغني» (٢/ ٢٩٨-٣٠٢).

(٢) «الدرر السنية» (١/ ٧٠).

الواقع في هذا الزمان.

أما لو خير بين القتل والتوبة بالرجوع إلىٰ المحافظة علىٰ الصلاة، فاختار القتل عليها، فَقُتل: فهو في هذه الحالة يموت كافرًا، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا تجري عليه أحكامهم؛ خلافًا لما سبق عن السخاوي؛ لأنه لا يعقل -لو كان غير جاحد لها في قلبه- أن يختار القتل عليها، هذا أمر مستحيل معروف بالضرورة من طبيعة الإنسان، لا يحتاج إثباته علىٰ برهان.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ في «**مجموع الفتاوىٰ**» (٢ / ٤٨): «ومتىٰ امتنع الرجل من الصلاة حتىٰ يقتل؛ لم يكن في الباطن مقرًّا بوجوبها، ولا ملتزمًا بفعلها، وهذا كافر باتفاق المسلمين؛ كما استفاضت الآثار عن الصحابة بكفر هذا، ودلت عليه النصوص الصحيحة...

فمن كان مصرًّا علىٰ تركها حتىٰ يموت؛ لا يسجد لله سجدة قط؛ فهذا لا يكون قط مسلمًا مقرًّا بوجوبها؛ فإن اعتقاد الوجوب، واعتقاد أن تاركها يستحق القتل، هذا داع تام إلىٰ فعلها، الداعي مع القدرة يوجب وجود المقدور، فإذا كان قادرًا ولم يفعل قط؛ علم أن الداعي في حقه لم يوجد».

قلت -أي: الألباني-: هذا منتهىٰ التحقيق في هذه المسألة، والله ولي التوفيق»[1].

الثانية: استدلال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الآية فيه تنبيه أنَّ الصلاة المفروضة لا تقبل إلا في أوقاتها؛ فلا تصح قبل وقتها، ولا تقبل بعد خروجه.

الثالثة: الصلاة التي يرضاها الله هي ما كانت موافقة لصفة صلاة النبي ﷺ؛

---

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ ١٧٧).

لقوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»(١).

* قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَدَليلُ الزَّكاةِ: قَوْلُه تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]».

فيه مسائل:

الأولىٰ: تركها -جحودًا- كفر بالإجماع، وكذلك من امتنع عن أدائها قوتل إجماعًا؛ كما حصل بين الصحابة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الثانية: من تركها كسلًا وبخلًا، فهو تحت المشيئة؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم؛ فيجعل في صفائح؛ فيكوىٰ بها جنباه وجبينه، حتىٰ يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرىٰ سبيله: إما إلىٰ جنة، وإما إلىٰ نار...**» الحديث(٢).

قال مقيده أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-: فهذا دال علىٰ أن تارك الزكاة بخلًا وكسلًا لا يكفر، وهذا متفق عليه عند أهل السنة والجماعة بلا مثنوية.

* قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَدليلُ الصَّوْم قَوْلُه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٢]».

فيه مسائل:

الأولىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ دليل علىٰ وجوب الصوم، وأنه فرض.

الثانية: أنه فرض علىٰ المسلمين، ولذلك خوطب به المؤمنون بخاصة،

(١) أخرجه البخاري (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٩٨٧).

لأنهم هم الذين يستجيبون، وهم الذين يصح منهم الصيام، ويقبل منهم الصيام، أما الكفار فلو فعلوه لما صح منهم حتىٰ يأتوا بالتوحيد.

الثالثة: في قوله تعالىٰ: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ فوائد:

١- الصوم مشروع للأمم السابقة، وإن اختلفت كيفيته.

٢- بيان أهمية الصوم حيث فرضه الله علىٰ جميع الأمم من قبلنا، وهذا يدل علىٰ محبة الله له.

٣- التخفيف علىٰ هذه الأمة، حيث إنها لم تكلف وحدها بالصيام، الذي قد يكون فيه مشقة علىٰ النفوس والأبدان.

٤- الإشارة إلىٰ أنَّ الله أكمل لهذه الأمة دينها، حيث أكمل لها الفضائل التي سبقت لغيرها.

الرابعة: في قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بيان حكمة الصيام؛ وأنها تقوىٰ الله وما يترتب عليها من خصال الخير، واتقاء المحارم والشهوات الباطلة، فالإنسان إذا ترك المباحات طاعة لله فمن باب أولىٰ أن يترك المحرمات والمحظورات، فالصيام دربة علىٰ الطاعة، وجنة من الحرام، ووجاء للشهوات.

ولذلك؛ فالصائم أقرب إلىٰ الخير من غيره، بل إن الشر الذي يقود إلىٰ المهالك يقل في هذا الشهر المبارك.

قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا قِيلَ لَكَ الصِّيام شَهْرٌ؟ فَقُلْ: نَعَم، والدَّلِيلُ قوله تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]».

فيه مسائل:

الأولىٰ: أنَّ مدة الصيام شهر، وأنه شهر رمضان.

الثانية: أنَّ رمضان شهر القرآن؛ حيث أنزل في ليلة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١].

الثالثة: دليل علىٰ وجوب صيام شهر رمضان: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأن التخيير الذي كان في بداية فرضه منسوخ(١).

* قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَإِذَا قِيلَ لَكَ: الصِّيَامُ فِي اللَّيْلِ أَوْ فِي النَّهَارِ؟ فَقُلْ: فِي النَّهَارِ، والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالىٰ:** ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ **[البقرة: ١٨٧]**».

فيه مسائل:

الأولىٰ: أن نهار رمضان شرع للصيام وليله للقيام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٢).

وفي رواية «**وما تأخر**»(٣).

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٤).

الثانية: استدل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أن وقت الصيام في النهار بقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى

---

(١) انظر كتابنا: «صفة صوم النبي ﷺ في رمضان» (ص١٥-١٦ ط الأولىٰ).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).

(٣) «صحيح الجامع الصغير» (٥/ ٣٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

﴿ٱلَّيۡلِ﴾ ووجه الدلالة:

أن الله ﷻ حدد بداية الصوم، وأنه من طلوع الفجر الصادق، وحدد نهايته إلىٰ الليل، وهذا نهار رمضان.

الثالثة: فصلت السنة النبوية هذه الآية تفصيلًا واضحًا ليس فيه لبس ولا غموض.

وإليك التفصيل:

١- كان أصحاب النبي الأمي محمد ﷺ إذا كان أحدهم صائمًا؛ فحضر الإفطار يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا فإذا نام أحدهم قبل تناوله طعام العشاء لم يحلَّ له أن يفعل من ذلك شيئًا إلىٰ مثلها، فوسعتهم رحمة ربِّك العزيز الوهَّاب، فرخص لهم بذلك؛ ففرحوا، يُفَصِّلُ ذلك الحديث الآتي:

عن البراء ﷺ قال: «كان أصحاب النَّبيِّ ﷺ إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار فقام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتىٰ يمسي، وإن قيس بن صِرْمَةَ الأنصاري كان صائمًا، فلما حضر الإفطار أتىٰ امرأته فقال لها: أعندك طعام؟

قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءت امرأته، فلما رأته قالت: خيبة لك[1].

فلما انتصف النهار غُشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ﴾ ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا، ونزلت: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾»[2].

٢- إن هذه الرحمة الربانية التي أفرغها الرءوف الرحيم علىٰ عباده المخبتين

---

(١) من الخيبة، وهي: الحرمان، يقال: خاب يخيب، إذا لم ينل طلبه، ويبلغ مرامه.

(٢) أخرجه البخاري (١٩١٥).

الذين قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، تُحَدِّد معالم يوم الصائم: ابتداءه وانتهاءه، وأنه من تبين الفجر إلىٰ إدبار النهار، وإقبال الليل وتواري قرص الشمس في الحجاب.

٣- الخيط الأبيض والخيط الأسود: عندما نزلت الآية الآنفة عمد بعض أصحاب النبي ﷺ إلىٰ عقال أسود وعقال أبيض[١] فجعلوها تحت وسائدهم، أو يربطها أحدهم في رجله، ولم يزل يأكل ويشرب حتىٰ يتبين له رؤيتهما.

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: «لما نزلت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ عمدت إلىٰ عقال أسود وإلىٰ عقال أبيض؛ فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت علىٰ رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال: «**إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار**»[٢].

وعنه سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ قال: فكان الرجل إذا أراد الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض، والخيط الأسود، فلا يزال يأكل ويشرب حتىٰ يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فعلموا أنما يعني بذلك الليل والنهار»[٣].

وبعد هذا البيان القرآني والفيض الرباني فقد بيَّن الرسول ﷺ لأصحابه حدَّ التَّبيُّن وصفًا بما لا يدع مجالًا للشك أو الجهل.

---

(١) هو الحبل الذي يعقل به البعير، كما في «المصباح المنير» (٢/ ٤٢٢)، و«المعجم الوسيط» (٢/ ٦٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٩١٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١٠٩١).

ولله دَرُّ القائل:

وليس يصحُّ فِي الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلىٰ دليل

٤- الفجر فجران: ومن جملة هذه الأحكام التي بيَّنها رسول الله ﷺ تفصيلًا: أن الفجر فجران:

أ- الكاذب: وهو لا يحلُّ صلاة الصبح، ولا يحرِّم الطعام علىٰ الصائم.

ب- الصادق: وهو الذي يحرِّم الطعامَ علىٰ الصائم، ويحلُّ صلاة الفجر.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الفجر فجران: فأما الأول فإنه لا يحرِّم الطعام، ولا يحلُّ الصلاة، وأما الثاني، فإنه يحرِّم الطعام، ويحلُّ الصلاة**»(١).

واعلم -أخي المسلم- أنَّ:

أ- **الفجر الكاذب**: هو البياض المستطيل الساطع المُصَعَّد ﷺ كذنب السِّرْحان.

ب- **الفجر الصادق**: هو الأحمر المستطير المعترض علىٰ رءوس الشِّعاب والجبال، المنتشر في الطرق والسِّكك والبيوت، وهذا هو الذي تتعلق به أحكام الصيام والصلاة.

عن سَمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يغرنَّكم أذان بلال، ولا هذا البياض لعمود الصبح حتىٰ يستطير**»(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه ابن خزيمة (٣٥٦)، والحاكم (١/ ١٩١).

وله شاهد عند الحاكم (١/ ١٩١) بإسناد صحيح عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الفجر فجران: فأما الفجر الذي يكون كذنب السرحان، فلا يحل الصلاة، ولا يحرم الطعام، وأما الفجر الذي يذهب مستطيرًا في الأفق؛ فإنه يحل الصلاة، ويحرم الطعام**».

(٢) أخرجه مسلم (١٠٩٤).

وعن طَلْقِ بن علي ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**كلوا واشربوا ولا يغرَّنَّكُم الساطع المُصَعَّد، وكلوا واشربوا حتىٰ يعترض لكم الأحمر**»[١].

واعلم -أيها الموفق إلىٰ طاعة ربه-: أن أوصاف الفجر الصادق هي التي تتفق والآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾؛ فإن ضوء الفجر إذا اعترض في الأفق علىٰ الشعاب ورءوس الجبال ظهر كأنه خيط أبيض، وظهر من فوقه خيط أسود هو بقايا الظلام الذي ولَّىٰ مدبرًا.

فإذا تبيَّن لك ذلك؛ فأمسك عن الأكل والشراب والنكاح، وإذا كان في يدك كأس من ماء أو شراب؛ فاشربها هنيئًا مريئًا؛ لأنها رخصة عظيمة من أرحم الراحمين علىٰ عباده الصائمين، ولو سمعت النداء:

قال ﷺ: «**إذا سمع أحدكم النداء والإناء في يده؛ فلا يضعه حتىٰ يقضي حاجته منه**»[٢].

والمقصود بالنداء: أذان الفجر الثاني للفجر الصادق بدليل الزيادة التي رواها أحمد (٢/ ٥١٠) وابن جرير الطبري (٢/ ١٠٢) وغيرهما عقب الحديث: «وكان المؤذن يؤذن إذا بزغ الفجر».

ويشهد لهذا المعنىٰ ما رواه أبو أمامة ﷺ قال: أقيمت الصلاة والإناء في يد عمر، قال: أشْرَبُها يا رسول الله؟ قال: «**نعم**»، فشربها[٣].

---

(١) «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٤٣٨٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٠٠٣)، وابن جرير الطبري في «التفسير» (٢/ ١٠٢)، والحاكم (١/ ٤٢٦)، والبيهقي (٤/ ٢١٨).

وله شواهد كثيرة جمعها وخرجها شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٣/ ٣٨١-٣٨٤).

(٣) **حسن**: أخرجه ابن جرير الطبري (٢/ ١٠٢) بإسنادين عنه؛ فالحديث حسن.

فثبت أن الإمساك عن الطعام قبل طلوع الفجر الصادق بدعوىٰ الاحتياط بدعة محدثة [١].

٥- ثم يتم الصيام إلىٰ الليل:

فإذا أقبل الليل من جهة الشرق، وأدبر النهار من جهة الغرب، وغربت الشمس؛ فليفطر.

عن عمر ﷺ قال: قال ﷺ: «**إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم**»[٢].

وهذا أمر يتحقق بعد غروب قرص الشمس مباشرة، وإن كان ضوءُها ظاهرًا، فقد كان من هديه ﷺ إذا كان صائمًا أمر رجلًا؛ فأوفىٰ علىٰ شيء، فإذا قال: غابت الشمس: أفطر[٣].

---

(١) قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٤/ ١٩٩): «ومن البدع المنكرة: ما أحدث في هذا الزمان من إيقاع الأذان الثاني قبل الفجر بنحو ثلث ساعة في رمضان، وإطفاء المصابيح التي جعلت علامة لتحريم الأكل والشرب علىٰ من يريد الصيام، زعمًا مما أحدثه أنه للاحتياط في العبادة، ولا يعلم بذلك إلا آحاد الناس، وقد جرَّهم ذلك إلىٰ أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة لتمكين الوقت -زعموا-؛ فأخَّروا الفطر وعجَّلوا السحور؛ وخالفوا السنة، فلذلك قلَّ عنهم الخير، وكثر فيهم الشر، والله المستعان».

قلت: ولا تزال بدعة الإمساك قبل طلوع الفجر وتمكين الوقت بعد غروب الشمس قائمة علىٰ قدم وساق في زمان الناس هذا؛ فإلىٰ الله المشتكىٰ.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠).

وقوله: «أفطر الصائم»: أي: أفطر حكمًا؛ لأنه دخل وقت الفطر؛ كقولهم: أنجد إذا أقام في نجد. وقيل: يلزم تحقق الثلاثة أمور، وهو قول مرجوح لحديث ابن أبي أوفىٰ الآتي، ناهيك أنها أمور متلازمة.

(٣) «صحيح ابن خزيمة» (٢٠٦١)، وأوفىٰ: أشرف واطلع.

وقد يظن بعض الناس أن الليل لا يتحقق بعد غروب الشمس فورًا، وإنما يدخل بعد انتشار الظلام شرقًا وغربًا، وقد حدث ذلك لبعض أصحاب النبيﷺ؛ فأفهم بأنه يكفي أول الظلام من جهة الشرق بعد اختفاء قرص الشمس مباشرة.

عن عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه قال: كنَّا مع رسول اللهﷺ في سفر وهو صائم [في شهر رمضان] فلما غربت الشمس قال لبعض القوم: **يا فلان**-وفي رواية لأبي داود (٢٣٥٢): «**يا بلال**-، **قم؛ فاجدح**[(١)] **لنا**». فقال: يا رسول الله لو أمسيت -وفي رواية للبخاري (٤/ ١٩٩ - الفتح): لو انتظرت حتىٰ تمسي، وفي أخرىٰ: الشمس- قال: «**انزل؛ فاجدح لنا**».

قال: إن عليك نهارًا! قال: «**فانزل؛ فاجدح لنا**». فنزل؛ فجدح لهم، فشرب النبيﷺ [وقال: «**لو تراءاها أحد علىٰ بعيره؛ لرآها**»؛ يعني: الشمس] ثم رمىٰ -وفي رواية للبخاري: أومأ بيده- (وفي رواية للشيخين: وأشار بأصبعيه قبل المشرق) ثم قال: «**إذا رأيت الليل قد أقبل من هاهنا؛ فقد أفطر الصائم**»[(٢)].

وثبت أن أصحاب النبيﷺ اقتدوا بقوله؛ فوافق فعلهم قولهﷺ؛ فقد كان أبو سعيد الخدري يفطر حين يغيب قرص الشمس[(٣)].

---

(١) الجدح: تحريك السويق أو اللبن بالماء يعود يقال له: المِجْدَح، وهو منحني الرأس؛ كما في «النهاية» (١/ ٢٤٣)، و«لسان العرب» (٢/ ٤٢١).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥٥)، ومسلم (١١٠١) وما بين المعقوفتين زيادات مخرجة كالآتي: الأولىٰ لأحمد (٤/ ٣٨٠)، ومسلم (٣/ ١٣٢)، والثانية لعبد الرزاق في «المصنف» (٤/ ٢٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٩٦-فتح) تعليقًا، ووصله سعيد بن منصور وابن أبي شيبة بسند صحيح.

* قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَدَليلُ الحَجِّ قولُه تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]».

فيه مسائل:

الأولىٰ: دليل فرضية الحجِّ، وأنه حقٌّ لله علىٰ العباد.

والحجُّ هو قصد الكعبة المشرفة والمشاعر المقدسة في وقت مخصوص، وهو: أشهر الحج المعلومات: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة؛ لأداء عبادات مخصوصة، وهي: مناسك الحج.

الثانية: ولكن لما فيه من الكلفة والمشقة: علَّق الله فرضيته بالاستطاعة، وهي كل ما لا يستطيع المرء الحج إلا به.

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ شروط الاستطاعة في بعض رسائله فقال: «والاستطاعة تحصل بثلاثة شروط: صحة البدن، وأمن الطريق، ووجود الزاد والراحلة»[(١)].

وزاد بعض أهل العلم: سعة الوقت، ووجود محرم للمرأة.

ولما كان الحج يؤتىٰ إليه من كل فج عميق، ويحتاج إلىٰ استطاعة، وقد يحصل فيه أخطار؛ فمن رحمة الله أن جعله في العمر مرة.

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**إن الله فرض عليكم الحجَّ؛ فحجُّوا**».

قال الأقرع بن حابس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أكل سنة يا رسول الله؟ فسكت عنه الرسول ﷺ، ثم أعاد السؤال، فسكت عنه النبي ﷺ، ثم أعاد السؤال، فقال النبي ﷺ: «**لو قلت: نعم؛ لوجبت ولما استطعتم، الحجُّ مرة واحدة، فما زاد؛ فهو تطوع**»[(٢)].

---

(١) «الدرر السنية» (١/ ١٤١).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١٧٢١)، والنسائي (٥/ ١١١)، وأحمد (٤/ ١٥١).

الثالثة: ختم الله ﷻ الآية بحكم كفر من جحد فرضًا من فرائض الله وأنكره؛ ولذلك صحَّ عن عمر بن الخطاب ﷺ قوله: «ليمت يهوديًّا أو نصرانيًّا رجل مات ولم يحج، وجد لذلك سعته وخليت سبيله»[(١)].

الرابعة: بيان غنىٰ الله عن العباد، وأنه ليس بحاجة إلىٰ طاعتهم، وإنما يناله التقوىٰ منهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]. وهم الفقراء إليه.

فوائد:

١- تكفير تارك أحد المباني الأربعة، كان مذهبًا لبعض السلف ثم هُجرَ، واستقر الرأي علىٰ أنَّ من تركها عمدًا وجحودًا: كفر، ومن تركها كسلًا: فهو تحت المشيئة، لكن بقي الخلاف في مسألة الصلاة؛ كما تقدم[(٢)].

٢- هذه أركان الإسلام الخمسة المعروفة، فهل هناك أركان غيرها؟

بعض أهل العلم يزيد ما جاء في حديث الحارث الأشعري ﷺ، وفيه: «**وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة؛ فإنه من فارق الجماعة قيد شبر: فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع**»[(٣)].

وبعض العلماء يزيد ركن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال أبو القاسم الاصبهاني: «فصل: والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركنان وثيقان من أركان الدين يجب علىٰ المرء ألا يهملهما»[(٤)].

---

(١) أخرجه البيهقي (٤/ ٣٣٤) بإسناد صحيح، وصححه الحافظ ابن كثير من «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٠٩- ط دار الفتح).

(٢) انظر تخريجه (٩٥).

(٣) مضىٰ تخريجه (٣٤-٣٥).

(٤) «الحجة» (٢/ ٢٠٧).

وبعضهم يزيد ركن النصح؛ لأن الرسول بايع عليه: «**والنصح لكل مسلم**»(١).

والصواب: أن ما ذكره هؤلاء العلماء من مهمات الدين وثوابته، أمَّا أن تدخل في أركان الدين: فلا؛ لأن النبيﷺ حدَّها وحصرها بهذه الخمس.

ويذكر في هذا الباب: أن ابن عمر -راوي الحديث- قيل له: «فالجهاد»، قال: «الجهاد حسن؛ لكن هكذا حدثنا رسول اللهﷺ»(٢).

٣- قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«واعلم: أنَّ هذه الدعائم الخمس بعضها مرتبط ببعض، وقد روي أنَّه لا يقبل بعضها بدون بعض، ونفي القبول هنا لا يراد به نفي الصحة، ولا وجوب الإعادة بتركه، وإنما يراد بذلك انتفاء الرضا به، ومدح عامله، والثناء بذلك عليه في الملأ الأعلىٰ، والمباهاة به للملائكة، فمن قام بهذه الأركان علىٰ وجهها؛ حصل له القبول بهذا المعنىٰ، ومن أتىٰ ببعضها دون بعض؛ لم يحصل له ذلك، وإن كان لا يعاقب علىٰ ما أتىٰ به منها عقوبة تاركه، بل تبرأ به ذمته، وقد يثاب عليه أيضًا.

ومن هنا: يعلم أنَّ ارتكاب بعض المحرمات التي يَنْقُصُ بها الإيمان تكون مانعةً من قبول بعض الطاعات، ولو كان من بعض أركان الإسلام، بهذا المعنىٰ الذي ذكرناه؛ كما قال النبيﷺ: «**من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**»(٣).

وقال: «**من أتىٰ عرَّافًا؛ فصدقه بما يقول؛ لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**»(٤).

وحديث ابن عمر يستدل به علىٰ أن الاسم إذا شمل أشياء متعددة لم يزل

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٦) بإسناد ضعيف.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٠٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٦٩) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

الاسم بزوال بعضها، فيبطل بذلك قول من قال: إنَّ الإيمان لو دخلت فيه الأعمال؛ للزم أن يزول بزوال عمل مما دخل في مسماه؛ فإن النبيﷺ جعل هذه الخمس دعائم الإسلام ومبانيه، وفسر بها الإسلام في حديث جبرائيل.

ومع هذا؛ فالمخالفون في الإيمان يقولون: لو زال من الإسلام خصلة واحدة أو أربع خصال سوىٰ الشهادتين لم يخرج بذلك من الإسلام.

وقد ضرب العلماء مثل الإيمان بمثل شجرة لها أصل وفروع وشعب. فاسم الشجرة يشمل علىٰ ذلك كله، ولو زال شيء من شعبها وفروعها لم يَزُل عنها اسم الشجرة، وإنما يقال: هي شجرة ناقصة، وغيرها أتم منها.

وقد ضرب الله مثل الإيمان بذلك في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٢٤].

والمراد بـ (الكلمة): كلمة التوحيد، وبـ (أصلها): التوحيد الثابت في القلوب، و(أُكلها): هو الأعمال الصالحة الناشئة منها.

وضرب النبيﷺ مثل المؤمن والمسلم بالنخلة [١]، ولو زال شيء من فروع النخلة ومن ثمرها؛ لم يَزُل بذلك عنها اسم النخلة بالكلية، وإن كانت ناقصة الفروع أو الثمر»[٢].

* قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِذا قِيلَ لَكَ: مَا الإِيمانُ؟ فَقُلْ: أن تُؤْمِنَ باللهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِه، ورُسُلِهِ، واليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّهِ من الله تعالىٰ.

والدَّليلُ؛ قولُه تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ

(١) أخرجه البخاري (٦١)، ومسلم (٢٨١١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص٨٠-٨١ - المنتقىٰ).

غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ودليل القدر؛ قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]».

فيه مسائل:

الأولىٰ: الإيمان لغة: مصدر آمن يؤمن إيمانًا؛ فهو: مؤمن[١]، وهو: من الأمن ضد الخوف[٢].

قال الراغب الأصفهاني: «أصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإنَّ اشتقاقه من الأمن؛ الذي هو: القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد »[٤].

وقد عرف الإيمان لغة بعدة تعريفات: فقيل: «التصديق»، وقيل: «الثقة»، وقيل: «الطمأنينة»، وقيل: «الإقرار».

والذي اختاره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه بمعنىٰ الإقرار؛ لأنه أصدق في الدلالة علىٰ معنىٰ الإيمان من غيره من الألفاظ، ودفع دعوىٰ الترادف بين الإيمان والتصديق، وذكر بينهما فروقًا تؤدي إلىٰ أنَّ أولىٰ تفسير للإيمان هو الإقرار:

١- أنَّ لفظة (آمن) تختلف عن لفظة (صدق) من جهة التعدي؛ حيث إنَّ (آمن) لا تتعدىٰ إلا بحرف الباء؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] أو باللام، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، فيقال: آمن به، وآمن له، ولا يقال: آمنه، بخلاف لفظة (صدق):

---

(١) «تهذيب اللغة» (١٥/ ٥١٣).

(٢) «الصحاح» (٥/ ٢٠٧١)، و«القاموس المحيط» (ص١٥١٨).

(٣) «المفردات» (ص٣٥).

(٤) «الصارم المسلول» (ص٥١٩).

فإنها تتعدىٰ بنفسها؛ فيقال: صدقه.

٢- أنَّه ليس بين (صدق) و (آمن) ترادف في المعنىٰ؛ فإن الإيمان لا يستخدم إلا في الأمور التي يؤتمن فيها المخبر؛ مثل: الأمور الغيبية؛ لأنه مشتق من الأمن، أما الأمور المشاهدة المحسوسة؛ فهذه لا يصلح أن يقال فيها: آمن، وإنما يقال: صدق؛ لأن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال: كذبت، أما لفظة الإيمان؛ فلا تستعمل إلا في الخبر عن غائب.

٣- أنَّ لفظة الإيمان في اللغة لا تقابل بالتكذيب، فإذا لم يصدق المخبر في خبره، يقال: كذبت، وإذا صدق يقال: صدقت، فيقال: صدقناه أو كذبناه، ولا يقال لكل مخبر: آمنا له أو كذبناه، ولا يقال: أنت مؤمن له أو مكذب به.

وإنما يقابل لفظ (الإيمان) لفظ (الكفر)، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب، بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق، ولكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك، وأخالفك ولا أوافقك؛ لكان كفره أعظم.

فلما كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط؛ علم أنَّ الإيمان ليس هو التصديق فقط.

٤- أنَّ الإيمان في اللغة مشتق من الأمن الذي هو ضد الخوف؛ فآمن؛ أي: صار داخلًا في الأمن، فهو: متضمن مع التصديق معنىٰ الائتمان والأمانة؛ كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق؛ ولهذا قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف:١٧]؛ أي: لا تقر بخبرنا، ولا تثق به، ولا تطمئن إليه ولو كنا صادقين؛ لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن علىٰ ذلك، فلو صدقوا لم يأمن لهم، أما التصديق: فلا يتضمن شيئًا من ذلك.

هذه الأمور تمنع دعوىٰ الترادف وتدفعها بين الإيمان والتصديق.

وعليه؛ فالإيمان ليس هو التصديق فحسب؛ إنما هو تصديق وأمن، أو تصديق وطمأنينة، وهو متضمن للالتزام بالمؤمن به، سواء أكان خبرًا أو إنشاءً، بخلاف لفظ التصديق المجرد، فمن أخبر غيره بخبر لا يتضمن طمأنينة إلىٰ المخبر؛ لا يقال فيه: آمن له، بخلاف الخبر الذي يتضمن طمأنينة إلىٰ المخبر، والمخبر قد يتضمن خبره طاعة المستمع له، وقد لا يتضمن إلا مجرد الطمأنينة إلىٰ صدقه، فإذا تضمن طاعة المستمع؛ لم يكن مؤمنًا للمخبر إلا بالتزام طاعته مع تصديقه؛ فإن صدقه دون التزام بطاعته؛ فهذا يسمىٰ: تصديقًا، ولا يسمىٰ: إيمانًا[1].

ولهذا؛ فإن اللفظ المطابق لـ: (آمن) من جهة اللغة: هو لفظ (أقر)؛ لتوافقه مع لفظ (آمن) في الأمور المتقدمة، فإن الإيمان مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة، كما أن لفظ الإقرار مأخوذ من قرَّ يقر، وهو قريب من لفظ آمن يؤمن، لكن الصادق يطمأن إلىٰ خبره، والكاذب بخلاف ذلك؛ كما في قوله ﷺ: «**الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**»[2].

فالمؤمن دخل في الأمن، كما أن المقر دخل في الإقرار، ولفظ الإقرار يتضمن الالتزام، ثم إنه يكون علىٰ وجهين؟

أحدهما: الإخبار، وهو من هذا الوجه كلفظ التصديق والشهادة ونحوهما، وهذا الإقرار الذي يذكره الفقهاء في كتاب الإقرار.

والآخر: إنشاء التزام؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٢٩٠-٢٩٣ و٥٢٩-٥٣٤).

(٢) **صحيح**: جزء من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما مرفوعًا، وأوله: «**دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك...**» أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٨/ ٢٣٧-٢٣٨)، وأحمد (١/ ٢٠٠) وهو صحيح، وانظر كتابي: «نيل الأوطار بتخريج كتاب الأذكار» (٢/ ٨٦١/ ١٢٤٣).

﴿قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وليس هو -هنا- بمعنىٰ الخبر المجرد؛ فإنه سبحانه قال: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ﴾؛ فهذا التزام للإيمان والنصر للرسول، وكذلك لفظ الإيمان فيه إخبار وإنشاء والتزام بخلاف لفظ التصديق المجرد[١].

لذا؛ فالإيمان لغة: هو الإقرار؛ لأن التصديق إنما يطابق الخبر فقط، وأما الإقرار؛ فيطابق الخبر والأمر، ولأن (قرَّ) و (آمن) متقاربان، فالإيمان دخول في الأمن، والإقرار دخول في القرار[٢].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكان تفسيره بلفظ (الإقرار) أقرب من تفسيره بلفظ (التصديق) مع أن بينهما فرقًا»[٣].

ولذلك؛ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعلوم أنَّ الإيمان: هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب -الذي هو التصديق- وعمل القلب -الذي هو الانقياد»[٤].

وعليه؛ فالإقرار مشتمل علىٰ أمرين:

١- اعتقاد القلب؛ وهو تصديقه بالأخبار.

٢- عمل القلب؛ وهو إذعانه وانقياده للأوامر.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٥٣٠-٥٣١).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٦٣٧).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٢٩١).

(٤) المصدر السابق (٧/ ٦٣٨).

الإيمان شرعًا: هو -عند السلف الصالح أهل السنة والجماعة والحديث والأثر-: اعتقاد بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، ويزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان.

قال الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «باب القول: بأنَّ الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمنًا إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال الثلاث».

قال: «اعلموا -رحمنا الله وإياكم- أنَّ الذي عليه علماء المسلمين: أنَّ الإيمان واجب علىٰ جميع الخلق؛ وهو: تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح.

ثم اعلموا: أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقًا، ولا تجزئ معرفة القلب ونطق اللسان حتىٰ يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال: كان مؤمنًا دلَّ علىٰ ذلك الكتاب، والسنة، وقول علماء المسلمين»[1].

وقال: «الإيمان: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح؛ ولا يجوز غير هذا»[2].

وقال الإمام ابن بطة العكبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «باب بيان الإيمان وفرضه، وأنه تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح والحركات؛ لا يكون العبد مؤمنًا إلا بهذه الثلاثة».

ثم قال: «اعلموا -رحمكم الله- أن الله -جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه-

(١) «الشريعة» (٢/ ٦١١).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٢٤).

فرض علىٰ القلب المعرفة والتصديق له ولرسله ولكتبه، وبكل ما جاءت به السنة، وعلىٰ الألسن النطق بذلك والإقرار به قولًا، وعلىٰ الأبدان والجوارح العمل بكل ما أمر به وفرضه من الأعمال؛ لا تجزئ واحدة من هذه إلا بصاحبتها، ولا يكون العبد مؤمنًا إلا بأن يجمعها كلها؛ حتىٰ يكون مؤمنًا بقلبه، مقرًّا بلسانه، عاملًا مجتهدًا بجوارحه.

ثم لا يكون -أيضًا- مع ذلك مؤمنًا حتىٰ يكون موافقًا للسُّنة في كلِّ ما يقوله ويعمله متبعًا للكتاب والعلم في جميع أقواله وأعماله»[(١)].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أصول أهل السنة والجماعة: أنَّ الدين والإيمان قول وعمل؛ قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح»[(٢)].

فهذه خمسة أمور اشتمل عليها الإيمان عند السلف الصالح: قول القلب، وعمله، وقول اللسان، وعمله، وعمل الجوارح.

والأدلة علىٰ ذلك متكاثرة متوافرة؛ نذكر بعضها:

أولًا: قول القلب؛ وهو: تصديقه ويقينه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر:٣٣-٣٤].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥].

وفي حديث الشفاعة العظيم: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة**»[(٣)].

---

(١) «الإبانة» (٢/ ٧٦٠-٧٦١).

(٢) «العقيدة الواسطية» (ص١٦١ بشرح هراس).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

ثانيًا: قول اللسان؛ وهو: النطق بالشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، والإقرار بلوازمهما ومقتضاهما.

قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال -جل شأنه-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

وقال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**» الحديث[1].

ثالثًا: عمل القلب؛ وهو: النية، والإخلاص، والمحبة، والانقياد، والإقبال علىٰ الله ﷻ، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه.

قال -جلَّ ثناؤه-: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

رابعًا: عمل اللسان؛ وهو: العمل الذي لا يؤدىٰ إلا به؛ أي: كتلاوة القران، وذكر الله؛ من التسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والاستغفار، وغير ذلك من الأعمال التي لا تؤدىٰ إلا باللسان.

خامسًا: عمل الجوارح؛ وهو: العمل الذي لا يؤدىٰ إلا بها؛ مثل القيام، والركوع، والسجود، والمشي في مرضاة الله، والحج، والجهاد، وإماطة الأذىٰ عن الطريق، وغير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ [الحج:٧٧-٧٨].

قال الإمام ابن قيم الجوزية: «وهاهنا أصل آخر؛ وهو: أنَّ حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل:

- والقول قسمان: قول القلب؛ وهو: الاعتقاد، وقول اللسان؛ وهو التكلم بكلمة الإسلام.

- والعمل قسمان: عمل القلب -وهو نيته، وإخلاصه -، وعمل الجوارح.

فإذا زالت هذه الأربع: زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب: لم تنفع بقية الأجزاء؛ فإنَّ تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة.

وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق؛ فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون علىٰ زوال الإيمان، وألا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب -وهو محبته، وانقياده-؛ كما لم ينفع إبليس، وفرعون وقومه، واليهود والمشركين الذي كانوا يعتقدون صدق الرسول ﷺ؛ بل ويقرون به سرًّا وجهرًا، ويقولون: ليس بكاذب؛ ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن به»[1].

الثانية: إذا اجتمع مع الإسلام؛ فيفسر بالإقرار والاعتقاد بما جاء به الشرع، وهو حينئذ يطلق علىٰ العمل الباطن، والإسلام علىٰ العمل الظاهر.

الثالثة: أركان الإيمان ستة؛ وهي الواردة في حديث جبريل -عليه الصلاة والسلام-، والركن ما لا يصح الإيمان إلا به، والأركان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله.

---

(١) «كتاب الصلاة» (ص٥٤).

الرابعة: والإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان ودليل ذلك حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[(١)].

ولا منافاة بين كون أركان الإيمان ستة وشعبه بضعًا وسبعين:

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «والجمع بين ما تضمنه كلام المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من أنَّ الإيمان بضع وسبعون شعبة وأنَّ أركانه ستة: أن نقول: الإيمان الذي هو العقيدة أصوله ستة، وهي: المذكورة في حديث جبريل -عليه الصلاة والسلام- حينما سأل النبي ﷺ عن الإيمان؛ فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، وأما الإيمان الذي يشمل الأعمال وأنواعها وأجناسها؛ فهو بضع وسبعون شعبة.

ولهذا؛ سمىٰ الله تعالىٰ الصلاة: إيمانًا في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]»[(٢)].

الخامسة: الركن الأول: الإيمان بالله.

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الإيمان بالله: يتضمن أربعة أمور:**

الأول: الإيمان بوجود الله تعالىٰ، وقد دلَّ علىٰ وجوده تعالىٰ: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس:

١- أما دلالة الفطرة علىٰ وجوده؛ فإن كلَّ مخلوق قد فُطِر علىٰ الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضىٰ هذه الفطرة إلا من

---

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) «شرح الأصول الثلاثة» (ص٦٤).

طرأ علىٰ قلبه ما يصرفه عنه؛ لقول النبي ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يُمجِّسانه**»(١).

٢- وأما دلالة العقل علىٰ وجود الله تعالىٰ؛ فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابدَّ لها من خالق أوجدها؛ إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقًا؟

ولا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن كلَّ حادث لابدَّ له من محدث، ولأن وجودها علىٰ هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعًا باتًّا أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس علىٰ نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة؛ تعين أن يكون لها موجد، وهو: الله ربُّ العالمين.

وقد ذكر الله تعالىٰ هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي؛ حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

يعني: أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم؛ فتعين أن يكون خالقهم هو الله -تبارك وتعالىٰ-؛ ولهذا لمَّا سمع جبير بن مطعم رضي الله عنه رسول الله يقرأ في المغرب الطور، فلما بلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكان جبير يومئذ مشركًا؛ قال: «كاد قلبي أن يطير»[١].

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك:

فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، وملئ بالفرش والأسرة، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إنَّ هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد؛ لبادرت إلىٰ إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفهًا من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه، وأفلاكه وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أَوْجَدَ نفسَه، أو وُجِدَ صُدْفةً بدون موجد؟!

٣- وأما دلالة الشرع علىٰ وجود الله تعالىٰ؛ فإن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل علىٰ أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها: دليل علىٰ أنها من رب قادر علىٰ إيجاد ما أخبر به.

٤- وأما أدلة الحس علىٰ وجود الله؛ فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة علىٰ وجوده تعالىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء:٧٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

عن أنس بن مالك ﷺ: أنَّ أعرابيًّا دخل يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب، فقال: يا رسول الله! هلك المال، وجاع العيال؛ فادع الله لنا، فرفع يديه ودعا؛ فثار السحاب أمثال الجبال: فلم ينزل عن منبره حتىٰ رأيت المطر يتحادر علىٰ لحيته.

وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله! تهدَّم

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٤).

البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: «**اللهم حوالينا، ولا علينا**»، فما يشير إلىٰ ناحية إلا انفرجت»[(١)].

وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا إلىٰ يومنا هذا، لمن صدق اللجوء إلىٰ الله تعالىٰ، وأتىٰ بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمىٰ: المعجزات، ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها: برهان قاطع علىٰ وجود مرسلهم، وهو: الله تعالىٰ؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالىٰ تأييدًا لرسله، ونصرًا لهم.

ومثال ذلك: آية موسىٰ -عليه الصلاة والسلام- حين أمره الله تعالىٰ أن يضرب بعصاه البحر؛ فضربه فانفلق اثني عشر طريقًا يابسًا، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣].

ومثال ثان: آية عيسىٰ -عليه الصلاة والسلام- حيث كان يحيي الموتىٰ، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقال: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠].

ومثال ثالث: لمحمد ﷺ حين طلبت منه قريش آية؛ فأشار إلىٰ القمر؛ فانفلق فرقتين؛ فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر١-٢].

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالىٰ تأييدًا لرسله، ونصرًا لهم: تدل دلالة قطعية علىٰ وجوده تعالىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٣٢)، ومسلم (٨٧٩).

الثاني: الإيمان بربوبيته:

أي: بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين، والرب: من له الخلق والملك والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

ولم يعلم أن أحدًا من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه إلا أن يكون مكابرًا غير معتقد بما يقول؛ كما حصل من فرعون حين قال لقومه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

لكن ذلك ليس عن عقيدة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

وقال موسىٰ لفرعون فيما حكىٰ الله عنه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

ولهذا؛ كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالىٰ مع إشراكهم به في الألوهية؛ قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩].

وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وأمر الرب سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي؛ فكما أنه مدبر الكون، القاضي فيه بما يريد حسبما تقتضيه حكمته: فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته؛ فمن اتخذ مع الله تعالىٰ مشرعًا في العبادات أو حاكمًا في المعاملات: فقد أشرك به، ولم يحقق الإيمان.

الثالث: الإيمان بألوهيته: أي: بأنه وحده الإله الحق لا شريك له، والإله بمعنىٰ المألوه؛ أي: المعبود حبًّا وتعظيمًا:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وكل ما اتُّخذ إلهًا مع الله يعبد من دونه؛ فألوهيته باطلة؛ قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وتسميتها آلهة لا يعطيه حق الألوهية:

قال تعالىٰ في اللات والعزىٰ ومناة: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢٣].

وقال عن هود أنه قال لقومه: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [الأعراف: ٧١].

وقال عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

ولهذا؛ كانت الرسل عليهم السلام يقولون لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، ولكن أبىٰ ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة؛ يعبدونهم مع الله ﷻ، ويستنصرون بهم، ويستغيثون.

وقد أبطل الله تعالىٰ اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية؛ فهي مخلوقة لا تَخلُق، ولا تجلب نفعًا لعابديها، ولا تدفع عنهم ضررًا، ولا تملك لهم حياة ولا موتًا، ولا يملكون شيئًا من السموات، ولا يشاركون فيه.

قال تعالىٰ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

وقال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة: فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه، وأبطل الباطل.

الثاني: أنَّ هؤلاء المشركين كانوا يقرُّون بأنَّ الله تعالىٰ وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يوحِّدوه بالألوهية:

كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته:

أي: ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد ضَلَّ في هذا الأمر طائفتان:

إحداهما: المعطلة: الذين أنكروا الأسماء والصفات، أو بعضها؛ زاعمين: أنَّ إثباتها يستلزم التشبيه؛ أي: تشبيه الله تعالى بخلقه.

وهذا زعم باطل لوجوه منها:

الأول: أنه يستلزم لوازم باطلة؛ كالتناقض في كلام الله سبحانه؛ وذلك: أنَّ الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات، ونفى أن يكون كمثله شيء، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه: لزم التناقض في كلام الله، وتكذيب بعضه بعضًا.

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين؛ فأنت ترى الشخصين يتفقان في أنَّ كلًّا منهما إنسان سميع، بصير، متكلم، ولا

يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية، والسمع، والبصر، والكلام، وترىٰ الحيوانات لها أيد وأرجل وأعين: ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها وأعينها: متماثلة.

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء أو صفات: فالتباين بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

الطائفة الثانية: المشبهة: الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالىٰ بخلقه زاعمين: أنَّ هذا مقتضىٰ دلالة النصوص؛ لأن الله تعالىٰ يخاطب العباد يفهمون.

وهذا الزعم باطل لوجوه؛ منها:

الأول: أنَّ مشابهة الله تعالىٰ لخلقه أمر باطل؛ يبطله العقل والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضىٰ نصوص الكتاب والسنة أمرًا باطلًا.

الثاني: أنَّ الله تعالىٰ خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنىٰ، أما الحقيقة والكُنْه الذي عليه ذلك المعنىٰ؛ فهو مما استأثر الله تعالىٰ بعلمه فيما يتعلق بذاته وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع؛ فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنىٰ -وهو: إدراك الأصوات-، لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلىٰ سمع الله تعالىٰ غير معلومة؛ لأن حقيقة السمع تتباين حتىٰ في المخلوقات؛ فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق: أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالىٰ عن نفسه أنه استوىٰ علىٰ عرشه، فإن الاستواء من حيث أصل المعنىٰ معلوم، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليها غير معلومة بالنسبة إلىٰ استواء الله علىٰ عرشه؛ لأن حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق، فليس

الاستواء علىٰ كرسي مستقر كالاستواء علىٰ رحل بعير صعب نفور، فإذا تباينت في حق المخلوق؛ فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

والإيمان بالله تعالىٰ علىٰ ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها:

الأولىٰ: تحقيق توحيد الله تعالىٰ بحيث لا يتعلق بغيره رجاء ولا خوفًا ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالىٰ وتعظيمه بمقتضىٰ أسمائه والحسنىٰ وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهىٰ عنه»[(١)].

السادسة: الركن الثاني: الإيمان بالملائكة.

قال شيخنا ابن العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الملائكة**: عالم غيبي، مخلوقون، عابدون لله تعالىٰ، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالىٰ من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة علىٰ تنفيذه.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالىٰ، وفي حديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج: «أن النبي ﷺ رفع له البيت المعمور في السماء، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»[(٢)].

والإيمان بالملائكة؛ يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص٦٤-٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٠)، ومسلم (١٦٢).

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، كجبريل -عليه الصلاة والسلام-، ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم أجمالًا.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل؛ فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه علىٰ صفته التي خلق عليها، وله ستمائة جناح، قد سد الأفق[1].

وقد يتحوَّل الملك بأمر الله تعالىٰ إلىٰ هيئة رجل؛ كما حصل لجبريل حين أرسله تعالىٰ إلىٰ مريم، فتمثل لها بشرًا سويًّا، وحين جاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة لا يرىٰ عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلىٰ النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه، ووضع كفيه علىٰ فخذيه، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة وأمارتها، فأجابه النبي ﷺ فانطلق، ثم قال النبي ﷺ: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[2].

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالىٰ إلىٰ إبراهيم وإلىٰ لوط: كانوا في صورة رجال.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالىٰ؛ كتسبيحه، والتعبد له ليلًا ونهارًا بدون ملل ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة:

فجبريل -عليه الصلاة والسلام- الأمين علىٰ وحي الله تعالىٰ يرسله به إلىٰ الأنبياء والرسل.

وميكائيل الموكل بالقطر؛ أي: بالمطر والنبات.

وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصُّور عند قيام الساعة وبعث الخلق.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٢ و٣٢٣٣)، ومسلم (١٧٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) مضىٰ تخريجه (ص١٧).

وملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

ومالك الموكل بالنار، وهو: خازن النار.

والملائكة الموكلون بالأجنة في الأرحام؛ إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، بعث الله إليه ملكًا وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد.

والملائكة الموكلون بحفظ أعمال بني آدم، وكتابتها لكل شخص؛ ملكان: أحدهما عن اليمين، والثاني عن الشمال.

والملائكة الموكلون بسؤال إذا وضع في قبره، يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه.

والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولىٰ: العلم بعظمة الله تعالىٰ وقوته وسلطانه؛ فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالىٰ علىٰ عنايته ببني آدم، حيث وكل مِن هؤلاء الملائكة مَن يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة علىٰ ما قاموا به من عبادة الله تعالىٰ.

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجسامًا، وقالوا: إنهم عبارة عن قوىٰ الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين:

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: ١]، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠].

وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ

أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، وقال في أهل الجنة: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إذا أحب الله العبد نادىٰ جبريل: إنَّ الله يحب فلانًا؛ فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا، فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»[(١)].

وفيه أيضًا عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إذا كان يوم الجمعة كان علىٰ كل باب من أبواب المساجد الملائكة يكتبون الأول؛ فالأول، فإذا جلس الإمام: طووا الصحف، وجاءوا يستمعون الذكر**»[(٢)].

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوىٰ معنوية -كما قال الزائغون-، وعلىٰ مقتضىٰ هذه النصوص أجمع المسلمون»[(٣)].

السابعة: الركن الثالث: الإيمان بالكتب الإلهية:

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكتب: جمع كتاب، بمعنىٰ: مكتوب.

والمراد بها: الكتب التي أنزلها تعالىٰ علىٰ رسله رحمة للخلق، وهداية لهم؛ ليصلوا بها إلىٰ سعادتهم في الدنيا والآخرة.

والإيمان بالكتب: يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأنَّ نزولها من عند الله حقًّا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٩٢٩)، ومسلم (٨٥٠).

(٣) «شرح الأصول الثلاثة» (ص٧٢-٧٤).

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه كالقرآن: الذي نزل على محمد ﷺ، والتوراة: التي أنزلت على موسى -عليه الصلاة والسلام-، والإنجيل: الذي أنزل على عيسى -عليه الصلاة والسلام-، والزبور: الذي أوتيه داود -عليه الصلاة والسلام-، وأما ما لم نعلم اسمه؛ فنؤمن به إجمالًا.

الثالث: تصديق ما صحَّ من أخبارها؛ كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]؛ أي: حاكمًا عليه.

وعلى هذا؛ فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة؛ إلا ما صح منها، وأقره القرآن.

والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده، حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨][1].

الثامنة: الركن الرابع: الإيمان بالرسل.

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرسل جمع رسول، بمعنى: مرسل؛ أي: مبعوث بإبلاغ شيء».

والمراد: من أوحي إليه -من البشر- بشرعٍ، وأُمِرَ بتبليغه.

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص٧٥).

عن أنس بن مالك ﷺ في حديث الشفاعة: «أنَّ النبي ﷺ ذكر أنَّ الناس يأتون إلىٰ آدم؛ ليشفع لهم؛ فيعتذر إليهم، ويقول: ائتوا نوحًا رسول بعثه الله ...» الحديث[1].

وقال الله تعالىٰ في محمد ﷺ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالىٰ بشريعة مستقلة إلىٰ قومه، أو نبي يوحىٰ إليه بشريعة من قبله ليجددها:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤].

والرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء:

قال الله تعالىٰ عن نبيه محمد ﷺ -وهو سيد المرسلين وأعظمهم جاهًا عند الله-: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢١-٢٢].

وتلحقهم خصائص البشرية: من المرض والموت، والحاجة إلىٰ الطعام والشراب، وغير ذلك:

قال الله تعالىٰ عن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- في وصفة لربه تعالىٰ:

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠).

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩-٨١].

وقال ﷺ: «**إنما أنا بشرٌ مثلكم: أنسىٰ كما تنسون؛ فإذا نسيت فذكروني**»(١).

وقد وصفهم الله بالعبودية له في أعلىٰ مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم:

فقال تعالىٰ في نوح -عليه الصلاة والسلام-: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وقال في محمد ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقال في إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٥-٤٧].

وقال في عيسىٰ بن مريم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].

والإيمان بالرسل؛ يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حقٌّ من الله تعالىٰ؛ فمن كفر برسالة واحد منهم، فقد كفر بالجميع؛ كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه؛ وعلىٰ هذا: فالنصارىٰ الذين كذبوا محمدًا ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح بن مريم غير متبعين له، ولاسيما وأنه قد بشَّرهم بمحمد ﷺ، ولا معنىٰ لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله به من الضلالة، ويهديهم إلىٰ صراط مستقيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه؛ مثل: محمد، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ونوح عليهم السلام، وهؤلاء الخمسة، هم: أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالىٰ في موضعين من القرآن في سورة الأحزاب في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

وفي سورة الشورىٰ في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وأما من لم نعلم اسمه منهم، فنؤمن به إجمالًا؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم، وهو: خاتمهم محمد ﷺ، المرسل إلىٰ جميع الناس؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

الأولىٰ: العلم برحمة الله تعالىٰ وعنايته بعباده؛ حيث أَرسل إليهم الرسل؛ ليهدوهم إلىٰ صراط الله تعالىٰ، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله؛ لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالىٰ علىٰ هذه النعمة الكبرىٰ.

الثالثة: محبة الرسل -عليه الصلاة والسلام- وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تعالىٰ؛ ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

وقد كذب المعاندون رسلهم؛ زاعمين: أنَّ رسل الله تعالىٰ لا يكونون من البشر! وقد ذكر الله تعالىٰ هذا الزعم وأبطله، بقوله: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٤-٩٥]؛ فأبطل الله تعالىٰ هذا الزعم بأنه لابد أن يكون الرسول بشرًا؛ لأنه مرسل إلىٰ أهل الأرض، وهم بشر.

ولو كان أهل الأرض ملائكة: لنزل الله عليهم من السماء ملكًا رسولًا، ليكون مثلهم.

وهكذا حكىٰ الله تعالىٰ عن المكذبين للرسل أنهم قالوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم: ١٠-١١]»[1].

التاسعة: الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**اليوم الآخر**: يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء، وسُمِّيَ بذلك؛ لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

والإيمان باليوم الآخر؛ يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث؛ وهو: إحياء الموتىٰ حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عراة غير مستترين، غرلًا غير مختتنين؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص٧٥-٧٨).

فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

والبعث حق ثابت: دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين:

قال الله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون:١٥-١٦].

وقال النبي ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا**»(١).

وأجمع المسلمون علىٰ ثبوته، وهو مقتضىٰ الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالىٰ لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه علىٰ ما كلَّفهم به علىٰ ألسنة رسله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥].

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء؛ يحاسب العبد علىٰ عمله، ويجازىٰ عليه، وقد دل علىٰ ذلك: الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦]، وقال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:١٦٠].

وقال: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يدني المؤمن؛ فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتىٰ إذا قرَّره بذنوبه، ورأىٰ أنه قد هلك، قال: قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها**

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

لك اليوم، فيعطىٰ كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون؛ فينادىٰ بهم علىٰ رءوس الخلائق: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»[(١)].

وصحَّ عن النبي ﷺ: «أن من هم بحسنةٍ؛ فعملها: كتبها الله عنده عشر حسنات إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة، وأنَّ مَن همَّ بسيئة؛ فعملها: كتبها الله سيئة واحدة»[(٢)].

وقد أجمع المسلمون علىٰ إثبات الحساب والجزاء علىٰ الأعمال، وهو مقتضىٰ الحكمة؛ فإن الله تعالىٰ أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض علىٰ العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له، وأَحل دماءهم وذرياتهم ونساءهم وأموالهم؛ فلو لم يكن حساب ولا جزاء: لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه.

وقد أشار الله تعالىٰ إلىٰ ذلك بقوله: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦-٧].

الثالث: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما المآل الأبدي للخلق:

فالجنَّة: دار النعيم التي أعدَّها الله تعالىٰ للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله، متَّبعين لرسوله، فيها من أنواع النعيم «**ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٩)، ومسلم (١٣١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧-٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وأما النّار: فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالىٰ للكافرين الظالمين، الذين كفروا به، وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب والنكال ما لا يخطر علىٰ البال:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

وقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٦].

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت؛ مثل:

أ- فتنة القبر: وهي سؤال الميت بعد دفنه: عن ربه، ودينه، ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: «ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ»، ويضلُّ الله الظالمين؛ فيقول الكافر: «هاه، هاه، لا أدري»، ويقول المنافق -أو المرتاب-: «لا أدري! سمعت الناس يقولون شيئًا؛ فقلته»[1].

ب- عذاب القبر ونعيمه:

فيكون عذاب القبر للظالمين من المنافقين والكافرين:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ

(١) مضىٰ (ص٧).

أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وقال تعالىٰ في آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦].

وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: «**فلولا ألَّا تدافنوا؛ لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**»، ثم أقبل بوجهه فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**»، قالوا: نعود بالله من عذاب القبر.

فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: «**تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن**»، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: «**تعوذوا بالله من فتنة الدجال**»، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال[1].

- وأمَّا نعيم القبر؛ فللمؤمنين الصادقين:

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٩].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: «**ينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنَّة، وألبسوه من**

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧).

الجنّة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره»[1].

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

الأولىٰ: الرغبة في فعل الطاعة، والحرص عليها: رجاءً لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة من فعل المعصية، والرضا بها: خوفًا من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين: أن ذلك غير ممكن.

وهذا الزعم باطلٌ؛ دلَّ علىٰ بطلانه: الشَّرع، والحسُّ، والعقل.

أما من الشَّرع: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

وأما الحسُّ: فقد أرىٰ الله عباده إحياء الموتىٰ في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة خمسة أمثلة علىٰ ذلك وهي:

المثال الأول: قوم موسىٰ حين قالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] فأماتهم الله تعالىٰ، ثم أحياهم، وفي ذلك يقول الله تعالىٰ مخاطبًا بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥-٥٦].

المثال الثاني: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالىٰ أن يذبحوا بقرة، فيضربوه ببعضها، ليخبرهم بمن قتله، وفي ذلك: يقول الله

(١) مضىٰ تخريجه (ص٧).

تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣].

المثال الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت، وهم ألوف، فأماتهم الله تعالىٰ، ثم أحياهم، وفي ذلك: يقول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

المثال الرابع: في قصة الذي مر علىٰ قرية ميتة؛ فاستبعد أن يحييها الله تعالىٰ، فأماته الله تعالىٰ مائة سنة، ثم أحياه، وفي ذلك: يقول الله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل حين سأل الله تعالىٰ أن يريه كيف يحيي الموتىٰ؟ فأمره الله تعالىٰ أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء علىٰ الجبال التي حوله، ثم يناديهن، فتلتئم الأجزاء بعضها إلىٰ بعض، ويأتين إلىٰ إبراهيم سعيًا، وفي ذلك: يقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فهذه أمثلة حسية واقعة تدل علىٰ إمكان إحياء الموتىٰ. وقد سبق الإشارة

إلىٰ ما جعله الله تعالىٰ من آيات عيسىٰ بن مريم في إحياء الموتىٰ، وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالىٰ.

وأما دلالة العقل؛ فمن وجهين:

أحدهما:أن الله تعالىٰ فاطر السموات والأرض وما فيهما، خالقهما ابتداء، والقادر علىٰ ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال -آمرًا بالرد علىٰ من أنكر إحياء العظام وهي رميم-: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩].

الثاني: أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر؛ فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر علىٰ إحيائها بعد موتها، قادر علىٰ إحياء الأموات.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩-١١].

وقد ضل قوم من أهل الزيغ؛ فأنكروا عذاب القبر ونعيمه، زاعمين: أن ذلك غير ممكن لمخالفته الواقع؛ قالوا: فإنه لو كشف عن الميت في قبره: لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعةٍ ولا يضيق.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وهذا الزعم باطل بالشرع، والحس، والعقل:

أمَّا الشرع: فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر، ونعيمه مما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، وذكر الحديث، وفيه: «**أن أحدهما كان لا يستتر من البول** -وفي رواية: **من بوله**- **وأن الآخر كان يمشي بالنميمة**»[1].

وأمَّا الحس: فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه، أو أنه كان في مكان موحش يتألم منه، وربما يستيقظ أحيانًا مما رأى، ومع ذلك، فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه.

وأما العقل: فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للواقع، وربما رأى النبي ﷺ على صفته، ومن رآه على صفته: فقد رآه حقًّا.

ومع ذلك: فالنائم في حجرته على فراشه بعيد عما رأى، فإذا كان هذا ممكنًا في أحوال الدنيا، أفلا يكون ممكنًا في أحوال الآخرة؟

وأمّا اعتمادهم -فيما زعموه- على: أنه لو كشف عن الميت في قبره؛ لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعةٍ ولا ضيق؟

فجوابه من وجوه منها:

الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل: لعلم بطلان هذه الشبهات، وقد قيل:

وكم من عائب قولًا صحيحًا ... وآفته من الفهم السقيم

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس: لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوىٰ المؤمنون بالغيب، والجاحدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب، والنعيم، وسعة القبر وضيقه: إنما يدركها الميت دون غيره، وهذا كما يرىٰ النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه؛ هو في حجرته وبين فراشه وغطائه، ولقد كان النبي ﷺ يوحىٰ إليه وهو بين أصحابه فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة، وربما يتمثل له الملك رجلًا فيكلمه، والصحابة لا يرون الملك، ولا يسمعونه.

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالىٰ من إدراكه، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود؛ فالسموات السبع، والأرض، ومن فيهن، وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحًا حقيقيًّا، يُسْمِعُهُ الله تعالىٰ مَنْ شاء من خلقه أحيانًا.

ومع ذلك: هو محجوب عنا، وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وهكذا الشياطين والجن؛ يسعون في الأرض ذهابًا وإيابًا، وقد حضرت الجن إلىٰ رسول الله ﷺ، واستمعوا لقراءته، وأنصتوا، وولوا إلىٰ قومهم منذرين.

ومع هذا: فهم محجوبون عنا، وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب، ولم يدركوه»[1].

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص٧٩-٨٦).

العاشرة: الركن السادس: الإيمان بالقدر.

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «القدر -بفتح الدال-: تقدير الله تعالىٰ للكائنات، حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته.

والإيمان بالقدر: يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله تعالىٰ عَلِمَ بكل شيء جملة وتفصيلًا، أزلًا وأبدًا، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

وفي هذين الأمرين:

يقول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»(١).

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالىٰ، سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين:

قال الله -تعالىٰ فيما يتعلق بفعله-: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

وقال: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦].

وقال تعالىٰ -فيما يتعلق بفعل المخلوقين-: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٤٠].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالىٰ بذواتها، وصفاتها، وحركاتها:

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقال عن نبي الله إبراهيم عليه السلام إنه قال لقومه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

والإيمان بالقدر علىٰ ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وقدرة عليها؛ لأن الشرع والواقع دالان علىٰ إثبات ذلك له.

أما الشرع: فقد قال الله تعالىٰ في المشيئة: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٣٩]، وقال: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقال في القدرة: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ [التغابن: ١٦]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرةً، بهما يفعل، وبهما يترك.

ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش.

لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالىٰ وقدرته؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

ولأن الكون كله مُلك لله تعالىٰ؛ فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.

والإيمان بالقدر علىٰ ما وصفنا لا يمنح العبد حجة علىٰ ما ترك من الواجبات، أو فعل من المعاصي.

وعلىٰ هذا؛ فاحتجاجه به باطل من وجوه:

الأول: قوله تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]؛ ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]؛ ولو كان القدر حجة للمخالفين: لم تنتفِ بإرسال الرسل؛ لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالىٰ.

الثالث: عن علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة**» فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: «**لا، اعملوا فكل ميسر**»، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥].

وفي لفظٍ: «**فكل ميسر لما خلق له**»[(١)].

فأمر النبي ﷺ بالعمل، ونهىٰ عن الاتكال علىٰ القدر.

الرابع: أن الله تعالىٰ أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع:

قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ولو كان العبد مجبرًا علىٰ الفعل: لكان مكلفًا بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل، ولذلك؛ إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه، فلا إثم

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢٦٤٧).

عليه؛ لأنه معذور.

الخامس: أن قدر الله تعالىٰ سرٌّ مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة علىٰ فعله، فتكون إرادته الفعل غير مبنية علىٰ علم منه بقدر الله، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر؛ إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرىٰ الإنسان يحرص علىٰ ما يلائمه من أمور دنياه حتىٰ يدركه، ولا يعدل عنه إلىٰ ما لا يلائمه، ثم يحتج علىٰ عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلىٰ ما يضره، ثم يحتج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحدًا؟!

وإليك مثالًا يوضح ذلك: لو كان بين يدي الإنسان طريقان:

أحدهما ينتهي به إلىٰ بلد كلها فوضىٰ، وقتل، ونهب، وانتهاك للأعراض، وخوف، وجوع.

والثاني ينتهي به إلىٰ بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض والأموال.

فأي الطريقين يسلك؟ إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلىٰ بلد النظام والأمن، ولا يمكن لأي عاقل أبدًا أن يسلك طريق بلد الفوضىٰ والخوف، ويحتج بالقدر، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة، ويحتج بالقدر؟!

مثال آخر: نرىٰ المريض يؤمر بالدواء؛ فيشربه ونفسه لا تشتهيه، وينهىٰ عن الطعام الذي يضره؛ فيتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلبًا للشفاء والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتج بالقدر، فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله ورسوله به أو يفعل ما نهىٰ الله ورسوله عنه ثم يحتج بالقدر؟!

السابع: أن المحتج بالقدر علىٰ ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي؛

لو اعتدىٰ عليه شخص؛ فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال: لا تلمني؛ فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته.

فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه علىٰ حق الله تعالىٰ؟!

ويذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ رفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده، فقال: «مهلًا يا أمير المؤمنين! فإنما سرقت بقدر الله؛ فقال عمر: ونحن إنما نقطع بقدر الله».

وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولىٰ: الاعتماد علىٰ الله تعالىٰ، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد علىٰ السبب نفسه؛ لأن كل شيء بقدر الله تعالىٰ.

الثانية: ألا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده؛ لأن حصوله نعمة من الله تعالىٰ، بما قدره من أسباب الخير والنجاح، وإعجابه بنفسه: ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالىٰ؛ فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه؛ لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض، وهو كائن لا محالة.

وفي ذلك؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٢-٢٣].

ويقول النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان**

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

خيرًا له»[١].

وقد ضل في القدر طائفتان:

إحداهما: الجبرية؛ الذين قالوا: إن العبد مجبر علىٰ عمله، وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: القدرية: الذين قالوا: إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالىٰ وقدرته فيه أثر.

والرد علىٰ الطائفة الأولىٰ (الجبرية) بالشرع والواقع:

أما الشرع: فإن الله تعالىٰ أثبت للعبد إرادة، ومشيئة، وأضاف العمل إليه: قال الله تعالىٰ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق:

بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته، كالأكل، والشرب، والبيع، والشراء وبين ما يقع عليه بغير إرادته، كالارتعاش من الحمىٰ، والسقوط من السطح.

فهو في الأول: فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني: غير مختار، ولا مريد لما وقع عليه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه.

والرد علىٰ الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل:

أما الشرع: فإن الله تعالىٰ خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئته، وقد بين الله تعالىٰ في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته: فقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالىٰ، والإنسان من هذا الكون: فهو مملوك لله تعالىٰ، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته»[(١)].

قال مقيده أبو أسامة الهلالي -عفا الله عنه-: رب سائل يقول: إذا كان القدر من الله، فكيف يقال: الإيمان بالقدر: خيره وشره، والشر لا ينسب إلىٰ الله؟

والجواب:

١- عند استقراء القرآن الكريم نجد أن الشر لا ينسب إلىٰ الله تعالىٰ ودونك التفصيل:

أ- قال الله تعالىٰ مخبرًا عن إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام-: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء ٧٥-٨٢].

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص٨٧-٩١).

ففي هذه الآيات أسند الخليل عليه السلام كل خير إلىٰ الله، ونسبه إليه، ولما وصل إلىٰ (المرض) قال: (مرضت)، ولم يقلك: (أمرضني) مع أن سياق الآيات يدل علىٰ ذلك، وذلك لأن الإنسان لا يختار المرض ولا يرضاه لنفسه.

ولكن لما كان المرض فيه شرٌّ ظاهر نسبه إلىٰ نفسه، ولم ينسبه إلىٰ ربِّه، وهذا من كمال أدبه مع مولاه ﷻ.

ب- وأخبر الله ﷻ عن الخضر -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٩-٨٢].

فلما كان خرق السفينة شرًّا ظاهرًا نسب العيب إلىٰ نفسه ولم ينسُبه لربه مع أنه فعله عن أمر الله.

وأما في أمر الغلام فقال: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ وأما الجدار فقال في أمره: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ فنسب الخير كله إلىٰ الله.

ت- وأخبر سبحانه عن مؤمني الجن؛ فقال: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] ففي الشر قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ علىٰ الفعل الذي لم يُسَمَّ فاعله، ولم يقولوا: أراد الله بمن في الأرض شرًّا، بينما في الخير قالوا: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ فنسبوا الخير والرشد إلىٰ الله، ولم

ينسبوا الشر إليه، تأدبًا مع الله، مع أنهم لا يعلمون الغيب سواء في الخير أم الشر.

٢- وأما صحيح السنة؛ فقد صرح بذلك بوضوح لا لبس فيه، ولا غموض يعتريه: عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلىٰ الصلاة قال: «**وجهت وجهي للذىٰ فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي؛ فاغفر لي ذنوبي جميعًا؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك**».

وإذا ركع قال: «**اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي**»، وإذا رفع قال: «**اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد**».

وإذا سجد قال: «**اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذىٰ خلقه وصوَّره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين**».

ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت**»[(١)].

٣- لا ينسب الشَّرُّ إلىٰ الله فعلًا ولا تقديرًا ولا حكمًا؛ بل الشر في مفعولات الله لا في فعله، ففعله كله خير وحكمة؛ فتقدير الله لهذه الشرور له حكمة بالغة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٩) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

ويظهر شيء من ذلك في قوله؛ فقال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١] حيث تجد أن الشر ظهر في البر والبحر لما يرجىٰ به من العاقبة الحميدة، وهي الرجوع إلىٰ الله.

ومثال ذلك -ولله المثل الأعلىٰ-: ولدك حين يشتكي ويحتاج إلىٰ آخر الدواء وهو الكي؛ فإنك تكويه بالنار دون تردد: فالكي شر، لكن الفعل خير؛ لأنك تريد شفاءه ومصلحته.

وثم أمر آخر: أن ما يقدره الله لا يكون شرًّا محضًا بل في محله وزمانه، فإذا أخذ الله الظالم أخذ عزيز مقتدر؛ صار ذلك شرًّا عليه؛ ولكنه خير لغيره؛ ليتعظ بما صنع الله به، فيكون خيرًا؛ كما قال الله تعالىٰ في شأن القرية التي كان أهلها يعتدون في السبت: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

وكذلك لو استمرت النعم علىٰ العبد لحمله ذلك علىٰ الأشر والبطر: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦-٧].

بل إن الحسنات لو استمرت ولم يحصل من العبد ذنب؛ لاغتر بنفسه، وأعجب بعمله، وغفل عن الاستغفار والتوبة.

وكم من ذنب كانت عاقبته خيرًا، والثلاثة الذين خلفوا كانت نهايتهم خيرًا من بدايتهم وحالهم أكمل من قبل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

٤- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا لا يجيء في كلام الله تعالىٰ وكلام رسوله ﷺ إضافة الشر وحده إلىٰ الله؛ بل لا يذكر الشَّرُّ إلا علىٰ أحد وجوه ثلاثة:

* إما أن يدخل في عموم المخلوقات؛ فإنه إذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم.

* وإما أن يضاف إلىٰ السبب الفاعل.

* وإما أن يحذف فاعله.

فالأول؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر:٦٢] ونحو ذلك، ومن هذا الباب: أسماء الله المقترنة كالمعطي المانع، والضار النافع، المعز المذل، الخافض الرافع؛ فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه، ولا الضار عن قرينه؛ لأن اقترانهما يدل علىٰ العموم، وكلّ ما في الوجود من رحمة ونفع ومصلحة؛ فهو من فضله تعالىٰ، وما في الوجود من غير ذلك؛ فهو من عدله، فكلّ نعمة منه فضل، وكلّ نقمة منه عدل، كما في «الصحيحين»[1] عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**يمين الله ملأىٰ، لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه، وبيده الأخرىٰ القسط يخفض ويرفع**» فأخبر أن يده اليمنىٰ فيها الإحسان إلىٰ الخلق، ويده الأخرىٰ فيها العدل والميزان؛ الذي به يخفض ويرفع، فخفضه ورفعه من عدله، وإحسانه إلىٰ خلقه من فضله.

وأما حذف الفاعل؛ فمثل قول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن: ١٨]. قوله تعالىٰ في سورة الفاتحة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] ونحو ذلك.

وإضافته إلىٰ السبب؛ كقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق:٢]، وقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩]، مع قوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف:٨٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٨)، ومسلم (٩٩٣/ ٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله تعالىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، وقوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥] وأمثال ذلك.

ولهذا ليس من أسماء الله الحسنىٰ اسم يتضمن الشر، وإنما يذكر الشر في مفعولاته؛ كقوله: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[الحجر: ٤٩-٥٠]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأعراف:١٦٧].

وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الأنفال:٢٥]، وقوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج:١٢-١٤]، فبين سبحانه أن بطشه شديد، وأنه هو الغفور الودود»[1].

* قول المصنف: «**وإذا قِيلَ لَك: مَا الإحسَانُ؟ فقل: أنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ: فإنْ لَمْ تَكُن تَرَاه: فإنَّهُ يرَاك، والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تعالىٰ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]».

فيه مسائل:

الأولىٰ: الإحسان مشتق من الحسن والإتقان، ولذلك؛ فهو: إتقان الظاهر والباطن، فمن أحسن في إسلامه، وأتقن إيمانه؛ فهو من المحسنين.

الثانية: الإحسان يكون ببذل المعروف: من المال، والجاه، والعلم، وكف الأذىٰ عن عباد الله تعالىٰ.

فأما المال؛ فبإنفاقه في سبيل الله، والصدقة علىٰ المحتاجين، وأفضلها

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٩٤-٩٦).

الزكاة المفروضة، وهي أحب النفقات إلىٰ الله، ثم النفقة علىٰ الأهل ومن تجب عليه إعالتهم، ثم النفقة علىٰ الأقرب؛ فالأقرب.

وأما بذل الجاه ؛ بأن يكون في عون إخوانه، ويشفع لهم شفاعة حسنة: إما بدفع ضرر عنهم، أو جلب خير لهم.

وأما العلم؛ فبنشره، والدعوة إلىٰ الله، وتذكير الناس بالحكمة والموعظة.

الثالثة: الإحسان في العبادة له ركن واحد، وهو: «أن تعبد الله؛ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك».

وهذا الركن له مرتبتان:

الأولىٰ: الاستحضار في أنك بين يدي الله؛ كأنك تراه، وهذه عبادة حبٍّ وشوق.

الثانية: مرتبة الاطلاع؛ بأن الله مطلع عليك ويراقبك، وهذه عبادة الرهب والخوف.

ولذلك: فإحسان العبادة يشمل عبادة الرغب والرهب، والخوف والطمع، وهذه عبادة المرسلين والمؤمنين الكمل الخلص.

قال الإمام ابن قيم الجوزية في «نونيته»:

وعبادة الرحمن غاية حبّه مع ذلّ عابده هما ركنان

فالعبادة الصحيحة مبنية علىٰ هذين الأمرين: غاية الحبِّ، وغاية الذُّلِّ.

ففي الحب: الطلب، وفي الذل: الخوف والهرب، فهذا هو مقام الإحسان في عبادة الرحمن ﷻ.

الرابعة: قال الإمام ابن رجب: «قوله ﷺ: **«فإن لم تكن تراه: فإنه يراك»**؛ قيل: إنه تعليل للأول؛ فإن العبد إذا أمر بمراقبة الله تعالىٰ في العبادة واستحضار

قربه من عبده حتىٰ كأن العبد يراه؛ فإنه قد يشق ذلك عليه، فيستعين علىٰ ذلك بإيمانه بأن الله يراه، ويطلع علىٰ سرِّه وعلانيته، وباطنه وظاهره، ولا يخفىٰ عليه شيء من أمره، فإذا تحقق هذا المقام: سهل عليه الانتقال إلىٰ المقام الثاني، وهو دوام التحقق بالبصيرة إلىٰ قرب الله من عبده ومعيته حتىٰ كأنه يراه.

وقيل: بل هو إشارة إلىٰ أن من شقّ عليه أن يعبد الله تعالىٰ كأنه يراه؛ فليعبد الله علىٰ أنّ الله يراه، ويطلع عليه، فليستحِ من نظره إليه.

وقد دلَّ القرآن علىٰ هذا المعنىٰ في مواضع متعددة:

كقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧].

وقوله: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

وقوله: ﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ [النساء: ١٠٨].

وقد وردت الأحاديث الصحيحة بالندب إلىٰ استحضار هذا القرب في حال العبادات:

كقوله للذين رفعوا أصواتهم بالذكر: «**إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا**»، وفي رواية: «**وهو أقرب إلىٰ أحدكم من عنق راحلته**»، وفي رواية: «**هو أقرب إلىٰ أحدكم من حبل الوريد**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٠٧٤) من حديث أبي موسىٰ الأشعري ﷺ.

وقوله ﷺ: «**يقول الله ﷻ: أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه**»[١].

وقوله ﷺ: «**ويقول الله ﷻ: أنا مع ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، فإن ذكرني في نفسه: ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ: ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرَّب منِّي شبرًا: تقرَّبت منه ذراعًا، وأن تقرَّب مني ذراعًا: تقربت منه باعًا، وإن أتاني يمشي: أتيته هرولة**»[٢].

ومن فهم شيئًا من هذه النصوص تشبيهًا أو حلولًا أو اتحادًا: فإنما أتي من جهله وسوء فهمه عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ، والله ورسوله بريئان من ذلك كله، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير![٣].

الخامسة: قال فضيلة الشيخ صالح الفوزان -وفقه الله-: «وهو ينقسم إلىٰ أقسام:

الأول: إحسان بين العبد وبين ربه، وهذا هو المقصود.

الثاني: إحسان بين العبد وبين الناس.

الثالث: إحسان الصنعة وإتقانها؛ فإذا صنع الإنسان شيئًا أو عمل عملًا: فإنه يجب عليه أن يتقنه ويتمه.

النوع الأول: وهو الإحسان بين العبد وربه، بيَّنه الرسول ﷺ لما سأله جبريل بحضرة الصحابة؛ فقال: «**الإحسان: أن تعبد الله؛ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك**»[٤].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣/ ٤١٧) تعليقًا، ووصله ابن ماجه (٣٧٩٢)، وأحمد (٣/ ٥٤٠)، والحاكم (١/ ٤٩٦)، وابن حبان (٢٣١٦ -موارد) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه: البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص ٧١-٧٣- المنتقىٰ).

(٤) تقدم تخريجه (ص ٥٩).

فالإحسان بين العبد وبين ربه هو: إتقانه العمل الذي كلفه الله به؛ بأن يأتي به صحيحًا خالصًا لوجه الله ﷻ، عمل الإحسان بين العبد وربه ما توفَّر فيه الإخلاص لله ﷻ والمتابعة للرسول ﷺ، وقد بيَّن النَّبيُّ ﷺ أن الإحسان علىٰ مرتبتين -واحدة أعلىٰ من الأخرىٰ-:

المرتبة الأولىٰ: أن تعبد الله؛ كأنَّك تراه؛ بأن يبلغ بك اليقين والإيمان بالله: كأنك تشاهد الله عيانًا، ليس عندك تردُّد أو أي شكٍّ، بل كأن الله أمامك تراه عيانًا، فمن بلغ هذه المرتبة: فقد بلغ غاية الإحسان، تعبد الله؛ كأنك تراه: من كمال اليقين وكمال الإخلاص، كأنك ترىٰ الله عيانًا.

والله -جل وعلا- لا يرىٰ في الدنيا، وإنما يرىٰ في الآخرة،ولكن تراه بقلبك حتىٰ كأنك تراه بعينيك.

ولذلك: يجازي أهل الإحسان بالآخرة بأن يروه ﷻ،؛ لما عبدوه وكأنهم يرونه في الدنيا، جازاهم الله بأن أفسح لهم المجال بأن يروه بأبصارهم في دار النعيم.

قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ؛ فالزيادة هي النظر لوجه الله؛ السبب: أنهم أحسنوا في الدنيا: فأعطاهم الله الحسنىٰ -وهي الجنة-، وزادهم رؤية الله.

تعبد الله كأنك تراه علىٰ المشاهدة والمحبة والشوق إلىٰ لقائه، تتلذّذ بطاعته، وتطمئن إلىٰ طاعته، تشتاق إليها، هذه طريقة المحسنين.

المرتبة الثانية: إذا لم تبلغ هذه المرتبة العظيمة؛ فإنك تعبده علىٰ طريقة المراقبة؛ بأن تعلم أنّ الله يراك، ويعلم حالك، ويعلم ما في نفسك، فلا يليق بك أن تعصيه، وأن تخالف أمره،وهو يراك، ويطَّلع عليك، وهذه حالة جيدة، ولكنها أقلّ

من الأولىٰ، وما دمت أنَّك تعلم أنَّه يراك: فإنك تحسن عبادته وتتقنها؛ لأنَّك تعلم أنَّ الله يراك.

ولله المثل الأعلىٰ: لو كنت أمام مخلوق له منزلة وأمرك بأمر، وأنت تنفذ هذا الأمر أمامه وينظر إليك، هل يليق بك أن يقع منك إخلال بهذا الفعل ؟!

الحاصل: أنَّ الإحسان عل مرتبتين:

مرتبة المشاهدة القلبية: وهي أن تعبد الله؛ كأنك تراه من شدة اليقين والإيمان، كأنك ترىٰ الله ﷻ عيانًا.

والمرتبة الثانية: وهي -أقلُّ منها- أن تعبد الله وأنت علىٰ علم أنه يراك ويطلع عليك: فلا تعصيه، ولا تخالف أمره ﷻ.

وهذه مرتبة الإحسان وهو أعلىٰ مراتب الدين، من بلغها؛ فإنّه بلغ أعلىٰ مراتب الدين، وقبلها مرتبة الإيمان، وقبلها مرتبة الإسلام»[1].

السادسة: ومقام الإحسان ينقض زعم الصوفية الذين يعتقدون، أن طلب الجنة والفرار من النار منقصة عظيمة في حقّ العابد.

وإن الطلب عندهم والرغبة لديهم -زعموا- في الفناء في الله، ويقولون: من عبد الله رغبة؛ فتلك عبادة التجار، ومن عبده رهبة؛ فتلك عبادة العبيد، ومن عبده حبًّا. فتلك عبادة الأحرار.

قال الكلاباذي: «العوض ما لله عليك في العلم في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة:١١١]، قال: لتعبدوه بالرِّقِّ لا بالطمع»[2].

وقال: «دخل جماعة علىٰ رابعة يعودونها من شكوىٰ، فقالوا: ما حالك؟

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص١٧١-١٧٤).

(٢) «التعرف لمذهب أهل التصوف» (ص١٤١).

قالت: والله ما أعرف لعلّتي سببًا غير أني عُرِضت عليّ الجنّة؛ فملت بقلبي إليها، فأحسب أن مولاي غار علي، فعاقبني؛ فله العتبىٰ»[١].

ويستدل علىٰ عقيدة القوم بقوله تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، فيقول: «أي:الخالية عن ذكر الله؛ لتعلموا أنه بفضله نلتم لا بأعمالكم»[٢].

ويستدل أيضًا بقول رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ: «**الصوم لي وأنا أجزي به**»، فيقول: «**قال أحد الكبراء: أي: أنا الجزاء**»[٣].

وقال محمد أمين الكردي النقشبندي[٤]:

أحبك لا أرجو بذلك جنّة ... ولا أتّقي نارًا وأنت المراد

إذا كنت لي مولىٰ فأيّة جنّة ... وأيّة نار تتّقىٰ وتراد

وقال ياسين بن إبراهيم السنهوتي: «إن أهل الله لا ينظرون في أعمالهم إلا إلىٰ الله، قالت رابعة العدوية رضي الله عنها: ما عبدتك طمعًا في جنّتك، ولا خوفًا من نارك، ولكن لوجهك الكريم... من عبده خوفًا من شيء أو طمعًا؛ فقد أشرك شركًا خفيًّا...

قال أرسلان الدمشقي: والكفر به علىٰ المخلصين واجب؛ لأن من عبده لأجل الجنَّة والنَّار؛ فقد عبد الجنة والنار وهو طاغوت»[٥].

---

(١) المصدر السابق (ص١٥٥).

(٢) المصدر السابق (ص١٤٢).

(٣) المصدر السابق (ص١٤٣).

(٤) «تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب» (ص٤٨٦).

(٥) «الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية» (١٣٥).

والرد علىٰ تأويله من وجوه:

١- استدلاله بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ساقط من وجوه: أظهرها: أنه قطع الآية عن نهايتها التي تدحض زعمه، وهي قوله تعالىٰ: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾؛ فالعوض هو الجنة.

٢- استدلاله بقوله تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾؛ فهو باطل بعكس معنىٰ الآية؛ فالله ﷻ يقول للمؤمنين يوم القيامة: كلوا واشربوا هنيئًا؛ بسبب ما أسلفتموه من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية.

٣- وأما استدلاله بالحديث: فهو تحريف وتخريف؛ ففي رواية لمسلم بيان لمعنىٰ الحديث: «**كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، قال الله: إلا الصوم؛ فإنه لي وأنا أجزي به**»؛ أي: أجر الصيام يضاعفه الله أضعافًا كثيرة؛ فيوفىٰ الصائمون أجرهم بغير حساب.

هذه العقيدة الصوفية مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

أ- فقد وصف الله حال الأنبياء عليهم السلام وعبادتهم، وأنها رغبًا ورهبًا، وخوفًا وطمعًا: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠]، والأنبياء أكمل الناس إيمانًا.

ب- وصف الله عباده المخلصين بقوله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۚ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

فهؤلاء الذين ورثوا الفردوس الأعلىٰ، وصف الله عبادتهم بأنّها: خوفًا من عذابه، وطمعًا في جنته.

ت- الخوف من النَّار والطمع في الجنَّة يدندن حولها رسول الله ﷺ وأصحابه؛ فقد قال رجل لرسول الله ﷺ: وأما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، وإنما أقول: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار، فقال له ﷺ: «**حولها ندندن**»[١].

فهل يتصور المتصوفة أنهم أكمل من رسول الله ﷺ وصحبه الكرام ؟!

ث- إن عدم الخوف من عقاب الله، وعدم الطمع في ثوابه: يؤدِّي إلىٰ قلَّة الحياء من الله، بل إلىٰ الاستهانة بأوامر الله، ولقد أدَّىٰ ذلك إلىٰ أن يقول أبو يزيد البسطامي: «وددت أن قد قامت القيامة حتىٰ أنصب خيمتي علىٰ جهنم»، فسأله رجل: «ولم ذاك يا أبا يزيد؟!» فقال: «إني أعلم أن جهنم إذا رأتني: تخمد؛ فأكون رحمة للخلق»، وقال: «وما النار؟! والله! لئن رأيتها لأطفأتها بطرف مرقعتي»، وكذلك قال: «اللهم إن كان في سابق علمك أن تعذب أحدًا من خلقك بالنار، فعظم خلقي حتىٰ لا تسع معي غيري»[٢].

بل: إنَّ أبا يزيد كان يعد الجنة كلعبة الصبيان وينشد قائلًا:

أريـــدك لا أريـــدك للـــثواب ولكنـــي أريـــدك للعقـــاب[٣]

ومن سوء أدبه مع ربه تعالىٰ قوله: «إن لله عبادًا لو حجبهم في الجنة عن رؤيته؛ لاستغاثوا بالخروج من الجنة، كما يستغيث بالخروج من النار أهل النار»[٤].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٧٩٢و٧٩٣)، وابن ماجه (٩١٠) بإسناد صحيح.

(٢) انظر «تلبيس إبليس» (ص ٣٤١و ٣٤٣ و٣٤٦).

(٣) «المواهب السرمدية» (ص٤٥).

(٤) المرجع السابق (ص٤٩).

السابعة: قال فضيلة الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإحسان من حيث المعنىٰ: أعمُّ، ومن حيث أهله: أخصُّ؛ لأن الإحسان يشمل أَيّ عمل صالح سواء كان العمل بينك وبين ربك، أو الإحسان إلىٰ عباده، هذا معنىٰ أنه أعم من حيث المعنىٰ، ولكن من حيث أهله أخص؛ أي: المحسنون الذين يصلون إلىٰ هذه الدرجة هم نخبة من المؤمنين -ليس جميع المؤمنين-؛ أي: ليس جميع المؤمنين يصلون إلىٰ درجة الإحسان، ولكنهم نخبة مختارة، وفقهم الله، وسدد أمرهم، هم الذين يحظون بالمعية الخاصة.

المعية الخاصة تزيد علىٰ المعية العامة بالنصر والتأييد والحفظ والكلاءة، والمعية العامة بمعنىٰ العلم والرؤية والتدبير العام، وبهذا المعنىٰ: الله ﷻ مع جميع مخلوقاته، لا يخلو مكان من علمه، وهو فوق عرشه مستوٍ علىٰ عرشه بائن من خلقه، لكن لا يخلو مكان من علمه، وهذه هي المعية العامة.

فإذا قيل: «الله معنا»؛ لا ينبغي أن يتبادر إلىٰ ذهنك بأن الله معنا بذاته هنا في الأرض، فالله ﷻ منزه عن المعية الذاتية مع خلقه، لا مع أهل أرضه ولا مع أهل سمواته ؛ أي: ليس الله بالأرض بذاته ولا في السموات السبع بذاته، ولكن فوق جميع مخلوقاته، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، ولكن هو بعلمه مع كل مخلوق؛ أي: لا تخفىٰ عليه خافية من أمرهم، وهذه تسمىٰ: المعية العامة، وتزداد المعية الخاصة مع المحسنين، مع المتقين، كتلك المعية التي حظي بها الرسول ﷺ وصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، معية خاصة حفظهما الله ورعاهما وسترهما من أعين أعدائهم، تلك هي المعية الخاصة، فلتفهم»[1].

(١) «شرح ثلاثة أصول» (ص ٩٥-٩٦).

الثامنة: قال الشيخ زيد المدخلي -حفظه الله-: «فإنه يكون في العبادة بفعل الأوامر وترك النواهي، وكما يكون في العقيدة ويكون في الشعائر التعبدية؛ كالأعمال الظاهرة جميعها من: صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، وجهاد، ودعوة إلىٰ الله، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وبذل للنصيحة ودلالة علىٰ الخير.. إلىٰ غير ذلك من أنواع البر والإحسان، وبالدرجة الأولىٰ: معرفة الله الكريم الرحمن بذاته وأسمائه وصفاته.

ويكون الإحسان في منهج الدعوة: كما يكون الإحسان في باب الولاء والبراء؛ أي: من يجب أن يُوَالَىٰ، ومن يجب أن يُعَادَىٰ علىٰ ضوء الكتاب والسنة، وبميزان الشرع الشريف، مجانبين ومبتعدين عن الهوىٰ الذي ينحرف بصاحبه عن الخط المستقيم والطريق القويم.

فأما الإحسان في العقيدة -وهو الفقه الأكبر-: فحقيقته: أن يتوجه العامل بعمله كلّه فعلًا وتركًا، ورغبًا ورهبًا، وغير ذلك من أنواع العبادة إلىٰ الله مخلصًا له الدين، راجيًا رحمته ومغفرته ونيل رضاه، وخائفًا ووجلًا من أليم عقابه وغضبه، وسخطه ومقته.

والإحسان في العقيدة: الاعتراف بألوهية الله، بحيث لا تعبد الخليقة إلا إيّاه، ولا تستعين إلا به، بل وتفرده بكل عبادة مالية وبدنية ظاهرًا وباطنًا عبادة مستوفية لركنين عظيمين:

الركن الأول: الحبّ لله ﷻ حبًّا شرعيًّا.

الركن الثاني: الذل والخضوع له ﷻ ؛ إذ هو المستحق لذلك.

وهذان ركنا العبادة عند علماء السلف، بخلاف من انحرف؛ فعبد الله بغير هذه الطريقة، كمن عبد الله بالخوف وحده، وهؤلاء هم الخوارج والمعتزلة، بالغوا في

قضية الخوف، وبالغوا في الوعيد حتىٰ اعتبروا عصاة الموحدين خالدين مخلدين في النار، لا شفاعة لهم ترجىٰ،ولا ذنب لهم يغفر، ولاحظّ لهم في الجنّة، وهذا تعسف وابتعاد عن رحمة الله، وتيئيس للخلق من مغفرة الله ﷻ وسعة رحمته.

وأهل العلم يعرفون في عقيدة الخوارج والمعتزلة: أنهم يرون أن من مات وهو مرتكب كبيرة -ولو كان موحدًا- فإنّه يكون يوم القيامة خالدًا مخلدًا في النار، وهؤلاء عبدوا الله بالخوف الذي غلوا فيه؛ حتىٰ إنهم ما رأوا إلا نصوص الوعيد.

وبخلاف من عبد الله بالرجاء وحده، وهؤلاء هم المرجئة الذين غلوا في نصوص الوعد الكريم، حتىٰ وصل بهم الحدُّ أن قالوا: «لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة»، وهذا خطأ ظاهر!

فإن الله ﷻ قال: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص٢٨].

إلىٰ غير ذلك من الآيات التي أنكر الله فيها علىٰ الكفار الذين ادَّعوا بأن الله ﷻ إذا كان يوم القيامة -يوم الجزاء علىٰ الأعمال- ؛ فإنه سيكون لهم عنده من المنازل، ومن الجاه والتكريم، ومن النَّعيم؛ كالعيش الذي عاشوا فيه في الدنيا قياسًا لأمر الآخرة علىٰ أمر الدنيا، ألا ساء ما زعموا، وبئس ما اعتقدوا.

إذن؛ المرجئة قوم غلوا وبالغوا في الغلو في نصوص الوعد الكريم، وتركوا نصوص الوعيد جانبًا، بخلاف أهل السنة والجماعة علماء السلف وأتباعهم بإحسان؛ فإنهم عبدوا الله -تبارك وتعالىٰ- بالحبِّ والرجاء، والخوف والذُّلِّ له ﷻ، فوفقوا للصراط المستقيم؛ لأن في هذه العبادة علىٰ هذه الصورة وعلىٰ هذا

الحال جمعًا بين نصوص الوعد والوعيد، فلم يسلكوا مسلك الخوارج والمعتزلة، ولم يسلكوا مسلك أهل الإرجاء الذين قالوا: «لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة»، ولم يسلكوا مسلك الصوفية الضالة المضلة.

ومن الإحسان في العقيدة: الإقرار بربوبية الله ﷻ، وهذا النوع من التوحيد أقرّ به المشركون، ولم يخالف فيه إلا شرذمة قليلة من أهل الإلحاد، كانوا يسمون: الدهريين، سماهم القرآن بذلك؛ حيث قال ﷻ عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤]، ويسمون بالملحدين أو الطبائعيين أو الماركسيين ؛ لأنهم أنكروا وجود الله ﷻ.

واشتهر عنهم قولهم: «لا إله، والحياة مادة»؛ فنسوا الله ﷻ، ونسيانهم له إنما هو كبر وعناد ؛ وإلا: فإنهم يعلمون أن لهم ربًّا خالقًا ورازقًا، أنشأهم من العدم في هذه الحياة، ونقلهم منها غير مختارين؛ إلا أنهم يتفلسفون ويقولون: «إن الطبيعة هي التي توجد وتفني»، وقالوا كلمتهم الذميمة: «إن هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع».

فإذا سئلوا عن هذه الطبيعة؛ قالوا: «قوة فاعلة»، غير أنهم لا يدرون عن حقيقة هذه القوة ولا عن صفاتها؛ لأن مقالتهم هذه مجرد افتراء، واصطلاح إلحادي.

وأما أهل السنة وأهل الحق من علماء وأتباع العلماء، فإنهم ينسبون الخلق والإيجاد والإماتة والبعث والتصرف المطلق في عالم السماء وعالم الأرض إلىٰ الله الواحد الأحد، الصمد؛ الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

ومن الإحسان في العقيدة: الإيمان بذات الله وأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا علىٰ الوجه الذي يرضي الله ﷻ عنهم، إيمانًا بذاته وأسمائه وصفاته بدون تشبيه أو

تمثيل، وبدون تأويل، ولا تحريف، ولا تعطيل، بل علىٰ الوجه الصحيح، كما أمرهم الله ﷻ، وعلمهم بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

أما الإحسان في الشعائر التعبدية بدءًا بالطهارة التي فرضها الله ﷻ في كتابه، وبيَّنها رسوله ﷺ بيانًا مفصلًا في سنته حيث قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦].

فبيَّن الله ﷻ فرض الطهارة لأهميتها، وكيف لا تكون مهمة وهي شرط أساسي من شروط صحة صلواتنا فريضة ونافلة، بل وفي غيرها كالطواف بالبيت... وبينها النبي ﷺ بقوله وفعله؛ إذ قال في تعليمه للمسيء في صلاته حيث قال له: «**إذا قمت إلىٰ الصلاة فأسبغ الوضوء**»[(١)]، فأمره بادئ ذي بدء بالطهارة، وأمر أصحابه أن يحضروا له ماءً في طست[(٢)] فتوضأ لهم وهم يشاهدون[(٣)]؛ ليحملوا عنه فقه طهارتهم، ويعملوا به ويبلغوه غيرهم، وفعله هذا يعتبر بيانًا للآية الكريمة التي في سورة المائدة.

وأخبر الله ﷻ أنه متىٰ فقد الماء أو فقدت القدرة علىٰ استعماله: فعلينا أن نتيمَّم صعيدًا طيبًا؛ فنمسح وجوهنا وأيدينا.

---

(١) أخرجه البخاري في (٦٢٥١)، ومسلم (٣٩٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) إناءٌ من نحاس لغسل الأيدي.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٩)، ومسلم (١/ ٢٦٦) كما في حديث حمران مولىٰ عثمان رضي الله عنه.

وأوضح ذلك النبي ﷺ كما في حديث عمار حيث قال له: «**إنما يكفيك أن تضرب بيديك الأرض هكذا**»[1]؛ وضرب بهما ضربة واحدة، ومسح الشمال علىٰ اليمين، ومسح وجهه، وهذا بيان لكيفية التيمم، سواء كان الحدث أكبر أو كان الحدث أصغر.

وامتدادًا إلىٰ الإحسان في الصلاة، والإحسان في الصلاة: إقامتها، وإقامتها تشمل نواحي متعددة تتعلق بالصلاة؛ من: مراعاة دخول الوقت، ومراعاة إتمام الطهارة، ومراعاة حفظ أقوالها وأفعالها وأذكارها التي قسّمها العلماء -بالتتبع والاستقراء من نصوص الكتاب والسنة- إلىٰ:

شروط، وأركان، وواجبات، وسنن قولية، وسنن فعليه.

وهكذا الإحسان في بقية أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وسائر العبادات، فرائض ونوافل وواجبات، كل ذلك يجب أن يكون علىٰ سبيل الإحسان؛ لأنه شرط أساسي من شروطها، وبدون الإحسان في العبادة: لا تنال التقوىٰ، وبدون تقوىٰ الله: لا يقبل العمل.

والدليل علىٰ أن الإحسان شرط في كل عبادة يقوم بها الإنسان ابتغاء مرضاة قوله الله ﷻ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

فقال: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛ فاعتبر الإحسان شرطًا أساسيًّا في إقامة الدين، وإسلام الوجه لله الذي هو التوجه إلىٰ الله علىٰ طريق الحق علمًا وعملًا، ودعوة وخلقًا، وأدبًا وسلوكًا، علىٰ مراد الله، وعلىٰ نهج رسول الله ﷺ، وعلىٰ منهج سلفنا الصالحين الذين تلقوا العلم عن رسول الله ﷺ، ورسول الله قد تلقاه عن جبريل عليه السلام الأمين،

(١) أخرجه البخاري (٣٤١)، ومسلم (٣٦٨).

وجبريل الأمين تلقاه عن ربّ العالمين، فهذا السند العظيم الذي أوصل العلماء الربانيين إلىٰ الحق الواضح المبين الذي رضيه الله -تبارك وتعالىٰ- لهم، وحثهم عليه، ورغبهم ودعاهم إليه، وأثابهم عليه، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وهكذا: يجب الإحسان في منهج الجهاد، ومنهج الدعوة إلىٰ الله ﷻ.

والدعوة: ضرب من ضروب الجهاد، وقد تكون الدعوة بتعليم الخلق وانتشالهم من الشرك إلىٰ التوحيد علىٰ الوجه الصحيح، ومن ذل المعصية إلىٰ عز الطاعة، ومن حمأة الشر إلىٰ الخير.

فإنّ ذلك كلّه يكون من أعظم أنواع الجهاد؛ لأنَّ فيه إرضاءً للرب، وإنقاءً للقلوب، وتبصرةً للأمة؛ ليعبدوا الله ﷻ علىٰ الوجه الذي أراده منهم، وارتضاه لهم.

ولا يكون إحسان في الدعوة إلىٰ الله إلا إذا سلك الدعاة إلىٰ الله مسلك الرسل والأنبياء في دعوتهم، وبالأخصِّ بالنِّسبة لأمة محمد ﷺ ما جاء في كتابهم ليرسم لهم خط الدعوة ومنهجها الأصيل المأخوذ من قصص الرسل والأنبياء، والمأخوذ من قصص رجال أتقياء أولياء تابعوا الرسل في دعوتهم وصبروا؛ كما قصَّ الله عن مؤمن آل ياسين، ومؤمن آل فرعون، وامرأة فرعون، كيف صبر الجميع، وآثروا مراضي الله ﷻ علىٰ ما نزل بهم من تعذيب الجبابرة لهم، وغير هؤلاء من الصالحين المصلحين في كل زمان ومكان -رحمهم الله وتولاهم وجعل الجنة منزلهم ومأواهم-.

إذن؛ فالداعي إلىٰ الله بحاجة إلىٰ ترسم خطا الأنبياء والرسل الذين بدءوا بالدعوة إلىٰ عقيدة التوحيد وإلىٰ التزام التكاليف الشرعية أمرًا ونهيًا، وإلىٰ الدعوة للخلق بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

ومن أمعن النظر في دعوة الرُّسل والأنبياء والتابعين لهم: وجدها تختلف كل الاختلاف عن دعوات نشأت وأسست نتيجة أفكار خاطئة، وسياسات مدمرة، قد تخرب ولا تبني، وتفسد ولا تصلح.

ألا وإن من بنودها: المظاهرات في كلّ البلدان لإزعاج الناس -وربما تكون مظاهرات تجمع رجالًا ونساءً-، والاغتيالات، والتنظيمات السريَّة في الأماكن التي لا يجوز أن تكون فيها تنظيمات سرية، وغير ذلك من الأمور التي أساءت إلىٰ الدعوة، وأساءت بهذا التصرف إلىٰ من يحب أن يدعو إلىٰ الله ؛ لأنهم انتقلوا بالدعوة من خطها المستقيم إلىٰ خطوط غير مستقيمة شرعًا وعقلًا.

والذي يريد تبيان ذلك: فعليه أن يقرأ القصص القرآنية في دعوة الرسل والأنبياء، وفي توجيهات الله ﷻ للخلق، وعليه أن يقرأ سيرة النبي الكريم ﷺ في دعوته الرحيمة، وعليه أن يقرأ سيرة العلماء الربانيين علماء الشرع، علماء تفسير القرآن، وتفسير الحديث، وفهم العقيدة عل وجهها الصحيح.

وعلىٰ طلاب العلم إن أرادوا أن يكونوا دعاة صالحين مصلحين أن يقرءوا نهج الدعوة فيما ذكرت من كتاب الله، وسنَّة رسول الله ﷺ وسنَّة الخلفاء الراشدين من بعده، وطريقة علمائنا الرَّبانيين الذين ورَّثوا لنا وبين أيدينا هذا العلم الشرعي في بطون الكتب، من تفسير، وعقيدة، وحديث، وشرح حديث، وفقه، ووسائل لهذه العلوم الشرعية التي لا يستغني عنها طلاب العلم بحال.

إذن؛ فلابدَّ من الإحسان في منهج الجهاد، ومنهج الدعوة إلىٰ الله علىٰ الوجه الذي أشرت إليه.

وهكذا الإحسان: يجب أن يكون في الولاء والبراء؛ يعني: من يجب عليك أن تواليه، ومن يجب عليك أن تعاديه، وهذا الركن من أركان الدين نصّ عليه

القرآن الكريم، ونصّ عليه النّبيّ ﷺ في سنّته المطهرة.

ففي القرآن الكريم قال الله ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال -تبارك وتعالىٰ- ناهيًا عن موالاة الكفار: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [المجادلة:١٤].

إلىٰ غير ذلك من الآيات التي ترشد إلىٰ معاداة الكافرين والعاصين بقدر معاصيهم.

وهكذا الآيات والنّصوص التي ترشد إلىٰ ولاء من تجب موالاتهم، ويجب فهمها والعمل بها، فعلىٰ المسلم أن يتولىٰ الله ﷻ، فمن يتولىٰ الله -تبارك وتعالىٰ- حقًّا وصدقًا، قولًا وفعلًا، ظاهرًا وباطنًا: تولاه الله.

ومن تولاه الله: حفظه في دنياه، وبرزخه، وأخراه.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٥-٥٦].

وقال ﷻ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

إذن؛ يجب أن تتولىٰ الله ﷻ، وتبرهن علىٰ هذه الولاية بفعل طاعته، وترك

معصيته، وحبّه حبًّا عظيمًا فوق محبة كل شيء سواء، ويجب أن نتولّىٰ رسول الله محبَّة لشخصه ومحبَّة وإيمانًا لما جاء به، ورغبة ومحبَّة منا أن نحشر تحت لوائه يوم تحشر الخلائق، ويوم تدعىٰ كل أمة إلىٰ كتابها، ويوم يدعىٰ كلّ أناس بإمامهم.

والدليل علىٰ تولي رسول الله ﷺ يتضح بالتفاعل مع ما جاء به جملةً وتفصيلًا من كتاب الله وسنته، نقتدي بهما في الاعتقاد، وفي الأقوال والأفعال، وفي السيرة الطاهرة النقية، وفي التعامل بيننا وبين الله، وفي التعامل بيننا وبين عباد الله علىٰ اختلاف أصنافهم وشتىٰ مستوياتهم.

والتولي لإخواننا المؤمنين -محبة ونصحًا، وصدقًا في الإخاء، وحُبًّا للخير لهم، وكراهة لوصول الشر إليهم- تحقيقًا لقول النبي ﷺ: «**المسلم أخو المسلم**»(١).

ولقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٢).

ولقوله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم؛ كمثل الجسد، إذا اشتكىٰ منه عضو؛ تداعىٰ له سائر الجسد بالسّهر والحمىٰ**»(٣).

وقوله: «**من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطىٰ لله، ومنع لله: فقد استكمل الإيمان**»(٤).

ومن هنا: وجب بغض الكافرين والمشركين بغضًا كاملًا؛ لأنهم أعداء الله، وأعداء رسوله، وأعداء المؤمنين، ووجب بغض المنحرفين عن منهج السلف

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، وصححه شيخنا الألباني رحمه الله.

بقدر بعدهم عن الحق، وتمسكهم بالباطل، وهم في ذلك درجات؛ منهم أهل البدع وما أشنعها، ويكفي أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في حقها: «**كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[١]؛ أي: صاحبها، وهو حكم عام يشمل جميع البدع: الاعتقادية، والقولية، والفعلية، والعملية.

فموقف أهل السنة والجماعة -وفي مقدمتهم أصحاب رسول الله ﷺ- من أهل البدع الذين انحرفوا عن خط أصحاب رسول الله وما كانوا عليه: البغض لهم والتحذير منهم.

بل: والبراءة من صنيعهم؛ كما في قصة عبد الله بن عمر لما شكا إليه جماعة بأنهم سمعوا قومًا يقولون: «لا قدر»، فأتوا عبد الله بن عمر، فاهتمَّ لذلك اهتمامًا شديدًا؛ وقال قولته المشهورة: «أخبروهم بأني بريء منهم، وهم برآء مني»[٢].

وهو من هو: علمًا وعملًا، وتأسيًا بالنَّبيِّ ﷺ في كلِّ شيء.

إذن؛ فأهل البدع الذين يدعون الناس إلىٰ بدعهم -أيًّا كان نوع هذه البدع- يجب أن يهجروا وأن يحذروا، وأن تترك مجالسهم والاجتماع معهم، والغدو والرّواح إليهم ومعهم،وما ذلك إلا لخطر البدعة وشؤمها.

ولَمَّا رتب العلماء الأفاضل المعاصي بالتتبع والاستقراء من نصوص الكتاب والسنة؛ ذكروا القول علىٰ الله بغير علم أعظم المعاصي وأكبر الذنوب ؛ لأنه افتراء علىٰ الله، ثم الشرك بالله ﷻ الذي لا يغفره الله، واتبعوا ذلك بالبدع الضالة المضلة لخطر البدع ؛ لأنها إحداث في الدين ما ليس منه، والله ﷻ قد أكمل

---

(١) جزء من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وهو صحيح؛ كما بينته في كتابي: «نسيم الرياض في شرح حديث العرباض».

(٢) جزء من حديث جبريل عليه السلام مضىٰ تخريجه.

الدين، فليست الأمة بحاجة إلىٰ أن يأتي من يزيد ويتوسع في الدين، ويأتي بما لم يكن مشروعًا فيه.

نعم؛ ليست الأمة بحاجة إلىٰ ذلك، ولكن الأمة بحاجة إلىٰ أن تعرف دينها، وأن تعمل بمقتضاه، وتدعو إليه، فهو دين كامل متكامل بشهادة الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

ومن جملة البدع: بدع الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والحلولية، والاتحادية، والمفوضة، والأشاعرة.

ونحلهم مفصلة في كتب العقائد.

كما أن من جملة البدع علىٰ الساحة: التنظيمات السرية التي سميت بأسماء جديدة كـ.. إخوانية، أو سرورية قطبية، أو جماعة تبليغية، أو جبهة كذا؛ وحزب كذا، ونحو ذلك من الأسماء التي سماها زعماء هذه الطوائف، ودعوا الناس إلىٰ الانخراط في نظمها ومناهجها، كلّ هذه بدع باطلة، وكم فيها من الشرور والفوضىٰ، قد أصيب أهلها بانحراف عن منهج الولاء والبراء الشرعيين، فعكسوا القضية، فجعلوا الولاء والبراء لأئمة تلك الأحزاب والجماعات وإن كانوا في خطأ وابتداع.

وأذكر عبارة قالها رجل إخواني اسمه جاسم المهلهل في كتابه: «جلسات مع كتاب وقفات للدعاة فقط»:

«وإن منهج الإخوان ليرفض أي شخص لا يتقيد بنظامه، وإن كان من أورع الناس علمًا وعملًا، ومن أخشعهم في الصلاة».

يعني: أن الذي يقوم بهذه الطاعات، ولكنه لا يتقيد ببنود منهج «الإخوان المسلمين» الذين خططوا له ورتبوه علىٰ غير منهج الحق في جلِّ بنوده.

إذن؛ إن لم يطبق في هذا المنهج الإخواني قاعدة «الولاء والبراء» بحقٍّ، بل عكس فيه القضية، فقد يوالي في المنهج الإخواني من لا يستحق الولاء، ويعادي فيه من لا تجوز معاداته.

نعوذ بالله من تصرفات الحمقىٰ.

ونحن نحذر دائمًا إخواننا وأبناءنا من هذه الكتب التي هي نتيجة أفكار وتخطيطات وملابسات أحاطت بالقوم، وغايات أرادها القوم، سواء كانوا تبليغيين أو إخوانيين أو غيرهم من أهل التنظيمات والسريات، وما شاكل ذلك من أنواع الانحرافات.

نعم؛ إننا نحذر أنفسنا ونحذر أبناءنا وإخواننا، ونربطهم -نصحًا لهم- بكتاب الله ﷻ بالفهم الصحيح، وبصحيح سنة رسول الله ﷺ كذلك، وبمنهج السلف الصالح في دعوتهم وولائهم وبراءتهم علىٰ ضوء الكتاب والسنة.

هذا هو الحق! فمن أحب لنفسه أن يمشي في صراط مستقيم؛ ليرضي الرب الرحيم، وينقذ نفسه من عذاب الله ومقته وسخطه، فعليه أن يترسم خطىٰ منهج السلف الصالح؛ لأنه منهج رباني، ومنهج نبوي، ومنهج سلفي مأخوذ من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ، ولا يعدل عن هذين المصدرين الكريمين يمنة ولا يسرة؛ فالعدول عنهما انحراف عن جادّة الحقّ وسبيل الصواب.

وهكذا الإحسان في السنن التي هي دون الفرائض أعني: سنن الصلاة الراتبة وغير الراتبة وسنن الذكر: بأن يكون علىٰ الوجه الشرعي، لا ذكرًا صوفيًّا، ولا غفلة عن الذكر.

وهكذا في الصدقات النافلة، ثم في طلب العلم والتوسع فيه ونشره ابتغاء مرضاة الله والدار الآخرة.

ولا يكون العبد محسنًا في ذلك إلا إذا أخذ ما ذكر من العبادات من كتاب ربّه، وسنّة رسوله ﷺ الصحيحة، ودرج علىٰ ما عليه سلفنا الصالح الذين فهموا هذا الدين حقّ الفهم، وما أشكل من الأمور ذات الخلاف التي يسوغ فيها الخلاف تبحث بواسطة العلماء الربانيين الذين إذا اختلفوا في مسألة ما من مسائل الشرع والدين؛ ردوا ذلك إلىٰ الكتاب والسنة؛ امتثالًا لقول الله ﷻ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ:١٠].

وامتثالًا لقول الله ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]؛ أي: إلىٰ كتاب الله وإلىٰ رسول الله ﷺ أيام حياته، وإلىٰ سنته الكريمة الصحيحة بعد مماته، وفي الكتاب والسنة حلّ لكل مشكلة ولكل قضية؛ لأن الله ﷻ شرع هذا الدين؛ ليكون للأمة جمعاء إلىٰ أن تقوم الساعة، وإلىٰ أن يرفع هذا العلم إلىٰ الله الذي أنزله.

هذه حقائق شرعية، سبيل معرفتها وفهمها حقّ الفهم: السير المستمر في طلب العلم، والجلوس في حلقاته ؛ ابتغاء مرضاة الله ؛ وابتغاء تبصير النفس بالحق، ومن ثم تبصير الغير.

فخير الحسنات، وأفضل القربات، وأزكىٰ العبادات: أن يوفقك الله -أيها المسلم- لتتعلم علمًا شرعيًّا تنتفع به، ثم تعود به إلىٰ إخوانك المسلمين داعيًا ومعلمًا، ومبشرًا ومحذرًا وناصحًا ومجاهدًا ؛ كما كان إمامك محمد ﷺ يفعل ذلك، فكان أيام حياته المباركة -وغالب مكثه في المسجد- يعلم الجاهل، ويفتي المستفتي، ويعقد ألوية الجهاد، ويجهز السرايا، ويعلم الناس، وبهذه السنة المجيدة أخذ الصحابة الكرام، وعلىٰ رأسهم الخلفاء الراشدون.

وما نصيحة أبي هريرة لأهل السوق في المدينة عن الأذهان ببعيد، فقد غدا

إلىٰ المسجد ثم غدا إلىٰ السوق، وكان قد خرج من المسجد وهو زاخر بحلقات العلم والذكر الشرعي والقراءة، حلقات كل يرغب نوعًا من أنواع العلم، ونوعًا من أنواع العبادة، وخرج أبو هريرة من عندهم، ونادىٰ في أهل السوق: «يا أهل السوق! ما أعجزكم؟!» قالوا: «وماذا؟» قال: «ميراث رسول الله ﷺ يقسَّم، وأنتم هاهنا».

فخرجوا مسرعين إلىٰ المسجد، ثم رجعوا، فقالوا: «ما رأينا شيئًا»، فقال: «وماذا رأيتم؟»، قالوا: «رأينا حلقًا: حلقة يتذاكرون فيها الحلال والحرام، وحلقة يقرءون فيها القرآن، وحلقة يذكرون فيها الله تعالىٰ»، فقال: «ذاك ميراث رسول الله ﷺ»[١].

فكلمة الإحسان كلمة عظيمة، جليلة القدر، واسعة المعاني بحيث لا نستطيع حصرها في مقام واحد، وحسبنا ما دوناه هنا علىٰ سبيل الاختصار؛ ليعلم ويفهم، والله أعلم وأحكم، وبعباده أرحم»[٢].

التاسعة: الإحسان مطلوب من العبد المسلم في كل فعل يقوم به، وكل عمل يؤديه.

عن شداد بن أوس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء، فإذا قتلتم؛ فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم؛ فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**»[٣].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذا الحديث نص في وجوب الإحسان، وقد أمر الله تعالىٰ به، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠]،

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٢/ ١١٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٣): «وإسناده حسن».

(٢) «طريق الوصول إلىٰ إيضاح الثلاثة الأصول» (ص ١٦٠-١٧٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٥٥).

وقال: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وهذا الأمر بالإحسان:

تارة يكون للوجوب؛ كالإحسان إلىٰ الوالدين والأرحام بمقدار ما يحصل البر والصلة، والإحسان إلىٰ الضيف بقدر ما يصل به قراه.

وتارة يكون للندب؛ كصدقة التطوع ونحوها.

وهذا الحديث يدل علىٰ وجوب الإحسان في كلّ شيء من الأعمال، لكن إحسان كل شيء بحسبه:

فالإحسان في الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة: الإتيان بها علىٰ وجه كمال واجباتها، فهذا القدر من الإحسان فيها واجب.

وأما الإحسان فيها بإكمال مستحباتها فليس بواجب، والإحسان في ترك المحرمات: الانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٢٠]؛ فهذا القدر من الإحسان فيها واجب.

وأما الإحسان في الصبر علىٰ المقدورات؛ بأن يأتي بالصبر عليها علىٰ وجهه من غير تسخط ولا جزع.

والإحسان الواجب في معاملة الخلق ومعاشرتهم:القيام بما أوجب الله من فوق ذلك الواجب في ولاية الخلق وسياستهم القيام بواجبات الولاية كلها، والقدر الزائد علىٰ الواجب في ذلك كلّه إحسان ليس بواجب.

والإحسان في قتل ما يجوز قتله من النّاس والدواب: إزهاق نفسه علىٰ أسرع الوجوه، وأسهلها وأرجاها من غير زيادة في التعذيب ؛ فإنه إيلام لا حاجة إليه.

وهذا النوع هو الذي ذكره النبيﷺ في هذا الحديث، ولعله ذكره علىٰ سبيل

المثال، أو لحاجة إلىٰ بيانه في تلك الحال، فقال: «**إذا قتلتم؛ فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم؛ فأحسنوا الذبحة**».

وهذا يدل علىٰ وجوب الإسراع في إزهاق النفوس التي يباح إزهاقها علىٰ أسهل الوجوه.

وقد حكىٰ ابن حزم الإجماع علىٰ وجوب الإحسان في الذبيحة»[1].

العاشرة: استدل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ مقام الإحسان بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

ودلت هذه الآية علىٰ مقام الإحسان من وجوه:

١- تضمنت جميع أنواع الإحسان وأقسامه ومراتبه؛ لأن أهل التقوىٰ هم المحسنون، والتقوىٰ هي فعل المأمورات وترك المحظورات علىٰ نور من الله ترجو ثوابه وتخشىٰ عقابه.

٢- أثبتت المعية الخاصة للمحسنين، وهي تتضمن الحفظ والتأييد، والتثبيت علىٰ الحق، والتوفيق، فالله مع المحسنين يسمعهم ويراهم؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦].

الأصل الثالث: معرفة النبي محمد ﷺ.

* **قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأَصْلُ الثَّالِثُ: إذا قِيلَ لَك: مَنْ نَبِيُّك؟ فَقُلْ: مُحَمَّدٌ بنُ عَبْدُ الله بنِ عَبْدِ المطَّلِبِ بنِ هاشِم، وهاشِمٌ من قُرَيْشٍ، وقُرَيْشٌ من كِنَانَةَ، وكِنَانَةُ من العَرَبِ، والعَرَبُ من ذُرِّيَّةِ إسماعيلَ».**

فيه مسائل:

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٣٤-٢٣٥ -المنتقىٰ).

الأولىٰ: قوله (الأصل الثالث) أي: من الأمور الثلاثة التي يجب علىٰ الإنسان العلم بها بالأدلة، والعمل بها، والدعوة إليها، والصبر علىٰ الأذىٰ فيها؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

الثانية: معرفة هذا الأصل تتضمن خمسة أمور:

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأما معرفة النبي ﷺ؛ فتتضمن خمسة أمور:

الأول: معرفته نسبًا ؛ فهو أشرف الناس نسبًا، فهو هاشمي قرشي عربي، فهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.

الثاني: معرفة سنة ومكان ولادته، ومهاجره، وقد بيَّنها الشيخ بقوله: «وله من العمر ثلاث وستون سنة، وبلده مكة، وهاجر إلىٰ المدينة» فقد ولد بمكة، وبقي فيها ثلاثًا وخمسين سنة، ثم هاجر إلىٰ المدينة؛ فبقي فيها عشر سنين ثم توفي فيها في ربيع الأول سنة إحدىٰ عشرة بعد الهجرة.

الثالث: معرفة حياته النبوية؛ وهي: ثلاث وعشرون سنة ؛ فقد أوحي إليه وله أربعون سنة؛ كما قال أحد شعرائه:

وأتت عليه أربعون فأشرقت ... شمس النُّبوة منه في رمضان

رابع: بماذا كان نبيًّا ورسولًا ؟ فقد كان نبيًّا حين نزل عليه قول الله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

ثم كان رسولًا حين نزل عليه قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧].

فقام ﷺ فأنذر، وقام بأمر الله ﷻ.

الخامس: بماذا أرسل ولماذا؟ فقد أرسل بتوحيد الله تعالىٰ وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور، وأرسل رحمة للعالمين؛ لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلىٰ النور والعلم والإيمان والتوحيد: حتىٰ ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه، وينجو من عقابه وسخطه»[1].

الثالثة: معرفة الفرق بين هذا الأصل وشهادة أن محمدًا رسول الله:

هذا الأصل اعتقادي علمي يتعلق بالمعرفة والعلم، وشهادة أن محمدًا رسول الله أصل اعتقادي عملي ؛ أي: أنك تطيعه، وتتبع أوامره، وتجتنب ما نهىٰ عنه وزجر.

الرابعة: معرفة القدر الواجب من سيرته ﷺ.

معرفة سيرته ﷺ علىٰ قسمين:

القسم الأول: فرض عين.

القسم الثاني: فرض كفاية.

والمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ قصد القسم الأول، وهو: ما يجب علىٰ كل مسلم ومسلمة، وقد أشار إلىٰ ذلك في مقدمة هذه الأصول الثلاثة: «الواجب علىٰ كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاثة أصول».

وأما القسم الثاني؛ فهو واجب علىٰ مجموع علماء الأمة؛ فيجب علىٰ بعض أهل العلم الإحاطة بمسائل السيرة، ومعرفة تفاصيلها.

وبما أن المصنف قصد القسم الأول فما هو حدّ هذا القسم؟

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص٩٥).

قال ابن حزم في باب من الإجماع في الاعتقادات التي يكفر من خالفه بالإجماع:

«ومنه أن محمدًا بن عبد الله القرشي الهاشمي، المبعوث بمكة، المهاجر إلىٰ المدينة رسول اللهﷺ إلىٰ جميع الجن والإنس إلىٰ يوم القيامة»[١].

وقال: «اتفقوا: أنه بقي بالمدينة عشر سنين نبيًّا رسولًا وبمكة مثلها رسولًا نبيًّا، واختلفوا هل بقي في مكة أكثر أم لا؟ قال: اتفقوا أن مهاجر رسول الله ﷺ كان من مكة إلىٰ المدينة يثرب، وأن قبره بيثرب، وبها مات عليه السلام، وأنه نكح النساء وأولد»[٢].

والقدر الوارد في مجموع الأحاديث الواردة في سؤال الملكين عن الرسول ﷺ هو الواجب علىٰ كلّ مسلم ومسلمة، وهو كما يلي:

أ- يجب معرفة اسمه، وأما نسبه؛ فمستحب، وإنما الواجب أن تعرف أن اسمه محمدًا؛ كما جاء من حديث أنس رضي الله عنه: عن النبيﷺ: قال: «**العبد إذا وضع في قبره، وتولىٰ وذهب أصحابه حتىٰ إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمدﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله**»[٣].

ب- أن تعرف أنه رسول الله، وأنه نبي، وأنه عبد الله؛ لا ملك، ولا إله، ولا يعبد، ولا يستغاث به ولا يذبح له، ولا يصرف له شيء من العبادة، ومن صرف له شيئًا من العبادة: فهو مشرك كافر.

ويدل عليه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: «**إن المؤمن إذا**

---

(١) «مراتب الإجماع» (ص١٦٧).

(٢) المصدر السابق (ص١٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

وضع في قبره أتاه ملك، فيقول له: ما كنت تعبد؟ فَإِنِ الله هداه قال: كنت أعبد الله، فقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله، فما يسال عن شيء غيرها»[(١)].

وجاء في حديث الجارية: أنه سألها: «**أين الله؟**»، فقالت: في السماء، قال: «من أنا»، قالت: أنت رسول الله، قال: «**اعتقها؛ فإنها مؤمنة**»[(٢)].

ت- يجب أن تعرف ما جاء به الرسول، وهذا أعظمها؛ كما جاء في حديث أسماء: «**فيسأل الملكان: ما علمك بهذا الرجل؟ فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدىٰ، فأجبنا وآمنا، هو محمد (ثلاثًا)**»[(٣)].

ث- أنه يسأل عن الدليل: كيف عرفت أن محمدًا رسول الله وأنه جاء بالحق ؟ ويدل علىٰ ذلك حديث البراء بن عازب في سؤال الملكين؛ فيقولان: «**ما يدريك عن هذا الرجل؟ فيقول: قرأت كتاب الله؛ فآمنت، وصدقت**»[(٤)].

ج- ويجب أن يعرف أنه عربي، وأنه قد مات ؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وأنه في قبره يحيا حياة برزخية؛ فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**»[(٥)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٧٥١)، وأحمد (٣/ ٢٣٤)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (١٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٤٢٧) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥).

(٤) مضىٰ تخريجه (ص ٧).

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو يعلىٰ (٢٤٢٥)، والبيهقي في «حياة الأنبياء» (٢) بإسناد صحيح. انظر -غير مأمور- كتابي: «صحيح الأنباء المسند من أحاديث الأنبياء» (٣٣٢).

قال شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن الحياة التي أثبتها هذا الحديث للأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- إنما هي حياة برزخية، ليست من حياة الدنيا في شيء، ولذلك وجب الإيمان بها دون ضرب الأمثال لها، ومحاولة تكييفها وتشبيهها بما هو المعروف عندنا في حياة الدنيا.

هذا هو الموقف الذي يجب أن يتخذه المؤمن في هذا الصدد: الإيمان بما جاء في هذا الحديث دون الزيادة عليه بالأقيسة والآراء، كما يفعل أهل البدع: الذين وصل الأمر ببعضهم إلىٰ ادعاء أن حياته ﷺ في قبره حياة حقيقية! قال: يأكل ويشرب ويجامع نساءه!!

وإنما هي حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»[(١)].

ح- ويجب أن يعرف من سيرته ما يفرق بينه وبين مدعي النبوة، فيعرف شيئًا من دلائل صدقه، وبعض معجزاته، وبخاصة المعجزة الكبرىٰ والآية العظمىٰ: القرآن الكريم، ونحو ذلك ما يقطع به أنه الصادق المصدوق -صلوات الله وسلامه عليه-.

الخامسة: وجوب معرفة نبينا محمد ﷺ:

لما كان محمد ﷺ الواسطة بين الحق والخلق في تبليغ الدين، وإقامة الحجة علىٰ العباد: وجب معرفته ﷺ، وإلا كيف تتبع شخصًا لا تعرفه من حيث الاسم، ومن حيث البلد الذي ولد ونشأ فيه، والبلد الذي هاجر إليه، وتعرف مدة عمره ﷺ[(٢)].

---

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢/ ١٩٠).

(٢) انظر -غير مأمور- «شرح الأصول الثلاثة» للشيخ صالح الفوزان (ص١٨٨).

السادسة: قول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «مُحَمَّدٌ بنُ عَبْدِ اللهِ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ بن هَاشِم»:

١- نص على اسمه (محمد)، وهو اسمه العلم الذي عرف به، وقرن بالرسالة؛ كما في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠].

٢- لابُدَّ من ذكر اسمه العلم للوجوه التالية:

أ- لابدَّ منه في التشهد وفي تعينه وتمييزه عن الرسل؛ فلو قلت: آمنت برسول الله؛ لقيل لك: من هو رسول الله؛ فرسل الله كثيرون؟

ب- لابدَّ من ذكر اسمه في الأذان والإقامة والتشهد.

ت- لا يدخل الكافر في الإسلام إلا بالشهادة باسمه العلم.

٣- هذا النسب الذي ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هو اسم الأب واسم الجد ثم القبيلة؛ لأن هاشمًا ليس هو الجد القريب.

السابعة: له جملة من الأسماء؛ فهو:

محمد؛ كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤].

وأحمد؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

والماحي: الذي يمحو الله به الكفر.

والحاشر: الذي يحشر الناس على عقبيه.

والعاقب: الذي ليس بعده رسول؛ كما في حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٢٢)، ومسلم (٢٣٥٤).

والمُقَفَّىٰ: الذي قفىٰ ما قبله من الرسل؛ فهو خاتمهم وآخرهم.

ونبي الرحمة: الذي أرسله الله رحمة للعالمين؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ونبي التوبة: الذي فتح الله به باب التوبة علىٰ العباد.

وهذه الأسماء الثلاثة وردت في حديث أبي موسىٰ الأشعري ﷺ[(١)].

ونبي الملحمة: الذي بعث بجهاد أعداء الله، وهذا الاسم ثابت في حديث حذيفة بن اليمان ﷺ[(٢)].

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو خير أهل الأرض نسبًا علىٰ الإطلاق، فلنسبه من الشرف أعلىٰ ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به عدوه؛ إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم. فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيله، وأشرف الأفخاذ فخذه.

فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

إلىٰ هاهنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف فيه ألبتة، وما فوق «عدنان» فمختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن «عدنان» من ولد إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٥٥).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٣٦٠)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٢١٣/ ٣٦٣١)، وفي «الأنوار في شمائل النبي المختار» (١٥١)، وأحمد (٥/ ٤٠٥)، وابن الأعرابي في «المعجم» (٣٠٢- ط مكتبة الكوثر) و(٣٠٣- ط دار ابن الجوزي)، ومن طريقهما ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ١٩)، والبزار في «مسنده» (٣/ ١٢٠/ ٢٣٧٨- كشف) بإسناد حسن.

وإسماعيل هو الذبيح علىٰ القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم»[١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فجميع قبائل العرب ينتسبون إلىٰ من ذكرت من أبناء عدنان.

وقد بيَّن ذلك الحافظ أبو عمر النمري في كتاب «الإنباه بمعرفة قبائل الرواة»[٢] بيانًا شافيًا -رحمه الله تعالىٰ-.

وقريش -علىٰ قول أكثر أهل النسب- هم الذين ينتسبون إلىٰ فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة، وأنشدوا في ذلك:

قصي لعمري كان يدعىٰ مجمعًا ... به جمع الله القبائل في فهر

وقيل: بل جماع قريش هو النضر بن كنانة، وعليه أكثر العلماء والمحققين؛ واستدل علىٰ ذلك بالحديث الذي ذكره أبو عمر بن عبد البر -رحمه الله تعالىٰ عن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال: قدمت علىٰ رسول الله ﷺ في وفد كِنْدَةَ فقلت: ألستم منا يا رسول الله ؟ قال: «**لا؛ نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفوا أُمَّنا، ولا ننتفي من أبينا**»[٣].

وهذا النسب الذي سقناه إلىٰ عدنان: لا مرية فيه ولا نزاع، وهو ثابت بالتواتر والإجماع.

---

(١) «زاد المعاد» (١/ ٧١).

(٢) (ص٧٠-٧٦).

(٣) **صحيح لغيره**: أخرجه ابن المبارك في «المسند» (٦٩/ ١٦١)، وابن ماجه (٢٦١٢)، وأحمد (٥/ ٢١١/ ٢١٢) بإسناد حسن.

وله شاهد عن ابن شهاب الزهري مرسلًا، وانظر «الفصول في سيرة الرسول ﷺ» (ص ٣١ -٣٢ -بتحقيقي).

وإنما الشأن فيما بعد ذلك ؛ لكن لا خلاف بين أهل النسب وغيرهم من علماء أهل الكتاب: أنّ عدنان من ولد إسماعيل نبي الله، وهو الذبيح علىٰ الصحيح من قولي الصحابة والأئمة، وإسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن -عليه أفضل الصلاة والسلام-.

فجميع قبائل العرب مجتمعون معه في عدنان؛ ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورىٰ: ٢٣].

قال ابن عباس ﷺ: «لم يكن بطن من قريش إلا ولرسول الله ﷺ فيهم قرابة»(١).

وهو صفوة الله منهم كما في حديث واثلة بن الأسقع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اختار كنانة من ولد إسماعيل، ثم اختار من كنانة قريشًا، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم**»(٢).

وكذلك بنو إسرائيل؛ أنبياؤهم وغيرهم يجتمعون معه في إبراهيم عليه السلام الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب.

وهكذا أمر الله ﷻ بني إسرائيل علىٰ لسان موسىٰ -عليه الصلاة والسلام-، وهو في التوراة؛ كما ذكره غير واحد من العلماء ممن جمع بشارات الأنبياء به ﷺ: أن الله قال لهم -ما معناه-: «سأقيم لكم من أولاد أخيكم نبيًّا كلكم يسمع له، وأجعله عظيمًا جدًّا»(٣).

ولم يولد من بني إسماعيل أعظم من محمد ﷺ، بل لم يولد من بني آدم

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٦).

(٣) «سفر التثنية» (إصحاح ١٨).

أحد، ولا يولد إلىٰ قيام الساعة: أعظم منه ﷺ؛ فقد صح عنه أنه قال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر؛ آدم فمن دونه من الأنبياء تحت لوائي**»(١).

وصحَّ عنه أنه قال: «**سأقوم مقامًا يرغب إليَّ الخلق كلهم؛ حتىٰ إبراهيم**»(٢).

وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله تعالىٰ، وهو الشفاعة العظمىٰ التي يشفع في الخلائق كلهم؛ ليريحهم الله بالفصل بينهم من مقام المحشر؛ كما جاء مفسرًا في الأحاديث الصحيحة عنه ﷺ(٣).

وأمه ﷺ: هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة(٤).

الثامنة: قول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكِنَانَةُ مِنَ العَرَبِ».

فيه فروع:

الأولىٰ: سمي العرب عربًا؛ لإعرابهم الكلام، ولفصاحتهم وبلاغتهم.

الثاني: العرب علىٰ قسمين:

أ- العرب العاربة: وهم القحطانية، وهم من ينتهي نسبهم إلىٰ هود عليه السلام.

ب- العرب المستعربة: وهم العدنانية، من ذرية إسماعيل عليه السلام.

الثالث: سموا (مستعربة)؛ لأنهم تعلموا العربية من العرب العاربة؛ لما جاءت جرهم، ونزلوا مكة عند هاجر أم إسماعيل، وابنها إسماعيل صغير لما وجدوا ماء زمزم، واصطلحوا مع هاجر: أن ينزلوا عندها، وأن تسمح لهم أن يستسقوا الماء.

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه أبو يعلىٰ (٧٤٩٣)، وابن حبان (٦٤٧٨) من حديث عبد الله بن سلام بإسناد فيه ضعيف.

(٢) أخرجه مسلم (٨٢٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧٦ و ٤٧١٣)، ومسلم (١٩٣ و ١٩٤) من حديث أنس بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٤) «الفصول في سيرة الرسول ﷺ» (ص ٢٨-٤٠ بتحقيقي) باختصار.

وإسماعيل كان رضيعًا في ذلك الوقت، ثم إنه تربىٰ ونشأ، وأخذ العربية من جرهم، وهي من العرب العاربة، وتزوج من جرهم، وجاءه ذرية وتعلموا العربية ونشئوا مع العرب؛ فصاروا عربًا مستعربة، وهم العدنانية[1].

إسماعيل عليه السلام لم يكن أصله عربيًّا؛ لأن إبراهيم عليه السلام ليس عربيًّا، وإبراهيم عليه السلام أتىٰ بابنه إسماعيل إلىٰ مكة مع أمه هاجر، ولم يكن بها أنيس ولا حسيس، وهاجَرُ هي الأَمَة التي وهبها لإبراهيم عليه السلام الجبار الذي استدعاه لما دخل بلده، فقال أهل هذا البلد للجبار: إن رجلًا معه امرأة من أجمل الناس ولا ينبغي أن تكون إلا لك، وهذه المرأة هي سارة؛ فاستدعاه؛ وسأله عنها.

فعلم إبراهيم عليه السلام أنه إذا قال: «إنها زوجتي» أخذها، فقال: «إنها أختي»؛ تأوّل هذا بأنها أخته في الإسلام، ثم علم أنه سيستدعيها فقال لها: إنه سألني فقلت: إنك أختي؛ فلا تكذبيني، أنت أختي في الإسلام، ليس في الناس اليوم مسلم غيري وغيرك، وهي سارة، فاستدعاها وسألها، قالت: «أنا أخته»، ومع ذلك مدّ يده إليها فقبضت يده، فقال: ادعي إلهك أن يطلق يدي، ولن أتعرض لك، فدعت الله، فمدها مرة ثانية فقبضت أشد من الأولىٰ، قال لها مرة أخرىٰ: ادعي إلهك أن يطلق يدي، ولن أتعرض له، فدعت الله فمدها مرة ثالثة فقبضت مرة أخرىٰ، حتىٰ صار يركض برجله الأرض، ورأىٰ الموت، فقالت: اللهم إن يمت يقولون: قتلته، فقال: ادعي إلهك أن يطلق يدي وأخرجك، فدعت الله فأطلقه فصاح: أخرجوها عني؛ إنما جئتموني بشيطان، ثم أعطاها الجارية، وكان إبراهيم عليه السلام يصلي ويدعو ربه، فلما جاءت سارة استقبلها قائلًا: مهيم؟

قالت: أخزاه الله، وأخدم وليدة، وإبراهيم عليه السلام لم يأتيه من سارة أولاد،

---

(١) انظر: «شرح الأصول الثلاثة» للشيخ صالح الفوزان (ص١٩٠-١٩١).

وكبر سنه، فوهبته الجارية، فحملت، فغارت سارة منها، فجاء بها مهاجرًا مع ابنها وهو يرضع، فوضعها في مكان عند البيت، وليس عندها أحد، ورجع وهي تقول: «يا إبراهيم تذهب وتتركنا هنا»، وهو لا يكلمها، فلما رأت أنه لا يكلمها قالت: آلله أمرك بهذا؟

قال: نعم.

فرجعت وقالت: «إذن؛ لا يضيعنا الله»، وكان معها قليل من الماء وقليل من التمر، فانتهىٰ الماء، وجف ثديها، وجاع الصبي، وظمي حتىٰ كاد يدركه الموت، وجعل يتلبط، فكرهت أن تنظر إليه وهو يموت، فنظرت فإذا أقرب مرتفع إليها هو الصفا، فصعدت الصفا لعلها ترىٰ أحدًا، فلم تر أحدًا، فنزلت متجهة للمروة لعلها ترىٰ أحدًا، وفعلت هذا سبع مرات، إذا وصلت الوادي سعت أشد ما يكون سعيًا بكل جهدها، وأخيرًا سمعت صوتًا؛ فقالت لنفسها: صه، ثم تأكدت من الصوت وقالت: لقد أسمعت إن كان عندك غوث؛ فأغث، فنظرت! فإذا جبريل عليه السلام عند الصبي، فبحث في الأرض، فنبعت زمزم، فصارت تحجرها بالتراب.

يقول الرسول ﷺ: «**رحم الله أم إسماعيل لو تركتها؛ لكانت عينًا معينًا**»[1]، ولكنها حجرتها؛ فاحتجر الماء، فصارت تشرب من الماء وقال لها: «لا تخافي، فإن هذا الصبي سيبني مع والده بيتًا لله في هذا المكان»، وجاءت مجموعة من الناس من اليمن ومن أسفل مكة، فرأوا الطير تحوم فوق الماء، فقالوا: «عهدنا بهذا الوادي لا ماء فيه»، فأرسلوا رجلًا ينظر فوجد الماء، فاستأذنوها لينزلوا عندها، وكانت تحب الأُنس، فقالت: «نعم؛ ولكن لا حق لكم في الماء»، فرضوا ونزلوا يشربون، والماء ليس لهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٨).

المقصود: أن هذا أصل إسماعيل عليه السلام، ثم كبر إسماعيل عليه السلام وتزوج منهم، وأتىٰ إبراهيم بعد فترة ينظر إليه ويسلم عليه، ولكنه أتىٰ مرتين فلم يجده، أحدهما لقي زوجته، فقال: أين بعلك؟ قالت: «ذهب يطلب لنا الصيد»، قال: ما طعامكم؟ قالت: الماء واللحم ونحن في شرٍّ من العيش لا يرضي»، قال لها: إذا جاء بعلك أقرئيه السلام وقولي له يغيّر عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل عليه السلام وكأنه حسَّ؛ سأل زوجته: هل أتاكم أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ صفته كذا وكذا ويقرئك السلام ويقول لك: «غير عتبة بابك»، قال: هذا والدي وأنت عتبة بابي، اذهبي لأهلك»، ثم تزوج بأخرىٰ، فصارت أحسن من الأولىٰ، فلما جاء إبراهيم عليه السلام مرة أخرىٰ لم يجد إسماعيل عليه السلام ولقي زوجته فسألها: أين بعلك؟ قالت: ذهب يطلب لنا الصيد، فسألها عن حالتهم فقالت: نحن بخير، ونعم من الله ﷻ وأثنت علىٰ الله، فقال لها: إذا جاء بعلك أقرئيه السلام، وقولي له: أمسك عتبة بابك، ثم أتىٰ مرة ثالثة ووجده؛ فاعتنقه وقال له: إن الله أمرني أن أبني بيتًا هنا، فصاروا يبنون البيت الذي أمرهم الله ﷻ ببنائه، فهذا أصل العرب لما تزوج كثر الناس منه، وصاروا هم أهل البيت، وانتشروا في الأرض، وصار له ذرية كبيرة وأرسله الله إليهم، فهو رسول من رسل الله الذين نص عليهم في القرآن، فأرسله لذريته ومن حولهم[1].

الرابع: والعرب المستعربة من أصول عربية من جهة جرهم، وأصول غير عربية من جهة إبراهيم وهاجر.

وإسماعيل أوّل من تكلّم العربية الفصيحة، والعرب ذريته؛ فدل علىٰ أن العربية ليست الجنس، وإنّما اللّسان.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول من فتق لسانه**

(١) انظر: «المحصول من شرح ثلاثة الأصول» للشيخ عبد الله الغنيمان (ص١٧١-١٧٤).

بالعربية المبينة: إسماعيل، وهو ابن أربع عشرة سنة»[١].

التاسعة: جنس العرب أفضل الأجناس.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذي عليه أهل السنة والجماعة: اعتقاد أنّ جنس العرب أفضل من جنس العجم -عبرانيهم، وسريانيهم، وورومهم، وفرسهم، وغيرهم-، وأنَّ قريشًا أفضل العرب، وأن بني هاشم أفضل قريش، وأنَّ رسول الله ﷺ أفضل بني هاشم؛ فهو أفضل الخلق نفسًا، وأفضلهم نسبًا.

وليس فضل العرب ثم قريش، ثم هاشم: بمجرد كون النبي ﷺ منهم -وإن كان هذا من الفضل-، بل هم في أنفسهم أفضل، وبذلك ثبت لرسول الله ﷺ أنه أفضل نفسًا ونسبًا، وإلا لزم الدور.

ولهذا؛ ذكر أبو محمد بن حرب بن إسماعيل بن خلف الكرماني -صاحب الإمام أحمد- في وصفه للسنة التي قال فيها: «هذا مذهب أئمة العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المعروفين بها المقتدىٰ بهم فيها، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها؛ فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها؛ فهو مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحقِّ.

وهو مذهب أحمد، وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد، وعبد الله بن الزبير الحميدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم؛ فكان من قولهم: «أن الإيمان قول وعمل ونية... وساق كلامًا طويلًا إلىٰ أن قال: «ونعرف للعرب حقها، وفضلها، وسابقتها، ونحبهم، ولا نقول بقول الشعوبية

---

(١) صحيح: أخرجه الشيرازي في «الألقاب»، والزبير بن بكار في «كتاب النسب» وإسناده حسن؛ كما قال الحافظ في الفتح» (٦/ ٤٠٣).

وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب، ولا يقرُّون بفضلهم، فإن قولهم بدعة وخلاف».

ويروون هذا الكلام عن أحمد نفسه في رسالة أحمد بن سعيد الإصطخري عنه -إن صحَّت-، وهو قوله وقول عامة أهل العلم.

وذهبت فرقة من الناس إلىٰ:

أن لا فضل لجنس العرب علىٰ جنس العجم، وهؤلاء يسمون: الشعوبية؛ لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل؛ كما قيل: «القبائل للعرب، والشعوب للعجم».

ومن الناس: من قد يفضِّل بعض أنواع العجم علىٰ العرب.

والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق: إما في الاعتقاد، وإما في العمل المنبعث عن هوىٰ النفس، مع شبهات اقتضت ذلك.

مع أن هذا الكلام في هذه المسائل لا يكاد يخلو عن هوىٰ للنفس، ونصيب للشيطان من الطرفين -وهذا محرم في جميع المسائل-: فإن الله قد أمر المؤمنين بالاعتصام بحبل الله جميعًا، ونهاهم عن التفرّق والاختلاف، وأمر بإصلاح ذات البين، وقال النبي ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم: كمثل الجسد؛ إذا اشتكىٰ منه عضو: تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسهر**».

وقال ﷺ: «**لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم الله**».

وهذان حديثان صحيحان، وفي الباب من نصوص الكتاب والسنة ما لا يحصىٰ.

واعلم أن الأحاديث في فضل قريش، ثم في فضل بني هاشم فيها كثرة، وليس هذا موضعها، وهي تدل أيضًا علىٰ ذلك؛ إذ نسبة قريش إلىٰ العرب كنسبة العرب

إلىٰ الناس، وهكذا جاءت الشريعة.

فإن الله تعالىٰ خصَّ العرب ولسانهم بأحكام تميَّزوا بها، ثم خصَّ قريشًا علىٰ سائر العرب بما جعل فيهم من خلافة النُّبوَّة وغير ذلك من الخصائص، ثم خصَّ بني هاشم بتحريم الصدقة واستحقاق قسط من الفيء إلىٰ غير ذلك من الخصائص، فأعطىٰ الله سبحانه كلّ درجة من الفضل بحسبها، والله عليم حكيم: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ [الحج:٧٥]، و﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[الأنعام: ١٢٤].

وقد قال الناس في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزُّخرُف:٤٤]، وفي قوله: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة:١٢٨] أشياء ليس هذا موضعها.

وفي المسألة آثار غير ما ذكرته، في بعضها نظر، وبعضها موضوع.

وأيضًا: فإن عمر بن الخطاب ﷺ لما وضع ديوان العطاء كتب النّاس علىٰ قدر أنسابهم، فبدأ بأقربهم نسبًا إلىٰ رسول الله ﷺ، فلما انقضت العرب ذكر العجم، هكذا كان الديوان علىٰ عهد الخلفاء الراشدين وسائر الخلفاء من بني أمية وولد العباس إلىٰ أن تغير الأمر بعد ذلك.

وسبب هذا الفضل -والله أعلم-:

ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم، وذلك أن الفضل: إما بالعلم النافع، وإما بالعمل الصالح، والعلم له مبدأ وهو: قوة العقل الذي هو: الحفظ والفهم، وتمام، وهو: قوة المنطق الذي هو: البيان والعبارة، والعرب هم أفهم من غيرهم،وأحفظ وأقدر علىٰ البيان والعبارة، ولسانهم ألمُّ الألسنة بيانًا، وتمييزًا للمعاني جمعًا وفرقًا، يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل.

وأما العمل: فإن مبناه علىٰ الأخلاق، وهي الغرائز المخلوقه في النفس، وغرائزهم أطوع للخير من غيرهم، فهم أقرب للسخاء، والحلم، والشجاعة، والوفاء، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة »[١].

قال مقيده أبو أسامة الهلالي -غفر الله له ولوالديه ومشايخه-: فإذا تقرر ذلك: فلابدَّ من التقيد بجملة ضوابط:

الأول: تفضيل العروبة هو حكم متجه إلىٰ جنس العرب، ولا يستغرق جميع أفرادهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «تفضيل الجملة علىٰ الجملة لا يستلزم أن يكون كلّ فرد أفضل من كلِّ فرد؛ فإن في غير العرب خلقًا كثيرًا خيرًا من أكثر العرب، وفي غير قريش من المهاجرين والأنصار من هو خير من أكثر قريش، وفي غير بني هاشم من قريش وغير قريش من هو خير من أكثر بني هاشم»[٢].

وقال أيضاً: «فإن فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص، فربَّ شخص أفضل عند الله من جمهور قريش»[٣].

الثاني: أن معرفة العربي المسلم لهذا الاصطفاء والتكريم لجنسه؛ يحمله علىٰ أمرين:

١- استنفار عوامل الخير في تكوينه.

كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ الفضل: إما بالعلم النافع، وإما بالعمل

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص١٤٨-١٦٢) بتصرف، وانظر أيضًا: «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٣٦٤).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٩/ ٢٦-٣٠).

(٣) «الاقتضاء» (ص١٦٤-١٦٥- ط الفقي).

الصالح، والعلم له مبدأ؛ وهو: قوة العقل الذي هو: الحفظ والفهم، وتمام؛ وهو: قوة المنطق الذي هو البيان والعبارة، والعرب هم أفهم من غيرهم، وأحفظ وأقدر علىٰ البيان والعبارة، ولسانهم ألمُّ الألسنة بيانًا، وتمييزًا للمعاني جمعًا وفرقًا، يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل.

وأما العمل: فإن مبناه علىٰ الأخلاق، وهي الغرائز المخلوقه في النفس، وغرائزهم أطوع للخير من غيرهم؛ فهم أقرب للسخاء، والحلم، والشجاعة، والوفاء، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة، لكن كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير معطلة عن فعله»[(١)].

٢- إدراك العلاقة الوطيدة والصلة الوثيقة بين العروبة والإسلام؛ لأن العرب مادة الإسلام؛ فإن عجزوا عن حملهﷺ فغيرهم أشد عجزًا.

قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما «يا معشر العرب! والله لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكمﷺ؛ فغيركم من الناس أحرىٰ ألا يقوم به»[(٢)].

الثالث: هذا التفضيل ليس للتفاخر بالأحساب والطعن بالأنساب؛ فإن هذه الفعال من خصال الجاهلية التي نبذها الإسلام، وحذر منها الرسول ﷺ.

فقال رسول اللهﷺ: «**إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية، وفخرها بالآباء: مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، لينتهين أقوام فخرهم برجال، أو ليكونن أهون عند الله من عدَّتهم من الجعلان التي تدفع بأنفها النَّتن**»[(٣)].

---

(١) المصدر السابق (١٦٠-١٦١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٩٧)، وأحمد (٢٨/ ١٣٤-١٣٥/ ١٦٩٣٧- ط الرسالة) وغيرهم، وهو صحيح كما بينته في تخريجي لـ «السنة» لابن نصر المروزي (٣٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٦)، وأحمد (٢/ ٣٦١) وغيرهم بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس! ألَا إنَّ ربكم واحد، ألَا وإنَّ أباكم واحد، ألَا لا فضل لعربي علىٰ عجمي، ألَا لا فضل لأسود علىٰ أحمر إلا بالتقوىٰ، ألَا قد بلغت؟**» قالوا: نعم، قال: «**ليبلغ الشاهد الغائب**»(١).

هذا؛ وقد صنف كثير من أهل العلم في هذا الموضوع؛ كالإمام ابن قتيبة في «فضل العرب والتنبيه علىٰ علومها»، والإمام العراقي في «محجة القرب في فضل العرب»، ومرعي الكرمي في «مسبوك الذهب في فضل العرب»، و«شرف العلم علىٰ شرف النسب».

مما يؤكد خطأ كلمات ابن خلدون في «مقدمته» في حمله علىٰ العرب، هذه الغلطات الشنيعة التي أصبح يرددها دعاة الشعوبية المعاصرة.

* **قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإِسْمَاعِيلُ مِنْ إِبرَاهِيمَ، وإِبْرَاهِيمُ مِنْ نُوحٍ، ونُوحٌ مِن آدَمَ، وآدَمُ مِنْ تُرابٍ، والدليل قوله تعالىٰ:** ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩]».

فيه مسائل:

الأولىٰ: دلَّ القرآن الكريم دلالة واضحة علىٰ أن أمة العرب التي بُعِث فيها محمد ﷺ من ذرية إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧-١٢٨].

وهذه الآية دالة بمنطوقها ومفهومها علىٰ أن العرب الذين بعث فيهم الرسول ﷺ من ذرية إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٤١١) بإسناد صحيح من حديث رجل سمع خطبة النبي ﷺ.

وقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩]؛ يؤكِّد ذلك، فأن رسول الله ﷺ محمد عربي من ذرية إسماعيل عليه السلام، والخليل عليه السلام والد الأنبياء من بعده، وإمام الحنفاء من ولده: الذين يقتدون به، ويتمسكون بسنته.

قال تعالىٰ في نوح وإبراهيم -عليهما الصلاة والسلام-: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [الحديد:٢٦]؛ أي: كلُّ نبي من بعد نوح؛ فمن ذريته، وكذلك إبراهيم عليهما السلام.

الثانية: وأما كون إبراهيم من نوح؛ فذلك صريح قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات:٧٧]؛ فنوح أبو البشرية الثاني؛ فكل من نجا معه في السفينة لم تبق لهم ذريه إلا نوح عليه السلام؛ فكل من جاء من بعده من ذريته.

وهذا موطن إجماع عند جميع البشر: أن البشرية من سلالة أبناء نوح: سام، وحام، ويافت.

الثالثة: نوح عليه السلام من آدم؛ لأن جميع البشر من ذرية آدم، ولذلك نقول: بنو آدم، ودلَّ عليه حديث الشفاعة[1].

الرابعة: وآدم من تراب.

وهذه حقيقة يؤكدها القرآن والسنة المطهرة، وأن مادة خلق الإنسان التراب.

فقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الروم:٢٠]، والماء: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان:٥٤]، ومن طين: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص:٧١]، من سلالة من طين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢]، وهذا تقرير أن الإنسان مخلوق

(١) انظر (ص ١١٨).

من خلاصة طينة الأرض.

وجاءت السنة الصحيحة؛ ففصلت الإجمالي:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»(١).

٢- وعن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض؛ فجاء بنو آدم علىٰ قَدْرِ الأرض، فجاء منهم الأبيض، والأحمر، والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن وبين ذلك**»(٢).

ومن ثم جاء العلم التجريبي، فأجرىٰ العلماء تحليلًا دقيقًا لمكونات الأرض؛ فوجدوا فيها ما يزيد عن مائة عنصر، وأجروا تحليلًا لجسم الإنسان نفسه، فوجدوه مكونًا من حوالي ثلاثة وعشرين عنصرًا هي خلاصة عناصر الأرض.

* **قول المصنف رحمه الله: «إذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ أَوَّلُ الرُّسُلِ؟ فَقُل: نوح، وآخِرُهم مُحَمَّدٌ ﷺ، والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣]».**

فيه مسائل:

الأولىٰ: أول الرسل إلىٰ أهل الأرض نوح عليه السلام؛ كما دلت عليه الآية السابقة؛ فالأنبياء جاءوا من بعده؛ فهو أولهم، وكذلك ثبت في حديث الشفاعة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**فيأتون آدم؛ فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة؛ فسجدوا لك وأسكنك**

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٦).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٩٥٥)، وأحمد (٤/ ٤٠٠) بإسناد صحيح.

الجنة؛ ألا تشفع لنا عند ربِّك؛ ألا ترىٰ ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: ربي غضب غضبًا شديدًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة؛ فعصيت؛ نفسي نفسي، اذهبو إلىٰ غيري، اذهبو إلىٰ نوح.

فيأتون نوحًا؛ فيقولون:يا نوح! أنت أول الرسل إلىٰ أهل الأرض، وسماك الله: عبدًا شكورًا؛ ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؛ ألا ترىٰ ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلىٰ ربك عز وجل ؟

فيقول: ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي»(١).

الثانية: كون نوح عليه السلام أولَ الرسل لأهل الأرض يدل علىٰ أن الناس قبل نوح عليه السلام كانوا علىٰ التوحيد.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم علىٰ شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين»(٢).

قال شيخنا رحمه الله: «فيه فائدة هامة، وهي: أن الناس كانوا في أول عهدهم أمة واحدة علىٰ التوحيد الخالص، ثم طرأ عليهم الشرك؛ خلافًا لقول بعض الفلاسفة والملاحدة: إن الأصل فيهم الشرك، ثم طرأ عليهم التوحيد!

ويبطل قولهم هذا الحديث وغيره مما هو نصٌّ في نبوة أبيهم آدم عليه السلام إلىٰ أدلة أخرىٰ كنت ذكرت بعضها في كتابي: «تحذير الساجد» (ص١٤٧-١٥٠)؛ فراجعه ؛ فإنه مهم»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٢١)، و«تاريخ الأمم والملوك»(١/ ١/ ٩٠ و١/ ٢/ ١٧٠)، والحاكم (٢/ ٥٤٦).

(٣) «الصحيحة» (٧/ ٢/ ٨٥٤).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في «**تحذير الساجد**»: «من الثابت في الشرع: أن الناس منذ أول عهدهم كانوا أمة واحدة علىٰ التوحيد الخالص، ثم طرأ عليهم الشرك، والأصل في هذا قول الله -تبارك وتعالىٰ- ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[البقرة:٢١٣].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم علىٰ شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين».

قال ابن عروة الحنبلي في «الكواكب الدراري» (٦/ ٢١٢/ ١): «وهذا يردُّ قول من زعم من أهل التاريخ من أهل الكتاب: أن قابيل وبنيه عبدوا النار».

قلت: وفيه ردٌّ أيضًا علىٰ الفلاسفة والملاحدة الذين يزعمون: أن الأصل في الإنسان الشرك، وأن التوحيد هو الطارئ!

ويبطل هذا، ويؤيد الآية السابقة؛ حديثان صحيحان:

الأول: قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين؛ فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**».

الثاني: قوله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟**».

قال أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[الروم:٣٠] الآية.

الثالثة: وآخر الرسل وخاتم الأنبياء محمد ﷺ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

* قول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذَا قِيلَ لَكَ: بَيْنَهُم رُسُلٌ؛ فَقُلْ: نَعَم، والدَّلِيلُ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فيه مسائل:

الأولىٰ: أن الرسل والأنبياء بين نوح ومحمد ﷺ كثيرون، وقد ورد ذكر عددهم في السنة.

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال أبو ذر الغفاري: يا نبي الله فأي الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم عليه السلام». قال: قلت: يا نبي الله أونبيٌّ كان آدم؟ قال: «**نعم؛ نبي مكلم، خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه من روحه، ثم قال له: يا آدم قبلًا**».

قال: قلت: يا رسول الله! كم وفى عدة الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وعشرون ألفًا الرسل في ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا**»(١).

الثانية: أرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين؟ كما في قوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء:١٦٥].

وهذه الآية تضمنت شيئين مهمين:

١- تحديد وظيفة الرسل، وأنها محصورة في البشارة للمؤمنين، والنذارة لأعداء الدين، ممن أعرض عن رسالات الرسل، ودعوة الأنبياء ونصح الناصحين.

٢- إقامة الحجة علىٰ من بلغته الحجة الرسالية، وهي: إرسال الرسل، وإنزال الكتب عليهم؛ ليبينوا للناس ما نزل إليهم في الكتاب والحكمة.

---

(١) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد (٢٢٢٨٨-ط الرسالة)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٧١) وغيرهم وهو حسن لغيره. انظر -تفضلًا- «الصحيحة» (٦/ ١/ ٣٦٣)، وكتابي «صحيح الأنبياء» (٢/ ٨٠٩-٨١١/ ٣٠٢).

* قول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُحَمَّدٌ بَشَرٌ؟ فَقُلْ: نَعَم، والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]».

فيه مسائل:

الأولىٰ: رسول الله ﷺ بشر كسائر البشر: يصح ويمرض، ويأكل ويشرب، ويمشي في الأسواق، ويتزوج النساء: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٥].

الثانية: بشرية الرسول ﷺ من مقتضىٰ الرسالة، وذلك للاقتداء به، ويكون حجة علىٰ البشر في تطبيق الشرع؛ فهو منهم، وله القدرة علىٰ العمل والالتزام؛ فلذلك هو حجة الله علىٰ عباده.

الثالثة: الفارق بين الرسول ﷺ وسائر البشر هو الوحي؛ فهو رسول الله أوحىٰ إليه بالرسالة، وأمره بالتبليغ المبين، والبيان الحق.

الرابعة: الوحي المحمدي علىٰ قسمين:

الأول: وحي متلو، وهو: القرآن الكريم.

الآخر: وحي غير متلو، وهو: السنة المطهرة.

الخامسة: أن رسالة محمد ﷺ في أصولها العقدية وثوابتها المنهجية كسائر الرسالات الإلهية بل هي استمرار لموكب المرسلين واستقرار لدعوة رب العالمين، فجميع الرسل دعوا إلىٰ التوحيد ونبذ الشرك: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وكذلك كانت رسالة محمد ﷺ: ﴿أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

* قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وإذَا قِيلَ لَكَ: مُحَمَّدٌ عَبْدٌ؟ فَقُل: نَعَم؛ والدَّلِيلُ قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾** [الإسراء:١]».

فيه مسائل:

الأولىٰ: العبودية أسمىٰ مقامات رسول الله ﷺ؛ فقد وصفه الله بذلك في مواضع كثيرة في أشرف المواطن: في الإسراء والمعراج، ومقام الدعوة..إلخ؛ مما يدلُّ علىٰ أن هذا الوصف هو وصف تشريف وتكريم، وليس انتقاصًا؛ فالرسول ﷺ عبد الله ورسوله، كما وصف هو نفسه كذلك.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»(١).

وفي حديث الشفاعة وتراجع الأنبياء فيها، وقول المسيح ﷺ: «**اذهبوا إلىٰ محمد؛ عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) رواه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

وهذا من أوضح الأدلة علىٰ أن الرسول ﷺ نال المقام الأعظم بكمال عبوديته لله تعالىٰ.

الثانية: أن محمدًا ﷺ عبدٌ رسولٌ وليس ملكًا رسولًا؛ كما ثبت في حديث من أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلىٰ النبي ﷺ، فنظر إلىٰ السماء، فإذا ملك ينزل، فقال له جبريل: هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة، فلما نزل، قال: يا محمد: أرسلني إليك ربك: أملكًا جعلك لهم أم عبدًا رسولًا؟ فقال له جبريل: تواضع لربك يا محمد، فقال ﷺ: «**لا بل عبدًا رسولًا**»(١).

الثالثة: وفي إثبات منزلة العبودية الاختيارية للنبي ﷺ ردّ علىٰ طوائف الغلو: طائفة رفعته فوق منزلته، وجعلته في مرتبة الربوبية والألوهية.

قال البوصيري في بردته:

يا أكرم الخلق ما لي ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذ الكريم تجلىٰ باسم منتقم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

وطائفة لم تعرف منزلة رسول الله ﷺ، ولا قدره، ولا حقوقه؛ فعاملته كسائر البشر، فلم ترفع بهديه رأسًا، ولم تقبل هدىٰ الله الذي أرسل به.

الرابعة: العبودية لله رب العالمين هي منهج سيد المرسلين ﷺ؛ لأن العبودية لله وحده هي شطر الركن الأول في كلمة التوحيد المتمثل في شهادة أن لا إله إلا الله، وشطرها الثاني المتمثل في كيفية التلقي عن رسول الله ﷺ: أن محمدًا عبده ورسوله.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٢٣١)، وابن حبان (٦٣٦٥)، والبزار (٢٤٢٦)، وأبو يعلىٰ (٦١٠٥) بإسناد صحيح.

وبذلك تصبح العبودية منهجًا تقوم عليه حياة الأمة المسلمة بحذافيرها، فلا تقوم هذه الأمة المختارة حتىٰ تقيم هذا المنهج[١].

* قَوْلُ المُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإِذَا قِيلَ لَكَ: كَمْ عُمُرُهُ؟ فَقُلْ: ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً».

فيه مسائل:

الأولىٰ: أن رسول الله ﷺ توفي ولم يُخَلَّد، ومات ولم يَبْقَ؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

الثانية: أن بقاء الرسول ﷺ ليس شرطًا لخلود الإسلام، واستمرار الرسالة.

ولذلك قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه **عند وفاة رسول الله** ﷺ: «ألا من كان يعبد محمدًا؛ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله؛ فإن الله حيٌّ لا يموت، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]»[٢].

الثالثة: أن عُمُرَ رسول الله ﷺ كأعمار أمته؛ كما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلىٰ السبعين، وأقلُّهم من يجوز ذلك**»[٣].

الرابعة: قال الشيخ صالح آل الشيخ -وفقه الله-: «يعني من مبدأ ميلاده إلىٰ وفاته ﷺ عمره ثلاث وستون سنة، ولد ﷺ عام الفيل، العام المعروف، وعاش

---

(١) وانظر -غير مأمور- كتابي: «مدارج العبودية من هدي خير البرية» (ص ١٤١-١٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٨).

(٣) **صحيح لغيره**: أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وابن ماجه (٤٢٣٦)، وأبو يعلىٰ (٥٩٩٠)، وابن حبان (٢٤٦٧) -موارد) بإسناد حسن، وهو صحيح لغيره كما بينه شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (٧٥٥١).

أربعين سنة، ثم بعد ذلك نُبِّئ، وبعدها أُرسل، ولما مضىٰ عليه بعد ذلك عشر سنين عرج به كما ذكر، وبعد ذلك بثلاث سنين ترك مكة إلىٰ المدينة مهاجرًا، فصار عمره إذن حين الهجرة ثلاثًا وخمسين سنة، ومكث في المدينة عشر أعوام وأشهرًا، وصار عمره ثلاثًا وستين سنة -عليه الصلاة والسلام-»[1].

* **قول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا وَرَسُولًا».**

فيه مسائل:

الأولىٰ: في بعض النسخ: «أربعون منها نبي»، وهذا خطأ ظاهر، ووهم سافر، ولعله إقحام من النساخ؛ فإن محمدًا ﷺ لم يكن قبل البعثة نبيًّا؛ ويدَّل علىٰ ذلك صريح قوله تعالىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضُّحىٰ:٧]؛ لأنه لم يبعث إلا بعد الأربعين، وهذه سنة الله فيمن يبعثهم من المرسلين.

ويدُّل علىٰ ذلك أيضًا أنه لو كان نبيًّا قبل البعثة؛ لكان له صلة بالملك، وعلم بالوحي، ولكن حديث بدء الوحي يدل علىٰ خلاف هذا القول، وإليك لفظه:

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم؛ فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه -وهو التعبُّد- الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلىٰ أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلىٰ خديجة؛ فيزود لمثلها، حتىٰ جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ. قال: «**ما أنا بقارئ**». قال: «**فأخذني؛ فغطني حتىٰ بلغ مني الجهد**».

ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتىٰ بلغ

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص ١٢٣).

مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئٍ. فأخذني؛ فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]». فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل علىٰ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «**زمِّلوني زمِّلوني**». فزمَّلوه حتىٰ ذهب عنه الرَّوع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «**لقد خشيت علىٰ نفسي**». فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا؛ إنَّك لتصل الرَّحم، وتحمل الكلَّ، وتَكْسِب المعدوم، وتَقْري الضَّيف، وتعين علىٰ نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتىٰ أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّىٰ -ابن عم خديجة- وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترىٰ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأىٰ. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نَزَّلَ الله علىٰ موسىٰ، يا ليتني فيها جدعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «**أَوَمخرجيَّ هم؟**».

قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرْك نصْرًا مؤزَّرًا. ثم لم يَنْشَبْ ورقة أن توفِّي، وفتر الوحي[1].

الثانية: كونه ﷺ قبل البعثة لم يكن نبيًّا؛ فلا يعني بوجه من الوجوه أنه كان علىٰ دين قومه؛ فلم يلتفت قلبه لحظة إلىٰ الأصنام، ولم يمارس شيئًا من طقوسهم، فقد كان محفوظًا بحفظ الله، ودلائل ذلك في سيرته لا تحصىٰ ولا تعد[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) (٢٥٤).

(٢) وقد استقصيناها في كتابي: «الصحيح المستصفىٰ من سيرة النبي المصطفىٰ».

الثالثة: أن النبوة تسبق الرسالة؛ ولذلك قال بعض أهل العلم: أنه ﷺ مكث ثلاث سنين نبيًّا ثم عشرين سنة نبيًّا رسولًا؛ لأنه كما قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «نبئ بـ: (اقرأ)، و أرسل بـ (المدثر)».

الرابعة: قال الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويختلفون في التفريق بين النَّبيِّ والرسول:

منهم: من يعرف، فيقول: النَّبيُّ من كلِّف برسالة أو بعث برسالة؛ ليعمل بها، ولم يكلف بالتبليغ.

وهناك تعريف ثان: وهو أن النَّبيَّ ﷺ من بعث؛ ليعمل برسالته من قبله، وليس له رسالة مستقلة؛ ككثير من أنبياء بني إسرائيل ، يعملون بشريعة التوارة والإنجيل وهم كثر.

والتعريف الثاني أنسب، والتعريف الأول أشهر؛ لكن التعريف الأول يؤخذ عليه القول بأنه لم يؤمر بالتبليغ ، التبليغ والدعوة والإصلاح واجب الرسل، وواجب الأنبياء، وواجب علىٰ أتباعهم ؛ فإن أتباعهم مكلفون بالإصلاح والنصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

والدعوة إلىٰ الله إذا كان العلماء وهم ورثة الأنبياء يكلفون هذا التكليف؛ فالأنبياء من باب أولىٰ؛ لذلك: التعريف الأول علىٰ الرغم أنه هو المشهور عند كثير من أهل العلم، ولكن التعريف الثاني أنسب من حيث المعنىٰ؛ لأن الأنبياء من بني إسرائيل الذين لم يكونوا رسلًا مكلفين بالتبليغ والدعوة علىٰ ضوء كتاب الله التوراة والإنجيل»[1].

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص ١٠٣).

* **قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نُبِّئَ بـ: (اقْرَأ)، وَأُرْسِلَ بـ: (المُدَّثرِ)».**

فيه مسائل:

الأولىٰ: قال أستاذنا محمد صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقد كان نبيًّا حين نزل عليه قوله الله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥] ثم كان رسولًا حين نزل عليه قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدَّثر: ١-٥]، فقامﷺ فأنذر، وقام بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ»[١].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما أراد الله تعالىٰ رحمة العباد، وكرامته بإرساله إلىٰ العالمين؛ حبّب إليه الخلاء، فكان يتحنث[٢] بغار حراء؛ كما كان يصنع ذلك متعبدو ذلك الزمان؛ كما قال أبو طالب في قصيدته المشهورة اللامية:

وثـــور ومـــن أرســىٰ ثبيـرًا مكانــه ... وراق لبـــر في حـــراء ونـــازل

فجاءه الحق وهو بغار حراء في رمضان، وله من العمر أربعون سنة، فجاءه الملك، فقال له: اقرأ، قال: لست بقارئ؛ فغته[٣]؛ حتىٰ بلغ منه الجهد، ثم أرسله، فقال له: اقرأ، قال: لست بقارئ - ثلاثًا - ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

فرجع بها رسول اللهﷺ ترجف بوادره، فأخبر بذلك خديجة -رضي الله تعالىٰ عنها-، وقال: «**قد خشيت علىٰ عقلي**»، فثبتته، وقالت: أبشر، كلا والله لا يخليك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتعين علىٰ نوائب

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص ٩٥).

(٢) يتعبد الليالي ذوات العدد.

(٣) غته: حبس أنفاسه، وفي رواية البخاري: «فغطني»، ومعناه: عصرني وضمني.

الدهر، في أوصاف أخر جميلة عددتها من أخلاقه ﷺ، وتصديقًا منها له، وتثبيتًا وإعانة علىٰ الحق[١]؛ فهي أول صدّيق له -رضي الله تعالىٰ عنها وأكرمها-.

ثم مكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث لا يرىٰ شيئًا، وفتر عنه الوحي؛ فاغتم لذلك، وذهب مرارًا؛ ليتردىٰ من رءوس الجبال[٢]؛ وذلك من شوقه إلىٰ ما رأىٰ أول مرة، من حلاوة ما شاهده من وحي الله إليه.

فقيل: إن فترة الوحي كانت قريبًا من سنتين أو أكثر، ثم تبدىٰ له الملك بين السماء والأرض علىٰ كرسي، وثبته، وبشره أنه رسول الله حقًّا، فلما رآه رسول الله ﷺ؛ فَرِقَ منه، وذهب إلىٰ خديجة، فقال: «**زمّلوني، دثروني**»؛ فأنزل الله عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ١-٤][٣].

فكانت الحال الأولىٰ حال نبوة وإيحاء.

ثم أمره الله في هذه الآية أن ينذر قومه، ويدعوهم إلىٰ الله، فشمّر ﷺ عن ساق التكليف، وقام في طاعة الله أتم قيام، يدعو إلىٰ الله سبحانه الكبير والصغير، الحرّ والعبد، الرجال والنساء، الأسود والأحمر، فاستجاب له عباد الله من كل قبيلة.

---

(١) ولذلك عدّ العلماء مكارم أخلاقه من دلائل نبوته، وبراهين صدقه، حيث استدلت بها السيدة خديجة علىٰ نبوته وصدقه، وانظر -تفضلًا- كتابي: «مكارم الأخلاق» (ص ٣٦-٣٨).

(٢) ساقه البخاري بلاغًا من قول الزهري، ضمن حديث بدء الوحي بعبارة: (فيما بلغنا)؛ ولذلك؛ فحادثة محاولة التردي من شواهق الجبال ضعيفة لا تثبت. انظر: «فتح الباري» (١٢/ ٣٥٩-٣٦٠)، و«الشفا» للقاضي عياض (٢/ ٧٠٧-٧٠٨)، و«دفاع عن الحديث النبوي» (ص٤١)، و«مختصر صحيح البخاري» (١/ ١٧ ط المعارف) كلاهما لشيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (٤)، و«صحيح مسلم» (١٦١).

فكان حائز قصب سبقهم أبو بكر ﷺ؛ عبد الله بن عثمان التيمي ﷺ، وآزره في دين الله، ودعا معه إلىٰ الله علىٰ بصيرة؛ فاستجاب لأبي بكر: عثمان بن عفان، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص.

وأما علي؛ فأسلم صغيرًا ابن ثماني سنين، وقيل: أكثر من ذلك.

فقيل: إنه أسلم قبل أبي بكر، وقيل: لا، وعلىٰ كل حال؛ فإسلامه ليس كإسلام الصديق؛ لأنه كان في كفالة رسول الله ﷺ، أخذه من عمه إعانة له علىٰ سَنة مَحْلٍ.

وكذلك أسلمت خديجة، وزيد بن حارثة.

وأسلم القس ورقة بن نوفل، وصدق بما وجد من وحي الله، وتمنىٰ أن لو كان جذعًا، وذلك أول ما نزل الوحي.

وقد روىٰ الترمذي: «أن رسول الله ﷺ رآه في المنام في هيئة حسنة»، وجاء في حديث: أن رسول الله ﷺ قال: «**رأيت القس عليه ثياب بيض**»[1].

---

(١) **حسن لغيره**: أخرجه الترمذي (٤/ ٥٤٠/ ٢٢٨٨) ومن طريقه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/ ٦٧١-٦٧٢)، والحاكم (٤/ ٣٩٣) من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي عن الزهري، عن عروة، عن عائشة به.

قال الترمذي: «هذا حديث غريب»، وعثمان بن عبد الرحمن ليس عند أهل الحديث بالقوي.

أما الحاكم؛ فصححه! لكن ردّه الذهبي بقوله: «فيه عثمان الوقاصي؛ متروك».

قلت: وهو كما قال، وقد خالفه معمر -وهو ثقة ثبت في الزهري-؛ فرواه عن الزهري به مرسلًا: أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٣٢٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٦/ ١٨).

وللحديث طريق آخر: أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٥٦) -ومن طريقه ابن عساكر (٦٦/ ١٨)- من طريق ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة به.

قلت: وسنده ضعيف؛ للكلام المعروف في ابن لهيعة.

وفي «الصحيحين»[(١)]؛ أنه قال: هذا الناموس الذي جاء موسىٰ بن عمران؛ لما ذهبت به خديجة إليه، فقص عليه رسول الله ﷺ ما رأىٰ من أمر جبريل عليه السلام.

ودخل في الإسلام من شرح الله صدره للإسلام علىٰ نور وبصيرة ومعاينة، فأخذهم سفهاء أهل مكة بالأذىٰ والعقوبة، وصان الله رسوله ﷺ، وحماه بعمه أبي طالب؛ لأنه كان شريفًا مطاعًا فيهم، نبيلًا بينهم، لا يتجاسرون علىٰ مفاجأته بشيء في أمر محمد ﷺ؛ لما يعلمون من محبته له، وكان من حكمة الله بقاؤه علىٰ دينهم؛ لما في ذلك من المصلحة.

هذا ورسول الله ﷺ يدعو إلىٰ الله ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا؛ لا يصدّه عن ذلك صادٌّ، ولا يردُّه عنه رادٌّ، ولا يأخذه في الله لومة لائم»[(٢)].

الثانية: هناك فرق بين نُبِّي ونُبّئ بالهمز؛ فَنُبِّيَ من النبوة، ونُبِّئ من النبوءة.

قال الشيخ صالح آل الشيخ -وفقه الله-: «وفرق بين النبوة والنبوءة، وفرق بين النبي والنبيء لغة، أما من حيث الشرع، فالنبي والنبيء واحد، وهما قراءتان مشهورتان سبعيتان متواترتان بالقرآن كله»[(٣)].

* **قول المصنف رحمه الله**: «**وَخَرَجَ عَلَىٰ النَّاسِ؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾**[الأعراف: ١٥٨]: **فَكَذَّبُوهُ وَآذوهُ وَطَرَدُوهُ**».

فيه مسائل:

الأولىٰ: أن رسول الله ﷺ قام بأمر الله؛ فبلغ الرسالة، وأدّىٰ الأمانة، ونصح الأمة، وتركها علىٰ بيضاء نقية؛ ولذلك: لما أُمِر بقوله: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠/ ٢٥٢).

(٢) «الفصول في سيرة الرسول» (ص٥٣-٥٧ بتحقيقي).

(٣) «شرح الأصول الثلاثة» (ص ١٢٣).

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤] خرج على الناس، وجمعهم على الصفا، وأخبرهم أنه رسول الله إليهم جميعًا.

الثانية: قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في هذه الآية دليل على أن محمدًا رسول الله إلى الناس جميعًا، وأن الذي أرسله له ملك السموات والأرض، ومن بيده الإحياء والإماتة، وأنه سبحانه هو المتوحد بالألوهية كما هو متوحد في الربوبية، ثم أمر ﷻ في آخر الآية أن نؤمن بهذا الرسول النبي الأمي، وأن نتبعه، وأن ذلك سبب للهداية العلمية والعملية: هداية الإرشاد: وهداية التوفيق؛ فهو -عليه الصلاة والسلام- رسول إلى جميع الثقلين، وهم الإنس والجن، وسموا بذلك؛ لكثرة عددهم»[1].

الثالثة: عموم رسالة الإسلام.

قال الشيخ زيد المدخلي -وفقه الله-: «وهذا العموم والشمول دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف:١٥٨].

كما دلَّ عليه قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[سبأ:٢٨].

وقال النبي ﷺ في بيان عموم رسالته: «**وبعث كلُّ نبي إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»[2].

قوله ﷺ: «**والله لا يسمع بين أحد من هذه الأمة: يهودي أو نصراني، ثم**

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص ١١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

يموت ولم يؤمن بالذي جئت به؛ إلا كان من أصحاب النار[(١)]»[(٢)].

الرابعة: أن من جاء بمثل ما جاء به محمد ﷺ عُودِيَ ؛ ولذلك: كذبه قومه، وآذوه، وطردوه، وأخرجوه؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: ٤٠].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[الأنفال: ٣٠].

وقال ورقة بن نوفل رضي الله عنه للرسول ﷺ: هذا الناموس الذي نزل الله علىٰ موسىٰ، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «**أَوَمخرجي هم؟**» قال: نعم، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا[(٣)].

*** قول المصنف رحمه الله: «وقَالُوا: سَاحِرٌ كَذَّابٌ».**

فيه مسائل:

الأولىٰ: أن المشركين مارسوا كل أنواع الإيذاء والإرهاب؛ ليصدوا رسول الله ﷺ عن دعوته، فقاموا بإيذائه ماديًّا ومعنويًّا، ونسبوا إليه كل نقيصة؛ ليحولوا بينه وبين الناس، فتارة شاعر، وطورًا ساحر، وأخرىٰ كذاب، وكلها تهم باطلة،

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «طريق الوصول إلىٰ إيضاح الثلاثة أصول» (ص ١٩٧).

(٣) مضىٰ تخريجه في حديث بدء الوحي (ص ٢١٤).

وشبهات عاطلة؛ يقصدون بها التدليس والمماطلة.

الثانية: اتهم المشركون رسول الله ﷺ بأنه ساحر؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾[ص:٤].

وهذه التهمة باطلة من وجوه:

الوجه الاول: أن السِّحر شرٌّ، ولا يأتي الساحر بخير، وما جاء به رسول الله ﷺ كلّه خير، ولم يأت رسول الله إلا بخير، فيا فرق ما بين رسول الله ﷺ والسحرة!

الثاني: أن الساحر يسلب المسحور إرادته؛ فيتحكم به كما يريد، ورسول الله ﷺ لم يسلب أحدًا إرادته، ولم يلغ مشيئته؛ فمن شاء؛ فليؤمن، ومن شاء؛ فليكفر.

الثالث: أن السحر مصدره الشيطان، وما جاء به الرسول مصدره الوحي الإلهي الذي نقله ملك كريم: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[التكوير:١٩-٢٩].

الرابع: لقد تواتر عن رسول الله ﷺ تحريم السحر وأنه من الكبائر؛ بل هو قرين الشرك بالله تعالىٰ؛ لأن الساحر لابدَّ أن يكفر؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» فذكر منها السحر[(١)].

الثالثة: وأمَّا اتهام الرسول ﷺ بالكذب علىٰ الله: **فباطل من كل الوجوه:**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وانظر تفضلًا- كتابي: «غيث النفع شرح حديث اجتنبوا الموبقات السبع».

الأول: أن من وصفه بذلك شهدوا له بالصدق والأمانة؛ فقد لقبوه بـ «الصادق الأمين».

الثاني: أن رسول الله ﷺ قرَّرهم علىٰ صدقه قبل إعلامهم: بأنه رسول الله إليهم جميعًا.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج إلىٰ البطحاء، فصعد إلىٰ الجبل؛ فنادىٰ: «**يا صاحباه!**»؛ فاجتمعت إليه قريش، فقال: «**أرأيتم إن حدثتكم أن العدوَّ مصبحكم وممسيكم أكنتم مصدقي؟**» قالوا: نعم، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»؛ فقال أبو لهب -عليه لعنة الله- للنَّبِيِّ ﷺ: تبًّا لك سائر اليوم؛ ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١][(١)].

لكن المشركين علىٰ اختلاف صنوفهم قوم بهت؛ كما حدث مع عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف؛ فأتىٰ النَّبيَّ ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فما أول شرط الساعة، وما أوَّل طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلىٰ أبيه أو إلىٰ أمه؟

قال: «**أخبرني جبريل آنفًا**». قال جبريل؟ قال: «**نعم**». قال: ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة؛ فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٩٧].

«**أما أول أشراط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلىٰ المغرب.**

وأما أول طعام أهل الجنة؛ فزيادة كبد حوت.

وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق الماء المرأة نزعت».

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٤)، ومسلم (٢٠٨).

قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله.

يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود؛ فقال النَّبيُّ ﷺ: «**أي رجل عبد الله فيكم؟**». قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا.

قال: «**أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام**». فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه. قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله[1].

الثالث: أن الذي لا يكذب علىٰ الناس يستحيل أن يكذب علىٰ الله؛ لأن الكذب علىٰ الله أعظم جرمًا وأشدّ شناعة.

الرابع: أن الرسول ﷺ يستحيل أن يكذب علىٰ الله وعلىٰ الخلق؛ فهو الذي حرَّم الكذب وجرَّمه، وجعله من أعظم الكبائر؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

الخامس: أنه لو كذب علىٰ الله ﷻ لما أمهله طرفة عين؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

فهذا نص صريح: أن الكاذب علىٰ الله مصيره الخذلان، وأن الله لا يمهله ولا يهمله، يوضحه:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٩).

السادس: أنه لو كذب علىٰ الله لما نصره الله، وأيّده وعصمه، وحفظه، وهذا مما احتج به الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ بعض أحبار اليهود؛ فقال: «ودار بيني وبين بعض علمائهم مناظرة في ذلك، فقلت له في أثناء الكلام: ولا يتم لكم القدح في نبوة نبينا ﷺ إلا بالطعن في الرَّبِّ تعالىٰ والقدح فيه، ونسبته إلىٰ أعظم الظلم والسفه والفساد، تعالىٰ الله عن ذلك، فقال: كيف يلزمنا ذلك؟ قلت: بل أبلغ من ذلك، لا يتمُّ لكم ذلك إلا بجحوده وإنكار وجوده تعالىٰ، وبيان ذلك أنه إذا كان محمد عندكم ليس بنبي صادق، وهو بزعمكم ملك ظالم، فقد تهيأ له أن يفتري علىٰ الله، ويتقوَّل عليه ما لم يقله، ثم يتم له ذلك، ويستمر حتىٰ يحلِّل، ويحرِّم، ويفرض الفرائض، ويشرع الشرائع، وينسخ الملل، ويضرب الرقاب ويقتل أتباع الرسل، وهم أهل الحق، ويسبي نساءهم وأولادهم، ويغنم أموالهم وديارهم، ويتمَّ له ذلك حتىٰ يفتح الأرض، وينسب ذلك كلّه إلىٰ أمر الله تعالىٰ له به ومحبته له، والربُّ تعالىٰ يشاهده، وما يفعل بأهل الحقِّ وأتباع الرسل، وهو مستمر في الافتراء عليه ثلاثًا وعشرين سنة، وهو مع ذلك كلِّه يؤيده وينصره، ويعلي أمره، ويمكِّن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر.

وأعجب من ذلك أنه يجيب دعواته، ويهلك أعداءه من غير فعل منه نفسه ولا سبب، بل تارة بدعائه، وتارة يستأصلهم سبحانه من غير دعاء منه ﷺ، ومع ذلك يقضي له كل حاجة سأله إياها، ويعده كل وعد جميل، ثم ينجز له وعده علىٰ أتمِّ الوجوه، وأهنئها، وأكملها، هذا وهو عندكم في غاية الكذب والافتراء والظلم، فإنه لا أكذب ممن كذب علىٰ الله واستمرَّ علىٰ ذلك، ولا أظلم ممن أبطل شرائع أنبيائه ورسله، وسعىٰ في رفعها من الأرض، وتبديلها بما يريد هو، وقتل أولياءه وحزبه وأتباع رسله، واستمرت نصرته عليهم دائمًا، والله تعالىٰ في ذلك كلّه يقرّه،

ولا يأخذ منه باليمين، ولا يقطع منه الوتين، وهو يخبر عن ربه أنه أوحىٰ إليه أنه لا ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣] فيلزمكم معاشر من كذبه لأحد أمرين لابدّ لكم منهما.

إما أن تقولوا: لا صانع للعالم ولا مدبر، ولو كان للعالم صانع مدبر قدير حكيم؛ لأخذ علىٰ يديه، ولقابله أعظم مقابلة، وجعله نكالًا للظالمين إذ لا يليق بالملوك غير هذا، فكيف بملك السماوات الأرض وأحكم للحاكمين؟

الثاني: نسبة الربِّ إلىٰ ما لا يليق به من الجور، والسفه، والظلم، وإضلال الخلق دائمًا أبد الآباد، لا بل نصرة الكاذب، والتمكين له من الأرض، وإجابة دعواته، وقيام أمره من بعده، وإعلاء كلماته دائمًا، وإظهار دعوته، والشهادة له بالنبوة قرنًا بعد قرن علىٰ رءوس الأشهاد في كل مجمع وناد، فأين هذا من فعل أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، فلقد قدحتم في ربّ العالمين أعظم قدح، وطعنتم فيه أشدَّ طعن، وأنكرتموه بالكلية، ونحن لا ننكر أن كثيرًا من الكذابين قام في الوجود، وظهرت له شوكة، ولكن لم يتم له أمرُه، ولم تطل مدته، بل سلط عليه رسله وأتباعهم، فمحقوا أثره، وقطعوا دابره، واستأصلوا شأفته، هذه سنته في عباده منذ قامت الدنيا، وإلىٰ أن يرث الأرض ومن عليها. فلما سمع مني هذا الكلام، قال: معاذ الله أن نقول: إنه ظالم أو كاذب، بل كلٌّ منصف من أهل الكتاب يقرُّ بأن من سلك طريقه، واقتفىٰ أثره؛ فهو من أهل النجاة والسعادة في الأخرىٰ. قلت له: فكيف يكون سالك طريق الكذاب، ومقتفي أثره بزعمكم من أهل النجاة والسعادة؟ فلم يجد بدًّا من الاعتراف برسالته، ولكن لم يرسل إليهم. قلت: فقد لزمك تصديقه، ولابد وهو قد تواترت عنه الأخبار بأنه رسول رب العالمين إلىٰ الناس أجمعين، كتابهم وأميهم، ودعا أهل الكتاب إلىٰ دينه، وقاتل من لم يدخل

في دينه منهم حتىٰ أقرّوا بالصغار والجزية، فبهت الكافر، ونهض من فوره»[1].

السابع: استجابة الناس للرسول ﷺ، وثبوتهم علىٰ رسالته دليل صدقه، وأن دينه هو الحق، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[الشورىٰ:١٦].

الرابعة: أن الله -تعالىٰ اسمه وجلت حكمته- لا يساوي بين الرسول الصادق ومدّعي الرسالة الكاذب؛ فإن ذلك محال: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾[القلم:٣٥-٣٦].

* **قال المصنف رحمه الله**: «فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِى رَيۡبٍ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة: ٢٣]».

فيه مسائل:

الأولىٰ: أن القرآن منزل من عند الله، ولم يأت به محمد ﷺ من تلقاء نفسه، وقد دلّت آيات كثيرة علىٰ ذلك منها: قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[العنكبوت:٤٧-٥١].

الثانية: هذا التحدي للكفار والمتشككين الذين لم يستضيئوا بصيرتهم بنور

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٦٣٩-٦٤٢).

الوحي، ولم يطعموا حلاوة القرآن، ولو فعلوا ذلك أو رَقَت عقولهم لمقامه، واستشعرت قلوبهم عظمته؛ لعلموا أن الإنس والجن لو اجتمعوا علىٰ أن يأتوا بسورة مثل القرآن لما استطاعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء:٨٨]؛ وذلك أنه كلام الله الذي لا يشبهه شعر ولا نثر ولا خطاب ولا بيان، ولن يستطيع أحد تقليده أو مشابهته لا من قريب ولا من بعيد، ومن حاول ذلك أضحك العالمين علىٰ نفسه، وأصبح مثلًا لكل سفيه لا يقدر الله حقّ قدره.

الثالثة: هذا التحدي الإلهي خاطب الله به الناس علىٰ مراتب ومراحل:

١- تحداهم في كلِّ أجيالهم حتىٰ يرث الله الأرض ومن عليها أن يأتوا بمثله، فقال تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾[الطور:٣٣-٣٤].

وقال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء:٨٨].

٢- ولما عجزوا عن هذا التحدي جاءهم التخفيف؛ فتحداهم بعشر سور مثله، فقال ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[هود:١٣-١٤].

٣- فلما عجزوا أرخىٰ لهم حبل التحدي، ووسعه غاية الوسع، فتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة ولو من قصار السور، فقال ﷻ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[يونس:٣٨].

الرابعة: الإتيان المنفي هو بمثل القرآن في إعجازه وقوته، ووضوحه،

وصدقه، وليس في دعوىٰ الإتيان، وإلا؛ فقد حاول بعض المجانين تقليد القرآن؛ كمسيلمة الكذاب حيث قال: «الفيل، ما الفيل، وما أدراك ما الفيل، له جسم كبير، وذيل وبيل، وخرطوم طويل».

وقال -خذله الله-: «والشاة وألوانها، وأعجبها السود وألبانها، والشاة السوداء، واللبن الأبيض، إنه لعجب محض، وقد حرم المذق، فما لكم لا تجتمعون».

وقال -أخزاه الله-: «يا ضفدع بنت الضفدعين، نقي كما تنقين، أعلاك في الماء، وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين، لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، لكن قريشًا قوم يعتدون».

هذه مهزلة مسيلمة الكذاب التي تضحك الثكالىٰ -وشر البلية ما يضحك-، ومع ذلك وجد من تابعه ونصره، ليس لصدقه بل كانوا يعلمون كذبه، وإنما فعلوا ذلك حمية جاهلية؛ فقد سأل أحدهم مسيلمة: ماذا ترىٰ؟ فقال: أرىٰ رجس.

قال: أفي نور أم في ظلمة؟ قال: بل في ظلمة، فقال السائل: والله إنه لشيطان، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر.

ويروىٰ أن جماعة من الزنادقة قرروا مواجهة تحدي القرآن، فاتصلوا بعبد الله ابن المقفع وكان أديبًا كبيرًا وكاتبًا ألمعيًّا، فقبل الدعوة للقيام بهذا الأمر، وأخبر أصحابه أن هذه المهمة تستغرق سنة، واشترط أن يكفلوا كلّ ما يحتاج خلال مدة الاتفاق.

ولما مضىٰ علىٰ اتفاقهم نصف عام زاروه في بيته، فوجدوه جالسًا وقلمه في يده، وأراوقه متناثرة، وغرفته مملوءة بأوراق ممزقة؛ فعلموا أن صاحبهم أصيب بإخفاق كبير، فقام معترفًا أمام أصحابه بعجزه، وأنه لم -ولن- يفلح أبدًا(!!)

وقد ذكر أديب العربية محمد صادق الرافعي في كتابه: «إعجاز القرآن»

نماذج كثيرة لذلك، ولكن جميع محاولات أصحابها فشلت فشلًا ذريعًا، وخسرت خسرانًا مبينًا.

الخامسة: وتحدي القرآن للعالمين لم يقتصر على أن يأتوا بمثله، وإنما امتد أنهم لن يجدوا فيه خطأ أو تناقضًا أو تعارضًا، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

لقد أخبر الله تعالىٰ أن المتناقض في الكلام والمختلف من الحديث لا يكون من عنده، والاختلاف يشمل كل ما يخطر ببال البشر ولم يخطر ببالهم من المتناقضات، ولذلك؛ فإن أي مصنف لأي كتاب تجده يعتذر في مقدمته إذا خالف صوابًا أو وقع في خطأ، أو وجد كتابه عيبًا؛ إلا الله تعالىٰ؛ فإنه تحدىٰ في فاتحة أكبر سورة في القرآن فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ [البقرة: ١-٢].

أنعم النظر في قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾، ودقق الفكر في ﴿وَلَوْ﴾ تجد أنها تنفي ما بعدها مباشرة، وهو كون القرآن من عند غير الله، فهو إذن من عند الله.

وسدد النظر في قوله: ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ تجد أن القرآن لا اختلاف فيه أصلًا؛ فكثره الاختلاف لغير القرآن، أما القرآن فلا اختلاف فيه قلَّ أو كثر.

وارجع البصر لا ترىٰ في القرآن من تفاوت، ثم ارجع البصر هل ترىٰ من اختلاف، ثم ارجع البصر مرتين ينقلب إليك العقل منقادًا مطيعًا مقرًّا معترفًا، وهو يتأمل صيغة النصب في هاتين الكلمتين: ﴿ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ حيث إن كلمة ﴿ٱخْتِلَٰفًا﴾ لم ترد منصوبة في القرآن إلا مرة واحدة في هذا الموضع.

وقد تضمنت نكتة بليغة وسرًّا لطيفًا يجليها النظم القرآني في هذه الآية، وهي: لو كان القرآن من تأليف بشر؛ لوجد الشاكون أن كلمة ﴿ٱخْتِلَٰفًا﴾ جاء في أكثر من مرة واحدة، لأن كلمة ﴿كَثِيرًا﴾ تفيد الكثرة، ولكن هذه الكلمة لم ترد

بهذه الصيغة إلا مرة واحدة في القرآن، فإن القرآن من عند الله.

وفي هذا العصر حاول بعض المستشرقين قبول تحدي القرآن، وبعد تجربة طويلة انفصل إلىٰ عجزه، وأقر بفشله ولكنه انتفع بمحاولته؛ فاستيقن بصدق القرآن، وأنه كلام الله؛ فأسلم، وإليك قصته، والتي حكاها في كتابه: «القرآن المذهل»:

١- حاول الدكتور ميلر -المستشرق الكندي وعالم الرياضيات والمنطق في جامعة تورنتو- أن يقدم خدمة كبيرة للنصارىٰ، وذلك بالكشف من أخطاء القرآن العلمية والتاريخية.

٢- دخل بقصد إيجاد الأخطاء والبحث عن المعايب، فخرج بدراسة عجيبة تدحض كلَّ شبهة عن القرآن، وتبرهن بطريقة البحث العلمي: أن القرآن كلام الله، وأن محمدًا مبلغ عن ربّه.

٣- أول ما أذهل الدكتور ميلر هو تحدي القرآن التي تبرز في مواطن كثيرة: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

لقد دخل ميلر متحديًا وخرج منبهرًا، فهاهو يقول عن هذه الآية: «من المبادئ العلمية المعروفة في الوقت الحاضر، هو: مبدأ إيجاد الأخطاء، أو تقصي الأخطاء في النظريات إلىٰ أن تثبت صحّتها، والعجب أن القرآن الكريم يدعو المسلمين وغير المسلمين إلىٰ إيجاد الأخطاء فيه ولن يجدوا».

ويقول أيضًا: «لا يوجد مؤلف في العالم يمتلك الجرأة ويؤلف كتابًا ثم يقول: هذا الكتاب، خال من الأخطاء، ولكن القرآن علىٰ العكس تمامًا يقول لك: لا توجد أخطاء، بل ويعرض عليك أن تجد فيه أخطاء ولن تجد».

٤- كان يتوقع أن يجد بعض الأحداث العصيبة التي مرّت علىٰ النّبيّ محمد

ﷺ مثل: وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها، أو وفاة بناته وأولاده، بل المدهش أن التعقيب علىٰ بعض العقبات في طريق الدعوة؛ كانت تبشر بالنصر والتمكين، والآيات التي نزلت تعقيبًا علىٰ الانتصارات كانت تدعو إلىٰ عدم الاغترار والمزيد من العطاء والثبات.

فلو كان القرآن يترجم لسيرته؛ لعظم من شأن الانتصارات، وسوّغ الهزائم، ولكن القرآن ينظم علاقة الله مع الخلق.

٥- بل الذي جعل الدكتور ميلر في حيرة من أمره: أنه وجد أن هناك سورة كاملة في القرآن تسمىٰ: «سورة مريم»، وفيها تشريف لمريم عليها السلام لا يوجد مثيل له في كتب النصارىٰ ولا في أناجيلهم!! ولم يجد سورة باسم عائشة أو فاطمة رضي الله عنهما.

٦- وكذلك وجد أن عيسىٰ عليه السلام ذكر بالاسم (٢٥ مرة) في القرآن، في حين أن النبي محمد ﷺ لم يذكر إلا (٥ مرات) فقط.

٧- من الآيات التي وقف الدكتور ميلر عندها طويلًا قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

يقول: إن هذه الآية هي بالضبط موضوع البحث العلمي الذي حصل علىٰ جائزة نوبل في عام (١٩٧٣)، وكان عن نظرية الانفجار الكبير، وهي تنص: أن الكون الموجود هو نتيجة انفجار ضخم حدث منه الكون بما فيه من سموات وكواكب، فالرتق: هو الشيء المتماسك، في حين أن الفتق: هو الشيء المتفكك.

٨- **يقول الدكتور ميلر:** «الآن نأتي إلىٰ الشيء المذهل في أمر النبي ﷺ والادعاء بأن الشياطين هي التي تعينه، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢]،

ويقول: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].

هل هذه طريقة الشيطان في كتابة أي كتاب؟ يؤلف كتابًا، ثم يقول: قبل أن تقرأ هذا الكتاب يجب عليك أن تتعوذ منِّي(!)

إن هذه الآيات من الأمور الإعجازية في هذا الكتاب المعجز وفيها ردٌّ منطقي لكل من قال بهذه الشبهة.

٩- توقف ميلر عند قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٤٦] مشيرًا إلىٰ التجربة التي أجراها أحد الباحثين في جامعة (تورنتو) عن (فاعلية المناقشة الجماعية)، وفيها جمع أعدادًا مختلفة من المناقشين، وقارن النتائج؛ فاكتشف أن أقصىٰ فاعلية للنقاش تكون عندما يكون عدد المتحاورين اثنين، وأن الفاعلية تقل إذا زاد هذا العدد.

١٠- لو كنت في موقف الرسولﷺ هو وأبي بكر في الغار، بحيث لو نظر أحد المشركين تحت قدميه لرآهما.

ألن يكون الرَّدُّ الطبيعي علىٰ خوف أبي بكر هو: «دعنا نبحث عن باب خلفي»، أو: «اصمت تمامًا كي لا يسمعك أحد»، ولكن الرسولﷺ قال بهدوء: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠]، الله معنا ولن يضيعنا، هل هذه عقلية كذاب أو مخادع أم عقلية نبي ورسول يثق بعناية الله له؟

١١- نزلت سورة «المسد» قبل وفاة أبي لهب بعشر سنوات، وكان أمامه (٣٦٥×١٠= ٣٦٥٠ فرصة)؛ لإثبات أن هذا الكتاب وهم، ولكن ما هذا التحدي؟ لم يسلم أبو لهب ولو بالتظاهر، وظلَّت الآيات تتلىٰ حتىٰ يومنا هذا، كيف يكون الرسول واثقًا خلال عشر سنوات أن ما لديه حق لو لم يكن يعلم أنه

وحي من الله؟

١٢- وتعليقًا علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ [هود: ٤٩] تعقيبًا علىٰ بعض القصص القرآني، يقول الدكتور ميلر: لا يوجد كتاب من الكتب الدينية المقدسة يتكلم بهذا الأسلوب: إنه يمدُّ القارئ بالمعلومة، ثم يقول له: هذه معلومة جديدة!! هذا تحدٍّ لا مثيل له؟ ماذا لو كذَّبه أهل مكة -ولو بالادعاء- فقالوا: كذبت، كنا نعرف هذا من قبل؟ ماذا لو كذبه أحد من الباحثين بعد ذلك مدعيًا: أن هذه المعلومات كانت معروفة من قبل؟ ولكن كل ذلك لم يحدث.

١٣- وأخيرًا يشير الدكتور ميلر إلىٰ ما ورد في الموسوعة الكاثوليكية الجديدة تحت موضوع «القرآن»، وكيف أنها ورغم تعدد الدراسات والمحاولات للغمز في صدق الوحي القرآني، مثل أنه: (خيالات مريض، أو نفث شياطين، وكان يعلمه بشر، أو أنه وقع علىٰ كتاب قديم؛ إلا أنها انتهت إلىٰ قولهم: «عبر القرون ظهرت نظريات كثيرة حول مصدر القرآن؛ إلا أن أيًّا من هذه النظريات لا يمكن أن يعتد به من رجل عاقل»(!)

يقول الدكتور ميلر: «إن الكنيسة التي كان بودها أن تتبنىٰ إحدىٰ هذه النظريات التي تنفي صدق الوحي لم يسعها إلا أن ترفض كل هذه النظريات، ولكنها لم تملك الجرأة علىٰ الاعتراف بصدق المسلمين».

١٤- اشترك الدكتور ميلر في مناظرة شهيرة عن الإسلام والنَّصرانية ممثلًا للجانب النصراني، وكان منطقه قويًّا، وحجته حاضرة، وغلب بحثه عن الحقيقة علىٰ تعصبه لدينه، حتىٰ أن كثيرًا من المسلمين الذين حضروا المناظرة تمنوا لو أسلم هذا الرجل.

١٥- وكان هذا البحث خلال عام (١٩٧٧م) ولكن ما حدث عام (١٩٧٨م)

أشهر الدكتور ميلر إسلامه، وسمىٰ نفسه: (عبد الأحد عمر)، وعمل لسنوات في جامعة البترول والمعادن بالسعودية قبل أن يتفرغ تمامًا للدعوة الإسلامية.

السادسة: قوله ﷺ: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[1] لا يتنافىٰ مع قوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وذلك من وجوه، منها:

١- أن المراد بقوله ﷺ: «**ومثله معه**» السنة النبوية، وأنها وحي من الله تعالىٰ كالقرآن الكريم.

٢- أن المثلية المثبتة للسُّنَّة هي مثلية وجوب الاتباع ولزوم التكليف، وأنها مثل القرآن في الاحتجاج بها.

٣- أن المثلية المنفية هي قدرة البشر والجن ومن استطاعوا دعوته من دون الله أن يؤلفوا كتابًا كالقرآن الكريم في إعجازه.

٤- المثلية المنفية عن غير الله، أما الله؛ فيأتي بمثله وأضعافه، والسنة من عند الله؛ ولذلك فالمثلية المثبتة في الحديث ليست المثلية المنفية في القرآن الكريم، فتدبر هذا المقام، فإنه زلت فيه أقدام، وضلت فيه إفهام.

* **قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بَلَدُهُ مَكَّة، وَوُلِدَ فِيها».**

فيه مسائل:

الأولىٰ: هذا من باب المعرفة أن تعرف من أي بلد نبيك، وأنه من أهل مكة، ولد فيها، وعاش فيها، وبعث فيها.

الثانية: لم يقتصر المصنف علىٰ قوله «بلده مكة» بل قال: «وولد فيها»؛ لكيلا يذهب الوهم أنه ولد وعاش وتوفي فيها.

---

(١) مضىٰ تخريجه (ص ٩٠).

الثالثة: لقد كان لاختيار الله لمكة المكرمة؛ لتكون بلد رسول الله ﷺ حكمة بالغة؛ فمكة هي مركز الأرض ووسطها، وهذا الإعجاز العلمي اكتشفه العالم المصري الدكتور حسين كمال سنة (١٩٧٧م)، وكان هدفه إيجاد وسيلة تساعد علىٰ تحديد القبلة في أي مكان في العالم، ثم انفصل عن هذا الاكتشاف العلمي الكبير الذي يبين أن مكة أم القرىٰ، ويظهر مكانتها علىٰ سائر بقاع الأرض.

* **قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «وهَاجَرَ إِلَىٰ المَدِينَةِ».

فيه مسائل:

الأولىٰ: الهجرة هي الانتقال من بلد الشرك إلىٰ بلد الإسلام؛ كهجرة المسلمين من مكة إلىٰ المدينة، أو من بلد الخوف إلىٰ بلد الأمن، كهجرة المسلمين من مكة إلىٰ الحبشة.

الثانية: **قال أستاذنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «بلد الشرك هو الذي تقام فيه شعائر الكفر، ولا تقام فيه شعائر الإسلام؛ كالأذان، والصلاة جماعة، والأعياد، والجمعة علىٰ وجه عام شامل، وإنما قلنا: «علىٰ وجه عام شامل»؛ ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر علىٰ وجه محصور كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة؛ فإنه لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام ، أما بلاد الإسلام؛ فهي البلاد التي تقام فيها هذه الشعائر علىٰ وجه عام شامل»(١).

* **قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «وَبِهَا تُوُفِّيَ».

فيه مسائل:

الأولىٰ: أن رسول الله ﷺ كسائر البشر يموت، وبذلك قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٠].

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص١٠٠).

الثانية: وفاة رسول الله ﷺ أعظم مصيبة، وفيها عزاء لكل مسلم إذا أصيب بمصيبة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: فتح رسول الله ﷺ بابًا بينه وبين الناس، أو كشف سترًا، فإذا النَّاس يصلون وراء أبي بكر، فحمد الله علىٰ ما رأىٰ من حسن حالهم، ورجا أن يخلفه الله فيهم بالذي رآهم، فقال: «**يا أيها النّاس ما من الناس، أو من المؤمنين أصيب بمصيبة، فليعتز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدًا في أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي**»[1].

وكتب أحد العقلاء إلىٰ أخ له يعزيه عن ابن له يقال: له محمد؛ فنظم هذا الحديث شعرًا:

اصبر لكل مصيبة وتجلَّد ... واعلم أن المرء غير مخلَّد

وإذا ذكرت محمدًا ومصابه ... فاذكر مصابك بالنَّبيِّ محمَّد

الثالثة: قال **الشيخ صالح الفوزان** -**وفقه الله**-: «فقد أجمعت الأمة علىٰ وفاته ﷺ، ولم يخالف في هذا إلا المنحرفون الذين يقولون: إن الرسول ما مات، وينفون الموت علىٰ الرسول ﷺ.

هذا كلام ساقط، كلام مردود واضح؛ يردّه الحسّ والواقع، فإنّ رسول الله ﷺ توفي بين أصحابه وغُسِّل وكُفِّن وصُلِّي عليه، ودفن ﷺ. هل هذه الأعمال تعمل علىٰ إنسان حيٍّ؟ عومل ﷺ معاملة الأموات: غسّل، وكفّن، وصلّي عليه، ثم دفن ﷺ في قبره.

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه ابن ماجه (١٥٩٩)، بإسناد ضعيف؛ لكن له شواهد يصحّ بها: وانظر «الصحيحة» (١١٠٦).

هذه سنة الله ﷻ في خلقه، ثم أين الرسل الذين من قبله؟ سنَّة الرسل الذين قبله وقد ماتوا وهو واحد منهم يموت، هذا بإجماع أهل السنة والجماعة، ولم يخالف في هذا إلا المنحرفون الذين يتعلّقون علىٰ الرسول ﷺ، ويستغيثون به من دون الله، ويقولون: هو حي»[1].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ -وفقه الله-: «مات -عليه الصلاة والسلام-، الذين يدَّعون: أنه -عليه الصلاة والسلام- حي لم يمت، وأنه يحضر، روحه تحضر، وهو يحضر وينتقل، ونحو ذلك، هؤلاء مكذِّبون للقرآن، كفرة بالله -جل وعلا-، لأن الله -جل وعلا- قال لنبيه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾؛ يعني: ستموت، ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾؛ إنهم سيموتون، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إنكم جميعًا أنت وهم ﴿عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

وقال -جل وعلا- في الآية الأخرىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ومن المعلوم ما حصل من قيام أبي بكر في الناس بعد موت الرسول ﷺ خطيبًا قائلًا فيما يروىٰ: من كان يعبد محمدًا؛ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله؛ فإن الله حي لا يموت، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ قال عمر: كأني لم أسمع الآية إلا حين تلاها أبو بكر ﷺ.

لكن هو بعد موته في حياة برزخية، هي أكمل أنواع الحياة البرزخية، فهو حي، حياته أكمل من حياة الشهداء، وهو قد مات، توفّاه الله -جل وعلا-، انقطع عن هذه الدنيا، حياته أكمل من حياة الشهداء، فهو -عليه الصلاة والسلام- قد

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص ٢١٤).

توفي، وانقضىٰ أجله، وهو بالرفيق الأعلىٰ بالجنة، وعند الله -جل وعلا- بأعلىٰ المقامات -عليه الصلاة والسلام-»[1].

الرابعة: قال الشيخ زيد المدخلي -حفظه الله-: (ولما أكمل الله الدين، وأتمَّ النعمة، ولم يبق شيء تحتاج البشرية إلىٰ علمه وفهمه؛ أتىٰ النَّبيَّ ﷺ الأجل المحتوم؛ لأن الله قضىٰ بالموت علىٰ المخلوقات؛ ويدخل في ذلك الرسل والأنبياء والملائكة وسائر المخلوقات ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]؛ إلا من ثبت استثناؤهم بنص.

وأخبر الله نبيه ﷺ في قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

وأخبر بذلك في قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وهكذا أخبر الله ﷻ في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤-٣٥].

فمَرِضَ النَّبيُّ ﷺ في آخر شهر صفر وأول شهر ربيع الأول إلىٰ اليوم الثاني عشر من ربيع الأول أو الثالث عشر، وتوفي النبي ﷺ، وكانت وفاته من أعظم المصائب التي عمَّت الأرض طولها والعرض، وأثرت علىٰ أصحابه تأثيرًا بالغًا حتىٰ إن بعضهم لم يُصَدِّق بأن رسول الله ﷺ قد مات، ومنهم عمر رضي الله عنه.

---

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (ص ١٥٢).

حتىٰ أتىٰ أبو بكر وكان رجلًا مسددًا وموفقًا في مواطن الكروب والأزمات، فدخل علىٰ النَّبيِّ ﷺ؛ فقبَّله، وقال قولته التي حفظتها وثائق التأريخ: «طبت حيًّا وميتًا».

وخرج إلىٰ الناس وهم مضطربون، فقال: «أيها الناس، من كان يعبد محمدًا؛ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله؛ فإن الله حيٌّ لا يموت»[1]؛ فزال عنهم الاضطراب، وأيقنوا أنَّ سنَّة الله في مخلوقاته: أن يقضىٰ عليها بالموت، وما هو إلا انتقال من الحياة الدنيوية إلىٰ الحياة البرزخية.

وقد أخبرنا الله -تبارك وتعالىٰ- في آخر سورة الواقعة بأقسام الخلق عند الموت حيث قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٣-٩٦].

وهذا التقسيم للخليقة كلها بعد الموت، قسَّمهم الله إلىٰ هذه الأقسام الثلاثة: إلىٰ مقربين، وأصحاب يمين، وأصحاب شمال، وهم: المكذبون الذين كذبوا بما يجب التصديق به من شرع الله الذي أتىٰ به رسل الله وأنبياؤه، وأقامه ودعا إليهم أتباعهم وورثتهم.

ولما كان اجتماع الكلمة علىٰ سلطان وعلىٰ إمام أمر من أهمّ الأمور؛ لما في ذلك من نفي الفوضىٰ، وحقن الدماء، وحفظ الأموال والأعراض، وأمن الناس،

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢١٢).

من أجل أن يؤدوا شعائر الإسلام وهم آمنون مطمئنون؛ بقي النبي ﷺ لم يدفن في وقت وفاته؛ بل بقي إلىٰ أن تمت البيعة لأبي بكر، واجتمع الناس، وأجمعوا علىٰ خلافته، فدفن النبي ﷺ ليلة الأربعاء، وقد توفي يوم الإثنين، وما هو إلا انتقال من حياة الهمّ والغمّ والتعب والنصب إلىٰ الحياة الطيبة المباركة في الرفيق الأعلىٰ في أعلىٰ الجنان؛ كما ثبت أن النبي ﷺ لما شخص ببصره إلىٰ السماء قال: «**اللهم الرفيق الأعلىٰ، اللهم الرفيق الأعلىٰ**[1]»[2].

* **قول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَدُفِنَ جِسْمُهُ».**

فيه مسائل:

الأولىٰ: توكيد علىٰ أن النبي ﷺ توفي، وردٌّ علىٰ غلاة المتصوفة الذين يزعمون: أنه حي في قبره بحياتنا الدنيوية: يأكل ويشرب، ويجامع نساءه؛ فيستغيثون به، ويدعونه من دون الله.

الثانية: أن الله حرم أجساد الأنبياء علىٰ الأرض، فهي لا تبلىٰ، عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة؛ فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة عليَّ**».

قالوا: يا رسول الله، كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت -يقولون: بليت-؟! فقال: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ حرم علىٰ الأرض أجساد الأنبياء**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٨).

(٢) «طريق الوصول إلىٰ إيضاح الثلاثة الأصول» (ص ١٩٤-١٩٥).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٠٤٧، ١٥٣١)، والنسائي (٣/ ٩١)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وأحمد (٤/ ٨)، بإسناد صحيح علىٰ شرط مسلم.

الثالثة: أنه ﷺ دفن حيث قبض في بيت عائشة رضي الله عنها عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا ما نسيته، قال: «**ما قبض الله نبيًّا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه**» فدفنوه في موضع فراشه[1]!

والحديث ليس فيه حجة للقبورية، حيث قالوا: أنتم تقولون الصلاة في المقابر لا تجوز، فكيف كانت عائشة تصلي في حجرتها، والرسول ﷺ مدفون فيها؟

والجواب من وجوه:

١- بيت عائشة رضي الله عنها لم يكن مقبرة، والنهي عن الصلاة في المقبرة.

٢- لقد ثبت عن جمع من السلف ومنهم الإمام مالك:أن بيت عائشة قسمان: قسم كان فيه القبر،وقسم يكون فيه عائشة،وبينهما حائط، فكانت عائشة تدخل حيث القبر وهي واضعة ثيابها، أما وقد دفن عمر مع زوجها وأبيها فلم تدخل إلا وهي جامعة عليها ثيابها.

٣- رسول الله ﷺ دفن حيث قبض في بيته، والأصل جواز الصلاة في البيت؛ فدخول القبر لا يحرم الصلاة في البيت.

وهذا الجواب هو نفسه ما يرد علىٰ شبهة القبورية الأخرىٰ: وهي كيف

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه الترمذي (١٠٢٣- تحفة)، والبزار في «البحر الزخار» (٦٠و٦١)، وأبو يعلىٰ (٤٥) وغيرهم بإسناد ضعيف.

وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما آخرجه ابن ماجه (١٦٢٨) بإسناد ضعيف.

وشاهد آخر من مرسل عبد العزيز بن جريح: أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٦٥٣٤)، وأحمد (٧١١) بإسناد جيد.

وبالجملة؛ فالحديث صحيح لغيره.

تصلون في المسجد النبوي وقبر الرسول ﷺ موجود فيه؟

* قول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَبَقِيَ عِلْمُهُ».

فيه مسائل:

الأولىٰ: أن ميراث رسول الله ﷺ هو العلم؛ لأن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله له طريقًا إلىٰ الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتىٰ الحيتان في الماء، وفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب.**

إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به؛ فقد أخذ بحظ وافر»[(١)].

الثانية: تركة الرسول ﷺ من مال الدنيا يئول شرعًا إلىٰ بيت المال.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**لا نورث، ما تركنا صدقة**»[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن فاطمة بنت رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم ورضي الله عنها-: أرسلت إلىٰ أبي بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر.

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٣٦٤١ و٣٦٤٢)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٥/ ١٩٦) والخطيب في «تاريخه» (٢/ ٣٩٨)، من طرق يشد بعضها بعضًا؛ كما جزم الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح الباري» (١/ ١٦٠)، وحسنه الإمام ابن قيم الجوزية وشيخنا الألباني -رحمهما الله-.

(٢) مسلم (١٧٦١).

فقال أبو بكر: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال**»[١].

الثالثة: لا تُعارض هذه الأحاديث قول الله تعالىٰ: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[مريم:٥-٦].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس المراد هاهنا وراثة المال؛ كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة، ووافقهم ابن جرير[٢] هاهنا، وحكاه عن أبي صالح من السلف؛ لوجوه:

أحدها: ما قدمناه عند قوله تعالىٰ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]؛ أي: في النُّبوَّة والملك؛ لما ذكرنا في الحديث المتفق عليه بين العلماء، المروي في «الصحاح»، و«المسانيد» و«السنن»، وغيرها من طرق عن جماعة من الصحابة: أن رسول الله ﷺ؛ قال: «لا نورث؛ ما تركنا؛ فهو صدقة».

فهذا نصّ علىٰ أن رسول الله ﷺ لا يورث؛ ولهذا منع الصّدّيق أن يصرف ما كان يختص به في حياته إلىٰ أحد من ورثته الذين لولا هذا النّص؛ لصرف إليهم، وهم ابنته فاطمة، وأزواجه التسع، وعمه العباس رضي الله عنهم، واحتج عليهم الصدّيق في منعه إياهم بهذا الحديث، وقد وافقه علىٰ روايته عن رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وأبو هريرة، وآخرون رضي الله عنهم.

الثاني: أن الترمذي رواه بلفظ يعمّ سائر الأنبياء: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث**» وصححه[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩٢، ٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩).

(٢) «جامع البيان» (١٦/ ٣٧).

(٣) **قلت**: وقد وهم الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا؛ فإن الترمذي لم يروه ألبتة بلفظ: (نحن)، =

الرابعة: أن الدنيا كانت أحقر عند الأنبياء من أن يكنزوا لها، أو يلتفتوا إليها، أو يهمهم أمرها، حتىٰ يسألوا الأولاد؛ ليحوزوها بعدهم؛ فإن من لا يصل إلىٰ قريب من منازلهم في الزهادة لا يهتم بهذا المقدار: أن يسأل ولدًا يكون وارثًا له فيها.

الخامسة: أن زكريا عليه السلام كان نجارًا يعمل بيده، ويأكل من كسبها؛ كما كان داود عليه السلام يأكل من كسب يده، والغالب -ولاسيما من مثل حال الأنبياء- أنه لا يجهد نفسه في العمل إجهادًا يستفضل منه مالًا يكون ذخيرة له ولمن يخلفه من بعده، وهذا أمر بيِّن واضح لكل من تأمله وتدبره وتفهمه -إن شاء الله-»[1].

* **قول المصنف رحمه الله: «نَبِيٌّ لا يُعْبَد».**

فيه مسائل:

الأولىٰ: لا يجوز اتخاذ قبر الرسول ﷺ وثنًا يعبد.

=

بل ليس هو في الكتب الستة ولا في شيء من كتب الحديث المسندة.

قال الذهبي؛ كما في «موافقة الخَبر الخُبر» (١/ ٤٨١): «ليس هو في الكتب الستة».

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٢/ ٨): «وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث**»، فقد أنكره جماعة من الأئمة، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ (نحن)».

وقال في «موافقة الخَبر الخُبر» (١/ ٤٨٢): «وأصل هذا: أن الخبر لم يوجد بلفظ (نحن)، ووجد بلفظ: «**إنا**»، ومفادهما واحد، فلعل من ذكره بالمعنىٰ، والله أعلم».

قلت: لفظ «**إنا**»؛ أخرجه النسائي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ٦٤/ ٤٣٠٩) -ومن طرقه الحافظ ابن حجر في «موافقة الخَبر الخُبر» (١/ ٤٨١-٤٨٢)، وأحمد في «المسند» (١٧٢) وغيرهم بسند صحيح.

وأخرجه أحمد (٢/ ٤٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: (إنا)، وسنده صحيح.

(١) «قصص الأنبياء» (ص٤٤١-٤٤٣- «صحيحه» -بتحقيقي).

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا**[١]، **لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٢].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» قالت: فلولا ذاك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا[٣].

الثانية: لا يجوز شد الرحال إلىٰ قبره ﷺ، وإنما تشد الرحال إلىٰ مسجده ﷺ.

وقد قام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقامًا محمودًا في إنكار شدِّ الرحال إلىٰ القبر، والتفريق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية، وقد بسطت القول في ذلك في كتابي: «ابن تيمية المفترىٰ عليه» (ص٢١-٤٤ ط دار الإمام أحمد).

* قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ورسولٌ لا يُكَذَّبُ**».

فيه مسائل:

الأولىٰ: تكذيب الرسول ﷺ جحود بآيات الله، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٣-٣٥].

---

(١) أي: لا تجعل قبري صنمًا يصلىٰ ويسجد نحوه ويعبد.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٦)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٦٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٨٣ و٧/ ٣١٧) بإسناد صحيح.

(٣) البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).

الثانية: كفر التكذيب قليل في الكفار، فإن الله تعالىٰ أيَّد رسله بالآيات، وأعطاهم، من البراهين علىٰ صدقهم ما أقام به الحجة وأزال به المعذرة، قال تعالىٰ عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

ولذلك لا يحصر الكفر في التكذيب بل هو أنواع، منها:

١- **كفر الإباء والاستكبار**: مثل كفر إبليس وكفر اليهود، وهو الغالب علىٰ كفر أعداء الرسل، قال الله ﷻ: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وقال عن اليهود: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩]، وكذلك كفر أبي طالب كان عن إباء واستكبار حتىٰ لا يترك دين قومه، فقال منشدًا يبين هذا الأمر:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينا

٢- **كفر الإعراض**: بأن يعرض بسمعه أو قلبه عن الرسول ﷺ؛ فلا يصدقه، ولا يكذبه، ولا يتعلم دين الله، ولا يعمل به مطلقًا.

٣- **كفر الشك**: لا يجزم بصدق الرسول ﷺ ولا يكذبه، بل يشك في أمره، ومن كان كذلك؛ فهو كافر.

٤- **كفر النفاق**: أن يظهر بلسانه الإيمان ويبطن الكفر في قلبه، كحال المنافقين في عهد النبي ﷺ، وقد قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وهذه الأقسام كلها من الكفر الأكبر المخرج من الملة والعياذ بالله[1].

---

(١) وقد فصلتها تفصيلًا حسنًا مقرونة بأدلتها في كتابي: «**منهج السلف في التكفير**» يسَّر الله نشره علىٰ خير وبركة؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* قول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «بل يُطَاعُ ويُتَّبَعُ صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين».

فيه مسائل:

الأولىٰ: فرض الله طاعة رسوله ﷺ استقلالًا: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

الثانية: حقيقة طاعة الرسول ﷺ باتباعه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢].

الثالثة: وجوب طاعة الرسول في حياته باتباع ما أمر به وترك ما نهىٰ عنه، وبعد موته باتباع سنته الصحيحة.

الرابعة: لا تتم طاعة الرسول ﷺ ولا يتحقق اتباعه علىٰ الوجه الذي لا يرضاه الله ورسوله؛ إلا باتباع منهج أصحابه رضي الله عنهم في فهم الكتاب والسنة.

والأدلة علىٰ ذلك كثيرة، ولكن من أوضحها: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ودلالتها علىٰ ذلك من وجوه:

١- أن رب البرية أثنىٰ علىٰ من اتبع خير البرية؛ فعلم أنهم إذا قالوا قولًا، فاتبعهم متبع، فيجب أن يكون محمودًا.

٢- أن من اتبعهم استحق رضوان الله، وتحقيق رضوان الله واجب، ولذلك؛ فاتباعهم واجب؛ لأن رضوان الله لا يتحقق إلا بذلك.

٣- اتباعهم هو الطريق القويم لاتباع الرسول ﷺ؛ فإن الله سبحانه ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وأثنىٰ علىٰ اتباعهم، ولو لم يكن اتباع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهم الصحابة هو الطريق لاتباع الرسول ﷺ لَمَا ذكرهم وأثنىٰ علىٰ اتباعهم.

وأمر آخر أن اتباع الرسول ﷺ لم يذكر في هذه الآية، وإنما ذكر اتباع الصحابة رضي الله عنهم؛ فدل علىٰ أن اتباعهم هو الطريق الأوحد لاتباع الرسول ﷺ.

هذا وقد استقصيت هذه الحقيقة المنهجية في جملة من مصنفاتي: «**لماذا اخترت المنهج السلفي؟**»، و«**إتحاف ذوي الشرف بمرويات منهج السلف**»، و«**المنهج السلفي: حجيته وأدلته وبيِّناته**».

قال مقيده الفقير إلىٰ ألطاف مولاه القدير: أبو أسامة سليم بن عيد بن محمد بن حسين الهلالي السلفي الأثري- عامله الله بلطفه الخفي-: هذا آخر ما قاله فمي ورقمه قلمي في هذا الشرح الأثري المبارك علىٰ هذه الرسالة الطيبة، سائلًا مولاي ﷻ أن يجعله لأهل السنة جامعًا، ولأهل العلم نافعًا، ولأهل الأهواء والبدع قامعًا، وأن يجعله في صحائف أعمالي ومثاقيل حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم.

وكان في مجالس أسبوعية متعددة -جمعتنا بإخوان أصفياء وتلاميذ أوفياء-: آخرها يوم الإثنين لثلاث ليال بقيت من رجب الفرد سنة ١٤٣٠هـ في مكتبتي العامرة -بإذن الله- بعلوم الكتاب والسنة في داري في عمان البلقاء الآمنة عاصمة جند الأردن في بلاد الشام المحروسة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ ٢٣٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ ... ٢٧، ٢٩
﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ ٥٨
﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ٢٤٧
﴿فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ ١٥٧
﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ ٦٤
﴿بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ ..... ٣٧، ٤٣، ٧٥
﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ ٤٧
﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ ١٧٨
﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ ١٧٨
﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ﴾ ٤٧
﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ ١٤٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ ٥١
﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ ٤٧

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ ٥١
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ ٥٠
﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ ٦٩
﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ ٨٠
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ ١٠١
﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ﴾ ١٤٤
﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ ١١٩
﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ١٨٣
﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ١٢٦
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ ١٢١
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ ١٤٤
﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ ١٤٩
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ١٤٤
﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ ١٥٤
﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ ١٧٦
﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ ٢٠٧
﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ ١٤٤
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ١١٢

سورة آل عمران

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ ١٤٨

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ ١٢٦
﴿ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ ٨١
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ٢٤٨
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ ٧٧
﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ٧٨
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ٩٠
﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ٦
﴿ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ ١٢٤
﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ ٤٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ ..... ١٦، ٢٠، ٥٣
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ ٨٤
﴿ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ ﴾ ١١٦
﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ٧٩
﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ... ٧٥
﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ ١٣١
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ ١٨٨
﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ١١
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ..... ١٢، ٧٢، ٧٧
﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ١١٠
﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ ١٥٣
﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ﴾ ١٥٩

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ٤٧
﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ ٣٨
﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ ٤٢
﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ..... ٢٦، ٣٦

سورة النساء

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ٣٠
﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ ٣٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ٣٥
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ ..... ٣٧، ٤١، ٧٥
﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ٤٦
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ ..... ٥٤، ٩١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ ..... ٥٧، ٦٧
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ ٦٣
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ..... ٧٥، ١٣٧
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ ٩٣
﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ ١٤٨
﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ﴾ ..... ١٥٠، ٢٠٨
﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ ١٥٩
﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ ١٦١
﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ ..... ١٨١، ٢٤٨

﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ ٢٠٥
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ ٢٣٠
﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ ٢٣١
﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ٢٤٧

سورة المائدة

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾ ..... ٨١، ١٧٩
﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ ٦٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾ ..... ٥٠، ١٧٢
﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾ ٥٣
﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ ﴾ ٥٣
﴿ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ ﴾ ..... ٥٧، ٦٧
﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ ٦٠
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ﴾ ١٣٥
﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾ ..... ٧٧، ١٣٤
﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ١٣٤
﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي ﴾ ٨٠
﴿ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِي ﴾ ١٢٤
﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ ... ١٧٦
﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ ٢٢٢

سورة الأنعام

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ ٤٩
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ٦١
﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ ٧٠
﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ ٥٠
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ٨٩
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ ..... ١٣٣، ١٤١
﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ ١٣٩
﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ١٤٩
﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ﴾ ١٥٠
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ ١٧٤
﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ ١٨٣
﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ ٢٠٠

سورة الأعراف

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ١٤٠
﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ ١٤٧
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ ٢٢٤
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ..... ٢٤، ٢٨
﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ ..... ٢٩، ٦٠، ١٢٥
﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ ٤٥

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ ٥٢
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ٥٢
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ٥٢
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ٥٢
﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ ٨٥
﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ٦٩
﴿وَمَا نَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ ٨٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ..... ٨٧، ٢٢٠
﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ..... ٨٨، ١٣٥
﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ ١٢٦
﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ١٢٧
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ ١٢٨
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ ١٥٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ٢١٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ ٦٦

سورة الأنفال

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ ١١٩
﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ ١٢٣
﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ١٥٩
﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ ٥٠

﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ ٥١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ٥٣
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٣٨
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ ٦٣
﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ١٣٢
﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ ٢٢١

سورة التوبة

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ ... ١٧
﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ ٤٩
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ ٣٨
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ ٥١
﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ..... ١٦٨، ٢٣٣
﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ ٥٠
﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ ٢٤٨
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ..... ٨٧، ٢٠٠
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ ١٠٠
﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ ١٥٧
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ ١٦٤

سورة يونس

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٥٣

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ١٦٣
﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ ٢٢٨
﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ ٧٨
﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ ١٢٨
﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ ٧٨
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ ٨٠
﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ٨٠
﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ ١٦١

سورة هود

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ ٢٢٨
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ ٧٠
﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ١٤٠
﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ ٢٣٤
﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ ٢٠
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ٥٢
﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ ٨٥

سورة يوسف

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ ١١٤
﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ ٦٠
﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ ٨٥

﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ٣٢
﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ ٧٩
﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ ٨٦
﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ ٧٦

سورة الرعد

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ ١٣٣
﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾ ٢٣٩

سورة إبراهيم

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ .. ٨، ١٠
﴿وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ ١٤٨
﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾ ١١٢
﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ ١٣٨

سورة الحجر

﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ١٥٩
﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ٢٢٠

سورة النحل

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ ٣٢
﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ ١٩
﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ ..... ٥٣، ١٣٥، ٢٠٨

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ١٦
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ ٩٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ..... ٥٧، ٦٢، ١٨٢
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ ٢٣٣
﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ﴾ ٢٢٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ ..... ١٥٩، ١٨٤

سورة الإسراء

﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ .. ٦٣، ٢١٠
﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ..... ٦٥، ١٣٦
﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ ٦١
﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ﴾ ١٤٧
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ ..... ٢٢٨، ٢٣٥
﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ ٢٠٩
﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ ١٣٨
﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ ١٢٥

سورة الكهف

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ۜ﴾ ٦٤
﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ٤١
﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ﴾ ١٤١
﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ ١٥٥

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ ١٥٨
﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ ٣٧

سورة مريم

﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ ٢٤٤
﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ ..... ٢٠، ٦٣

سورة طه

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ ١٨٤
﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ ١٩

سورة الأنبياء

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ..... ٦٦، ١٣٠
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ ٥٣
﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ ٢٣٢
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ ٢٣٩
﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ ١٢٣
﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ١٦٦
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ ٥٣
﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ١٣٩
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ١٩١

سورة الحج

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ ٦٧
﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ ٤٣
﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ ٥١
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ ٨٥
﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ ٧٨
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ﴾ ١٤٨
﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ ٢٠٠
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ ١٢٠

سورة المؤمنون

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ٢٠٤
﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ ١٣٩
﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ ١٢٧
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ..... ٤٥، ٥٣
﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١٢٥
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ٣٦

سورة النور

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ ٨٩
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ ٣٩

سورة الفرقان

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ ..... ٦٤، ١٣٦
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ ١٤٩
﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ١٢٧
﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ ٢٠٩
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ٢٠٤
﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ٦٦
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ ٦٨

سورة الشعراء

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ ١٢٤
﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ ١٣٦
﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ٨
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ١٣٦
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ٤٤
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ٤٤
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ٤٥
﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ٤٥
﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ٣٠
﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ٢٣٢

سورة النمل

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ ..... ١٢٥، ٢٤٧
﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ ٢٤٤
﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ..... ١٣، ٨٠
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ٥٢
﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ٧٨
﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ ٢٤
﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ٢٥

سورة القصص

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ ١٢٥
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ ٨٠
﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ ١٤٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ ١٣٩

سورة العنكبوت

﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ..... ٣٠، ٣٢
﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ٥٢
﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ ١١٣
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ ٥١
﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ ٢٢٧

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ ٢٣

سورة الروم

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ٦١

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ ٢٠٤

﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ١٢٨

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ ١٤٥

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ ..... ٢٤، ٢٠٧

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ ١٥٧

سورة لقمان

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ ١٧٣

سورة السجدة

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾ ١٥٤

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ ١٦٦

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ١٤١

سورة الأحزاب

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ ١٣٧

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ ..... ٨٧، ١٣٥، ١٩٠، ٢٠٧

﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ ٥٠

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ ١٤١

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ ٥٧

سورة سبأ

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ ١٢٧
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ ﴾ ١٣٣
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ ٢٢٠
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ﴾ ٢٣٣

سورة فاطر

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ ١٣٢
﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾ ١٢٥
﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ١٣٥

سورة يس

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ ٢٧
﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ ٢٧
﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ ١٤٥

سورة الصافات

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ ٢٠٤
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ١٤٩
﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ٦٥

سورة ص

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ٢٢٢
﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ ٨٦
﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ ٦٥
﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ ٦٥
﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ ١٣٦
﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ ٢٠٤

سورة الزمر

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ ..... ١٨٨، ٢١٢، ٢٣٦
﴿عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ ٢٣٨
﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ ١١٨
﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ ..... ٣٨، ٦٤
﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ ..... ١٤٩، ١٥٨
﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ٦٧

سورة غافر

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ ٢٠
﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ ١٤٢
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ ١٣٧

سورة فصلت

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ٨٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ ١١
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ٧٦
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ ﴾ ٢٥
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ ١٤٥
﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ١٥٣
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ ٢١

سورة الشورى

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ..... ٥٤، ١٨١
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ..... ١٢٨، ١٧٢
﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ ١٣٧
﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ ٢٢٧
﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ١٩٣

سورة الزخرف

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ١٢٥
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ٨٤
﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ ٢٠٠
﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ ٦٣

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ١٣٦
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ . ٢٠، ٤٥
﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ٢٠
﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ..... ١٢٦، ١٢٨

سورة الدخان

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ ٢٠

سورة الجاثية

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ١٧٠
﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ٣٦
﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ ١٧١

سورة الأحقاف

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ ٧٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ١١٩

سورة محمد

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ٦٩

سورة الفتح

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ ..... ٨٧، ١٩٠

سورة الحجرات

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ ١١٨

سورة ق

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ ١٤٥
﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ ١٦١

سورة الذاريات

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ٢١
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ..... ٣٠، ٣٥، ٥٢، ٦٠

سورة الطور

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ ٢٢٨
﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾ ..... ٢٢، ٣٥، ١٢٢

سورة النجم

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ ٨٩
﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ ٤٦
﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ ٨٥
﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ ٤٦

سورة القمر

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾ ١١٣

سورة الواقعة

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ ..... ١٤٢، ٢٤٠

سورة الحديد

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ ٦٤
﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ ... ١٥٢
﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ ٢٠٤

سورة المجادلة

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ ١٦١
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ ١٧٦
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ١٧٦

سورة الحشر

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ ٣٨

سورة الممتحنة

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ ٧٥

سورة الصف

﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ ١٩٠

سورة الجمعة

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ ٤٧

سورة المنافقون

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ ٨٧

سورة التغابن

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ ﴾ ..... ١٤٩، ١٥٠

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ١٤٣

سورة الملك

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ٤٠

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ..... ٥٨، ٦٠

سورة القلم

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ٤٨

﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ٢٢٧

سورة الحاقة

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ ١٦٥

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾ ٢٢٤

سورة نوح

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ ٥٢
﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ ٣٩

سورة الجن

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ ٦٤
﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ ١٥٥
﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ﴾ ..... ٨٨، ١٣٥

سورة المدثر

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ ١٨٥
﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ ٥١

سورة القيامة

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾ ٣٦

سورة الإنسان

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ ١٩

سورة النبأ

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ ١٤٩

سورة النازعات

﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾ ٤٥

سورة التكوير

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ١٤٩

سورة البروج

﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾ ١٥٩

سورة الغاشية

﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾ ١٣٩

سورة البلد

﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ ٥٧

سورة الشمس

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ ٤٦

سورة الليل

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ ٤٦

سورة الضحى

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ ٢١٣

سورة العلق

﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ ٦٤

سورة القدر

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ ١٠٢

سورة البينة

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ٤٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ ١٤١

سورة العصر

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ١٨٥.

سورة المسد

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ٢٢٣

سورة الفلق

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ١٥٨

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الأحاديث النبوية

« ائتوا نوحًا رسول بعثه الله ...» ١٣٥
«إذا أحب الله العبد نادىٰ جبريل: إنَّ الله يحب فلانًا» ١٣٣
«إذا أسلم العبد؛ فحسن إسلامه؛ كتب الله له كلَّ حسنة كان أزلفها» ٧١
«إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا» ١٠٧
«إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه» ٧٠
«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» ٣١
«إذا سمع أحدكم النداء والإناء في يده؛ فلا يضعه حتىٰ يقضي حاجته منه» ... ١٠٦
«إذا قمت إلىٰ الصلاة فأسبغ الوضوء» ١٧٢
«إذا كان يوم الجمعة كان علىٰ كل باب من أبواب المساجد الملائكة» ١٣٣
«أسلمت علىٰ ما أسلفت من خير» ٧١
«أعمار أمتي ما بين الستين إلىٰ السبعين، وأقلُّهم من يجوز ذلك» ٢١٢
«أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا» ٦٥
«أقيمت الصلاة والإناء في يد عمر، قال: أشْرَبُها يا رسول الله؟ قال: نعم» ١٠٦
«آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، فإنما أنا عبد» ٦٤
«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثًا)؟» ..... ٦٧، ٦٨
«ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» ٩٠

«ألَّا تسألوا الناس شيئًا»..... ٣١
«أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» ١١٩
«أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله...»..... ١٧
«أن أحدهما كان لا يستتر من البول» ١٤٦
«إن الله ﷻ حرم علىٰ الأرض أجساد الأنبياء» ٢٤١
«إن الله ﷻ خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض» ٢٠٥
«إن الله ﷻ قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية» ٢٠٢
«إن الله اختار كنانة من ولد إسماعيل».....١٩٣
«إن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء» ١٨٢
«إنَّ الله لا يظلم مؤمنًا حسنته، يعطىٰ بها -وفي رواية: يثاب عليها» ٧٠
«إن الله يدني المؤمن» .....١٣٩، ١٤٠
«إن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك» .....١٨٧، ١٨٨
«أن النبي ﷺ رفع له البيت المعمور في السماء، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف» ..١٣٠
«إنَّ بين الرجل وبين الشرك والكفر تَرْكَ الصلاة»..... ٩٣
«أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك»..... ٦٦
«أن من هم بحسنةٍ؛ فعملها» ١٤٠
«أنا سيد ولد آدم ولا فخر».....١٩٤
«إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا» ١٦١
«إنما أنا بشرٌ مثلكم: أنسىٰ كما تنسون؛ فإذا نسيت فذكروني» ١٣٦
«إنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله» ٢١٠
«إنما الطاعة في المعروف»..... ٥٥

«إنما بعثتُ لأتمم مكارم -وفي رواية: صالح- الأخلاق»..... ٤٧
«إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار» ١٠٤
«إنما شفاء العي السؤال» ١٧
«إنما يكفيك أن تضرب بيديك الأرض هكذا» ١٧٣
«إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فما أول شرط الساعة» .... ٢٢٣، ٢٢٤
«أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي» ٢١٣
«أول من فتق لسانه بالعربية المبينة: إسماعيل» ..... ١٩٧، ١٩٨
«أيُّ الذنب عند الله أكبر؟ قال: «أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك» ٦٨
«أين الله؟» ١٨٨
«اجتنبوا السبع الموبقات» ٢٢٢
«اذهبوا إلىٰ محمد؛ عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» ٢١٠
«استعيذوا بالله من عذاب القبر» ٦
«الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» ١٨٨
«الأنبياء كلهم إخوة لعلاتٍ» ٧٧
«الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله» ١٢١
«الحج عرفة» ٩٣
«الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق» ٦٧
«الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» ١١٥
«العبد إذا وضع في قبره» ١٨٧
«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها؛ فقد كفر» ٩٣
«الفجر فجران» ١٠٥

«اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها» ٤٦
«اللهم حوالينا، ولا علينا» ١٢٤
«اللهم لا تجعل قبري وثنًا» ٢٤٦
«المسلم أخو المسلم» ١٧٧
«بني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله» ٧٦
«تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنتي» ٥٦
«تعوذوا بالله من فتنة الدجال» ١٤٢
«حولها ندندن» ١٦٧
«خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار» ٢٠٥
«خمس صلوات كتبهن الله علىٰ العباد» ٩٤
«ذاك ميراث رسول الله ﷺ» ١٨٢
«رأيت القس عليه ثياب بيض» ٢١٨
«رحم الله أم إسماعيل لو تركتها؛ لكانت عينًا معينًا» ١٩٦
«رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا» ١٢
«زمّلوني، دثروني» ٢١٧
«سأقوم مقامًا يرغب إليَّ الخلق كلهم؛ حتىٰ إبراهيم» ١٩٤
«صلوا كما رأيتموني أصلي» ١٠٠
«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير» ..... ١٥٢، ١٥٣
«فإن خُلق نبي الله ﷺ كان القرآن» ٤٨
«فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» ١٧
«فكل ميسر لما خلق له» ١٥٠

«فيأتون آدم؛ فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر» ..... ٢٠٥، ٢٠٦
«فيسأل الملكان: ما علمك بهذا الرجل؟» ١٨٨
«كاد قلبي أن يطير» ١٢٣
«كان الرسول ﷺ إذا خطب حمد الله، وأثنىٰ عليه» ١٣
«كان بين نوح وآدم عشرة قرون» ٢٠٦
«كان جبريل ينزل علىٰ النبي ﷺ بالسنة، فيعلمه إياها، كما يعلمه القرآن» ٩٠
«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض» ١٤٨
«كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة» ٩١
«كل عمل ليس عليه أمرنا؛ فهو رد» ٤٢
«كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» ١٧٨
«كل مولود يولد علىٰ الفطرة؛ فأبواه يهودانه» ٢٤
«كلوا واشربوا ولا يغرَّنَّكُم الساطع المُصَعَّد» ١٠٦
«لأن يأخذ أحدكم أَحبلَهُ فيذهب فيحتطب، خير له من أن يسأل الناس» ٣١
«لا إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» ٧١
«لا بل عبدًا رسولًا» ٢١١
«لا تزال المسألة بأحدكم، حتىٰ يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة» ٣٠
«لا تشرك بالله شيئًا وإن قطعت وحرقت» ..... ٦٨، ٦٩
«لا تطروني؛ كما أطرت النّصارىٰ ابن مريم؛ فإنما أنا عبد» ٦٥
«لا طاعة في معصية الله» ٥٥
«لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال» ٢٤٤
«لا نورث، ما تركنا صدقة» ٢٤٣

«لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من نفسه ووالده» ٩٠
«لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ١٧٧
«لا يزني الزاني حين يزني» ٧٤
«لا يغرنَّكم أذان بلال».....١٠٥
«لا يفضلني أحد علىٰ أبي بكر وعمر؛ إلا جلدته حدَّ المفتري» ..... ٥٦، ٥٧
«لا؛ نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفوا أُمَّنا، ولا ننتفي من أبينا» ١٩٢
«لعن الله اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ٢٤٦
«لم يكن بطن من قريش إلا ولرسول الله ﷺ فيهم قرابة» ١٩٣
«لما نزلت هذه الآية: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾»..... ١٠٤
«لو قلت: نعم؛ لوجبت ولما استطعتم، الحجُّ مرة واحدة».....١٠٩
«ليبلغ الشاهد الغائب» ٢٠٣
«ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل، ولا مستشرف، فخذه» ٣١
«ما قبض الله نبيًّا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه» ٢٤٢
«ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سمعت».....١٤٠
«ما لم يأمر بمعصية» ٥٥
«ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم» ١٠٠
«ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه» ١٢٢
«ما يدريك عن هذا الرجل؟» ١٨٨
«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم».....١٧٧
«من أتىٰ عرَّافًا؛ فصدقه بما يقول؛ لم تقبل له صلاة أربعين يومًا».....١١١
«من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطىٰ لله» ١٧٧

«من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله له طريقًا إلىٰ الجنة» ٢٤٣
«من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يومًا» ١١١
«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» ١٠٢
«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» ١٠٢
«من لقي الله لا يشرك به شيئًا، وأدىٰ زكاة ماله طيبًا بها نفسه محتسبًا» ٦٨
«من وعده الله علىٰ عمل ثوابًا؛ فهو منجزه له، ومن وعده علىٰ عمل عقابًا» ... ٩٥
«من يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يعفَّه الله، ومن يتصبَّر يصبره الله» ٣١
«نحن معاشر الأنبياء لا نورث» ٢٤٤
«هذا الناموس الذي جاء موسىٰ بن عمران» ٢١٩
«وإن صام وصلىٰ وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم» ..... ٣٤، ٣٥
«وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن» ١١٠
«والله لا يسمع بين أحد من هذه الأمة» ..... ٢٢٠، ٢٢١
«والنصح لكل مسلم» ١١١
«وبعث كلُّ نبي إلىٰ قومه خاصة، وبعثت إلىٰ الناس عامة» ٢٢٠
«وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا» ١٥٦
«وما تأخر» ١٠٢
«يا أيها النّاس ما من الناس، أو من المؤمنين أصيب بمصيبة» ٢٣٧
«يا بلال-، قم؛ فاجدح لنا» ١٠٨
«يا صاحباه!» ٢٢٣
«يا معشر العرب! والله لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ» ٢٠٢
«يا نبي الله فأي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم عليه السلام» ٢٠٨

«يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا» ١٣٩
«يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه من الخير ما يزن شعيرة» ١١٨
«يقول الله ﷻ: أنا مع ظن عبدي بي» ١٦٢
«يقول الله ﷻ: أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه» ١٦٢
«يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة» ١٥٨

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
بين يدي الشرح ٩
مقدمة الأصول الثلاثة ١٣
شرح البسملة ١٣
شرح قول المصنف: «الواجب» ١٤
شرح قول المصنف: «علىٰ كل مسلم ومسلمة» ١٤
شرح قول المصنف: «أن يتعلم ثلاثة أصول ...» ١٤
الأصل الأول: معرفة الرب ١٦
شرح قول المصنف: «فإذا قيل لك: من ربك؟» ١٦
شرح قول المصنف: «وإذا قيل لك: بأي شيء عرفت ربك؟» ٢١
شرح قول المصنف: «فأما الدليل علىٰ آياته...» ٢٥
شرح قول المصنف: «فإذا قيل لك لأي شيء خلقك الله» ٣٥
شرح قول المصنف: «وإذا قيل لك: أي شيء أمرك الله به ونهاك عنه» ٥٧
الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام ٧٣

شرح قول المصنف: «إذا قيل لك: ما دينك؟» ٧٣
شرح قول المصنف: «فأما دليل الشهادة» ٨٢
شرح قول المصنف: «ودليل أن محمدًا رسول الله ...» ٨٧
موافقة العمل للسنة في كل صورها ٩١
شرح قول المصنف: «ودليل الصلاة» ٩٣
شرح قول المصنف: «ودليل الزكاة» ١٠٠
شرح قول المصنف: «ودليل الصوم» ١٠٠
شرح قول المصنف: «وإذا قيل لك: الصيام شهرٌ» ١٠١
شرح قول المصنف: «وإذا قيل لك: الصيام في الليل أو في النهار» ١٠٢
شرح قول المصنف: «ودليل الحج» ١٠٩
شرح قول المصنف: «وإذا قيل لك: ما الإيمان» ١١٢
بحث حول تعريف الإيمان ١١٣
الإيمان بالله ١٢١
الإيمان بالملائكة ١٣٠
الإيمان بالكتب الإلهية ١٣٣
الإيمان بالرسل ١٣٤
الإيمان باليوم الآخر ١٣٨
الإيمان بالقدر ١٤٨
الشر لا يُنسب إلى الله ١٥٤
شرح قول المصنف: «وإذا قيل لك: ما الإحسان» ١٥٩

الأصل الثالث: معرفة النبي محمد ﷺ ١٨٤
شرح قول المصنف: «وإذا قيل لك: من نبيك» ١٨٤
شرح قول المصنف: «وإسماعيل من إبراهيم ...» ٢٠٣
شرح قول المصنف: «وإذا قيل لك: مَن أول الرسل؟» ٢٠٥
الرسل والأنبياء بين نوح ومحمد كثيرون ٢٠٨
شرح قول المصنف: «وإذا قيل لك: محمد بشر» ٢٠٩
شرح قول المصنف: «وإذا قيل لك: محمد عبد» ٢١٠
شرح قول المصنف: «وإذا قيل لك: كم عمره» ٢١٢
شرح قول المصنف: «منها أربعون قبل النبوة» ٢١٣
شرح قول المصنف: «نبئ بـ: (اقرأ)» ٢١٦
شرح قول المصنف: «وخرج علىٰ الناس فقال: ...» ٢١٩
شرح قول المصنف: «وقالوا: ساحر كذاب» ٢٢١
شرح قول المصنف: «فأنزل الله عليهم: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾» ٢٢٧
شرح قول المصنف: «بلده مكة، وولد فيها» ٢٣٥
شرح قول المصنف: «وهاجر إلىٰ المدينة» ٢٣٦
شرح قول المصنف: «وبها توفي» ٢٣٦
شرح قول المصنف: «ودفن بجسمه» ٢٤١
شرح قول المصنف: «وبقي علمه» ٢٤٣
شرح قول المصنف: «نبي لا يعبد» ٢٤٥
شرح قول المصنف: «ورسول لا يكذب» ٢٤٦

شرح قول المصنف: «بل يُطَاعُ ويُتَّبَعُ صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين» ٢٤٨
فهرس الآيات القرآنية ٢٥١
فهرس الأحاديث النبوية ٢٧٧
فهرس الموضوعات ٢٨٥

الفصول
في الذب عن
توحيد اتباع الرسول ﷺ

كتبه : أبو العباس الشحري
محمد بن جبريل بن حسين بن علي بن داود
عفا الله عنه بما كتبه

قدم له
فضيلة الشيخ
يحيى بن علي الحجوري

دار الاستقامة

التعليقات الرضية

على

المنظومة البيقونية

تأليف

فضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد الرحيم البخاري

أستاذ الحديث المساعد بكلية الحديث الشريف في الجامعة الإسلامية

دار الاستقامة

النبذ الوفية

في وجوب الانتساب إلى السلفية

وردّ ما عارضها من الشبهات الخلفية الخفية

بقلم

أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي الأثري

الاستقامة

المعين لتوضيح معاني

أثر ابن سيرين رحمه الله

إن هذا العلم دين

إعداد

فضيلة الشيخ الدكتور

أحمد بن عمر بن سالم بازمول

الأستاذ المساعد بجامعة أم القرى

دار الاستقامة

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com